

أَجُودُ الْبَيَانِ
فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

المجلد الثامن

تأليف

آية الله الأستاذ الشيخ هادي النجفي

تتمة

﴿سُورَةُ الْأَنْعَامِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلٰكِن أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ ﴿١٠٩﴾

بيان آخر لعدم إيمانهم بالرسول ﷺ ولو جاء بالمعجزة الاقتراحية لا يؤمنون به، وتوضيح لقوله: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^١.
ومعنى الآية: ﴿ وَلَوْ أَنَّا ﴾ أجبناهم في مسألتهم وآتيناهم أعاجيب الآيات فنزلنا إليهم الملائكة فعابوهم، وأحيينا لهم الموتى فواجهوهم وكلموهم وأخبروهم بصدق ما يدعون إليه، وحشرنا وجمعنا عليهم كل شيء قبيلاً قبيلاً وصنفاً صنفاً، أو حشرنا عليهم كل شيء قبلاً ومواجهة فشهدوا لهم بلسان الحال أو القول، ما كانوا ليؤمنوا ولم يؤثر شيء من ذلك في استجابتهم للإيمان إلا أن يشاء الله إيمانهم^٢.

١. سورة الأنعام / ١٠٩.

٢. الميزان ٧ / ٣٢٠.

٦ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الثامن

- ﴿ وَ ﴾ عاطفة، عطف على قوله: ﴿ وَمَا يُشْعُرُكُمْ أَنهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^١.
- ﴿ لَوْ ﴾ حرف شرط غير جازم. ﴿ أَنَّنَا ﴾ حرف مشبهه بالفعل واسمه، تأكيد.
- ﴿ نَزَّلْنَا ﴾ فعل ماض وفاعله، خبر ﴿ أَنَّنَا ﴾.
- ﴿ إِلَيْهِمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ نَزَّلْنَا ﴾. والضمير يرجع إلى المشركين الذين يطلبون بالمعجزات الاقتراحية.
- ﴿ أَلْمَلَكَةِ ﴾ مفعول به، ومن اقتراحاتهم نزول الملائكة على كل واحد منهم وإخبارهم برسالة الرسول ﷺ.
- ﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ كَلَّمَهُمْ ﴾ فعل ماض ومفعول به.
- ﴿ أَلْوَيْ ﴾ فاعل. ومن اقتراحاتهم: تكلم موتاهم لهم وشهادتهم برسالة الرسول ﷺ وصدق دعواه.
- ﴿ وَ ﴾ عاطفة.
- ﴿ حَشَرْنَا ﴾ فعل ماض وفاعله، الحشر: الجمع «وَضَمَّنْ» معنى البعث والإرسال فعدي بـ «على» كما قال تعالى: ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا ﴾^٢ «٣».
- ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ حَشَرْنَا ﴾.
- ﴿ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ مفعول به ومضاف إليه.
- ﴿ قُبَلًا ﴾ حال من ﴿ كُلِّ شَيْءٍ ﴾. «قرأ ابن عامر ونافع وأبوجعفر «قُبَلًا» بكسر القاف وفتح الباء. الباقيون بضمها، قال أبو زيد: يقال لقيت فلانا قُبَلًا وقَبَلًا وقَبَلًا وقبيلًا ومقابلة كله بمعنى المواجهة فعلى هذا المعنى واحد في اختلاف القراءات.

١. سورة الأنعام / ١٠٩.

٢. سورة الاسراء / ٥.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧ / ٥.

وقال أبو عبيدة «قَبِلا» أي معاينة^١.

ومن اقتراحاتهم: أنهم يريدون من النبي ﷺ الإتيان بالأشياء المختلفة، كلُّ يريدون شيئاً خاصة وأجابهم الله تعالى بهذه المقالة أي إذا أجبنا مسؤولهم وأتيناهم كلُّ شيء يريدونها فلا يؤمنون.

﴿مَّا﴾ نافية، ﴿مَّا﴾ وبعدها جواب الشرط.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه. ﴿لِ﴾ حرف جر بمعنى جحد ونفي.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد «لام» الجحود. «أن»

مضمرة وما بعدها بتأويل مصدر في محلِّ جر بلام الجحود خبر «كان» تقديره: ﴿مَّا كَانُوا﴾ مردين للإيمان. لأنهم معاندون مكابرون لا يطلبون الحقَّ ومعرفته، ولو طلبوه لكفتمهم معجزة القرآن وغيرها من معاجز نبينا ﷺ. «والمقصود انتفاء إيمانهم أبداً»^٢.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء، «استثناء من عموم الأحوال التي تضمَّنها عموم نفي

إيمانهم»^٣.

﴿أَنَّ﴾ مصدرية ناصبة. ﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿أَنَّ﴾.

﴿أَللَّهُ﴾ فاعله. أي إنهم لا يؤمنون ﴿إِلَّا﴾ بمشيئة الله. «فلا يتم لهم الإيمان بشيء

من الاسباب والعلل إلا بمشيئة الله فإن النظام الكوني على عرضه العريض وإن كان يجري على طبق حكم السببية وقانون العلية العالم غير أن العلل والاسباب مفتقرة في أنفسها متدلّية إلى ربها غير مستقلة في شيء من شؤونها ومقتضياتها فلا يظهر لها حكم إلا بمشيئة الله ولا يحيا لها رسم إلا بإذنه.

غير أن المشركين أكثرهم - ولعلمهم غير العلماء الباغين منهم - يجهلون مقام

١. التبيان ٤/ ٢٣٨.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ٦.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ٦.

٨ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الثامن

رهبهم ويتعلقون بالاسباب على أنها مستقلة في نفسها مستغنية عن رهبها فيظنون أن لو أتاهم سبب الإيمان - وهو الآية المقترحة - آمنوا واتبعوا الحق وقد اختلط عليهم الأمر بجهلهم فأخذوا هذه الأسباب الناقصة المفتقرة إلى مشيئة الله أسباباً مستقلة تامة مستغنية عنه^١.

وقد مرّ مراراً وتكراراً أنّ المشيئة الإلهية تعلقت بكون إيمان العباد وأفعالهم بأختيارهم وأتهم لا يكونون مجبورين.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿لَكِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل يفيد الاستدراك.

﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ اسم ﴿لَكِنَّ﴾ ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى المشركين أو جميع

الناس.

﴿تَجْهَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿لَكِنَّ﴾.

أمّا المشركون لا يطلبون المعجزات الاقتراحية إلاّ سخرية واستهزاء فكان إيمانهم من قبيل المحال في رأيهم. وأمّا جميع الناس لأنّ «الانسان الذي يعيشه في هذه الحياة الدُّنيا، فإنّه يعتمد على ما يصل إليه عن طريق الحواس، وينظر إلى ظواهر الأشياء ويعتمد عليها، ويحكم بأنّها هي المؤثّرة، جهلاً منه بالحقيقة التي عليها المخلوقات، من أنّها تفتقر إلى بارئها، فلا تأثير إلاّ بإذن منه سبحانه وتعالى»^٢.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ

زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۗ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾

بيانٌ لسنة من السنن الإلهية الجارية في أنبياء الله تعالى من إبتلائهم بعداوة أعداء

١. الميزان ٧/ ٣٢٠.

٢. مواهب الرحمن ١٤/ ٢٩٧.

الله بحيث صارت هذه العداوة من مميزات الرسالة الإلهية ومن شواهد صحة دعواهم في النبوة.

وتسليّة للرسول الأعظم ﷺ عمّا يلقاه من أعدائه قولاً وفعلاً وتذكيراً بأنّ العداوة للرسول لم تبدأ به ﷺ بل هي جارية في شأن جميع أنبياء الله تعالى.

﴿وَ اعْتِزَايَةُ وَمَا بَعْدَهَا جَمَلَةٌ مَعْتَرِضَةٌ بِمَنْزِلَةِ الْفَذْلِكَةِ.

﴿كَذَلِكَ﴾ مبتدأ. إشارة إلى الجعل الآتي في قوله: ﴿جَعَلْنَا﴾ والسنة التي مرّت آنفاً.

﴿جَعَلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، خبر، والمراد بالجعل هنا جعل السنة في هذه العداوة لا أنّه تعالى يجعل الأعداء أعداءً بحيث يسلب عنهم اختيارهم وأتهم صاروا مجبورين على عملهم لأنّ مصير هذا القول إلى الجبر الباطل في مذهبنا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

﴿لِكُلِّ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بـ ﴿جَعَلْنَا﴾، ﴿كُلِّ﴾ مفعول به ثانٍ لـ ﴿جَعَلْنَا﴾ ووجه تقديمه على الأوّل الاهتمام به.

﴿نَبِيِّ﴾ مضاف إليه.

﴿عَدُوًّا﴾ مفعول به أوّل. العدو: ضد الصديق والحبيب، يطلق على المفرد والمثنى والجمع والذكر والأنثى.

﴿شَيْطَانٍ﴾ بدل من ﴿عَدُوًّا﴾، جمع شيطان: بمعنى الشرير المتمرد، وغلب استعماله في «إبليس» وأتباعه.

﴿الْإِنْسِ﴾ مضاف إليه. «﴿الْإِنْسِ﴾: الإنسان وهو مشتقٌّ من التأنس والإلف، لأنّ البشر يألف بالبشر ويأنس به فسمّاه إنساً وانساناً^١. وشيطان الأنس: هو المظلل الذي يفعل الخبائث ويغري الناس بالباطل ويلبسه ثوب الحقّ.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/٨.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿آلَجِنَ﴾ في اللغة بمعنى الاستتار، ويطلق على ما يقابل الإنسان والملائكة، والمعروف أنهم مخلوقات لها الإرادة والشعور مستورة عن حواسنا بحسب طبعها، وهي من هذه الجهة تتفق مع الملائكة، ولكنها يفترقان في أن الأخير مخلوقات نورانية، وأمّا الجن فهي مخلوقات نارية، وأن إبليس الشيطان الأكبر منهم، كما نصّ عليه القرآن المجيد^١.

﴿يُوحِي﴾ فعل مضارع، حال لـ ﴿شَيْطِينِ﴾. الوحي: الكلام الخفي بين الإثنين لا يعرفه غيرهما.

﴿بَعْضُهُمْ﴾ فاعل ﴿يُوحِي﴾ ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى ﴿شَيْطِينِ﴾.

﴿إِلَى بَعْضٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُوحِي﴾.

﴿زُخْرَفٌ﴾ مفعول به ﴿يُوحِي﴾ أو نائب «عن المفعول المطلق من فعل ﴿يُوحِي﴾ لأن إضافة الزخرف إلى القول، الذي هو من نوع الوحي، تجعل ﴿زُخْرَفٌ﴾ نائباً عن المصدر المبين لنوع الوحي^٢، الزخرف: الزينة.

﴿أَلْقَوْلِ﴾ مضاف إليه. القول الباطل يحتاج إلى الزخرفة والتزيين والتحسين ليكسب القبول وإخفاء ما فيه من الباطل والضرر.

﴿عُرُورًا﴾ مفعول لإجله لـ ﴿يُوحِي﴾. «الغرور: الخداع والإطماع بالنفع لقصد الاضرار»^٣. أي يوحون ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾ ليغرّوهم.

﴿وَ﴾. استئنافية. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم.

﴿شَاءَ﴾ فعل ماض، فعل الشرط، والمشية هنا جعل السنة الإلهية العداوة

١. مواهب الرحمن ١٤ / ٢٩٨.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧ / ٩.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧ / ٩.

للأنبياء.

﴿رَبُّكَ﴾ فاعل ومضاف إليه. ﴿مَا﴾ نافية، ﴿مَا﴾ بعدها جواب الشرط.
 ﴿فَعَلُوهُ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. والضمير المفعولي راجع إلى العداوة
 المأخوذة من قوله: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ والضمير الفاعلي راجع إلى ﴿شَيْطِينِ الْإِنْسِ
 وَالْجِنِّ﴾ وهم الأعداء للأنبياء.
 ﴿فَ﴾ تفريعية.

﴿ذَرَّهُمْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» يرجع إلى الرسول الأعظم ﷺ
 ومفعول به والضمير المفعولي يرجع إلى الإعداء. ﴿ذَرَّ﴾: دَعَّ، اترك، أَعْرَضَ.
 ﴿وَ﴾ عاطفة بمعنى «مع» هنا.
 ﴿مَا﴾ موصولة، مفعول معه لـ ﴿ذَرَّهُمْ﴾.
 ﴿يَفْتُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الافتراء: التهمة. عبّر عن أقوالهم المزخرفة
 وخذاعهم بالافتراء.

روايتان

علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسين بن سعيد، عن بعض رجاله، عن
 أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بعث الله نبياً إلا وفي أمته شيطانان يؤذيانه ويضلّان الناس
 بعده؛

فأما صاحبنا نوح عليه السلام: فقنظيفوص وخرام، وأما صاحبنا إبراهيم عليه السلام فمكثل
 وزرّام، وأما صاحبنا موسى عليه السلام: فالسامري ومرعقيا، وأما صاحبنا عيسى عليه السلام:
 فبولس ومريتون وأما صاحبنا محمد ﷺ فحَبْرٌ وزُرَيْقٌ^١.
 والمراد بالآخرين الملعونان الملعومان «عبّر عنهما بهما تقيّة»^٢.

١. تفسير القمي ١/٣١٦، ح ٢٧.

٢. بحار الأنوار ٣٠/١٥٣، ذيل ح ٨، و٣١/٥٢٥، ذيل ح ٢٨.

روي عن أبي جعفر عليه السلام في معنى قوله ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ ان الشياطين يلقى بعضهم بعضاً فيلقي إليه ما يغوي به الخلق، حتى يتعلم بعضهم من بعض. ١.

شأن نزولها

نزلت في رسول الله ﷺ وفي أبي جهل. ٢.

﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ﴾

﴿وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾

بيان مشية الله وفعله تعالى في الآية السابقة كأن الله ﷻ يقول: «فعلنا ما فعلنا وشئنا ما شئنا ولم تمنع عن وحي بعضهم لبعض ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ لغايات مستورة ﴿وَلِتَصْغَىٰ﴾ وتجب ﴿إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ﴾ وليكتسبوا ما هم مكتسبون لينالوا بذلك جميعاً ما يسألونه بلسان استعدادهم من شقاء الآخرة، فإن الله سبحانه يمد كلاً من أهل السعادة وأهل الشقاء بما يتم به سيرهم إلى منازلهم ويرزقهم ما يقترحونه بلسان استعدادهم قال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَتُوْلَاءَ وَهَتُوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ٣. ٤.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: ﴿غُرُورًا﴾ في الآية السابقة، لأن معناه ليغرّوهم.

﴿ل﴾ لام التعليل والغرض والغاية.

١. التبيان ٤/ ٢٤٢.

٢. تفسير الحبري / ٢٦٦، ح ٢٧، ونقل عنه في تفسير فرات الكوفي / ١٣٥، ح ١٦٠.

٣. سورة الإسراء / ٢٠.

٤. الميزان ٧/ ٣٢٢.

﴿تَصَغَى﴾ فعل مضارع منصوب بـ«أن» مضمرة بعد اللام.
صغى: مال، ﴿تَصَغَى﴾: تميل. «ومنه أطلق: أصغى بمعنى استمع، لأنَّ أصله
أمال سَمَعَهُ أو أذُنُهُ ثمَّ حذفوا المفعول لكثرة الاستعمال. وهو هنا مجاز في الاتباع وقبول
القول»^١.

﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿تَصَغَى﴾. والضمير عائد إلى ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾ أو
الوحي المذكور في الآية السابقة.

﴿أَفْتَدُهُ﴾ فاعل ﴿تَصَغَى﴾ جمع فؤاد كما مرّ^٢، وهذا الصغى من علل تقليب
أفدتهم في قوله تعالى: و ﴿نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾^٣.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مضاف إليه.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله.

﴿بِالْآخِرَةِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾. «ويستفاد من الآية الشريفة
أنّ تلك الأساليب المزيّنة، وزخارف القول توجب ميل الأفتدة إليها، والوقوع في
الخداع التي توجب صرف القلوب عن الحقّ والإعراض عن الحقيقة، فإنّ القلوب
المائلة التي تستولي عليها الزخارف، وانبهارها بالزينة التي توقع الإنسان في أعظم
الغرور، إلّا من يؤمن بالآخرة ويفكر في عواقب الأمور، ولعلّ الاقتصار على هذا
العنصر من عناصر الإيذان، لان الإيذان بالآخرة هو الداعي إلى التفكّر والبحث عن
الحقيقة والاعتقاد بسائر العناصر»^٤.

﴿وَ﴾ عاطفة.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ١٠.

٢. في سورة الأنعام / ١١٠.

٣. في سورة الأنعام / ١١٠.

٤. مواهب الرحمن ١٤ / ٣٠٢.

﴿لَيْرِضَوْهُ﴾ لام التعليل وفعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة وفاعله ومفعول به، معطوف على ﴿لِتَصْغَى﴾ «وإن كان الصَّغِي يَقْتَضِي الرِّضَى وَيَسْبِيهِ فَكَانَ مَقْتَضِي الظاهر أن يعطف بالفاء وأن لا تكرر لام التعليل، فخولف مقتضى الظاهر، للدلالة على استقلاله بالتعليل، فعطف بالواو وأعيدت اللام لتأكيد الاستقلال، فيدل على أن صَغِيَ أَفْتَدَتْهُمْ إِلَيْهِ مَا كَانَ يَكْفِي لِعَمَلِهِمْ بِهِ إِلَّا لِأَتْنَهُمْ رِضْوَهُ»^١.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لِيَقْتَرِفُوا﴾ معطوف على قوله: ﴿لَيْرِضَوْهُ﴾ أو ﴿لِتَصْغَى﴾. الاقتراف: اكتساب الإثم، ﴿لِيَقْتَرِفُوا﴾: ليكتسبوا الإثم. «وأصله اقتطاع قطعة من الشيء»^٢ ف«الاقتراف افتعال من قرف إذا كسب سيئة»^٣.
﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ.

﴿مُقْتَرِفُونَ﴾ خبر، جمع مذكر سالم اسم فاعل. «جاء في صلة الموصول بالجملة الاسمية في قوله: ﴿مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ للدلالة على تمكّنهم في ذلك الاقتراف وثباتهم فيه»^٤.

هذه الآية وما قبلها «ابتدأت بالخداع، ثم الميل، فالرضا، ثم فعل الاقتراف، فكل واحد مسبب عما قبله. أي فليرضوا بافرائهم وأفعالهم من غير تفكّر في عواقب الأمور، وما يترتب عليه من الآثار السيئة، ويكتسبوا بذلك القبائح والآثام لينالوا جزاء أعمالهم في الآخرة»^٥.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٠/٧.

٢. التبيان ٢٤٤/٤.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٠/٧.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٠/٧.

٥. مواهب الرحمن ١٤/٣٠٢.

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ
ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ

فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾

تفريع على ما أنزل الله «من الآيات البينات والبراهين الزاهرات التي تدل على توحيدة في الألوهية والعبادة، كما أنزل القرآن الكريم الذي وصفه ﷺ بأنه كتاب مبارك، لما يشتمل من التشريعات الرائعة والدين القويم التي تهدي الإنسان إلى سبيل السعادة، والفوز بالفلاح، والوصول إلى صلاح حاله في النشاطين، وعلى ضوء تلك لا بد أن يكون الحكم هو الله تعالى، ولا يعقل أن يكون غيره حكماً، لأنه الموصوف بكل أوصاف الكمال، والعالم بالحقائق وأسرار الموجودات، والرسول ﷺ أول من يعرف خالقه، فيكون سعيه ومبتغاه أن يتخذ حكماً في جميع شؤونه»^١.

«وتتصل هذه الآية بالصراع والعداء بين النبي والمشركون الذين اقترحوا عليه الخوارق، والمعنى ان النبي ﷺ قال للمشركون انكم تتحكمون في طلب المعجزات، وتقترحون على الاقتراحات، وليس لي أن أتعدى حكم الله، وقد أنزل عليكم القرآن كافياً وافياً بما تحتاجون من معرفة الحق والحلال والحرام، مغنياً عن غيره بمبادئه وتعاليمه، مثبتاً لصدقه بأسلوبه المعجز، وشريعته الخالدة، وأخباره عن كثير من المغيبات، فطلبكم المزيد، والحال هذه، إن هو إلا عناد ومكابرة»^٢.

﴿أ﴾ استفهام انكار وتعجيب، «أمر الله تعالى نبيه أن يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى ذكرهم»^٣ «فتقدير القول متعين لأن الكلام لا يناسب إلا أن يكون من قول

١. مواهب الرحمن ١٤ / ٣١٧.

٢. التفسير الكاشف ٣ / ٢٥٢.

٣. التبيان ٤ / ٢٤٤.

النبي ﷺ^١.

﴿فَ﴾ تفرعية، وجواب مجموع مقترحاتهم وأقوالهم.

﴿غَيْرَ﴾ مفعول به أول مقدم لـ ﴿أَبْتَنِي﴾، قدمه لأنه محل الإنكار وتحقيق بموالاتة

الاستفهام الإنكاري.

﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه.

﴿أَبْتَنِي﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا» بمعنى اتخذ وهي تتعدي إلى

مفعولين.

﴿حَكَمًا﴾ مفعول به ثان، «الحكم والحاكم بمعنى واحد، إلا ان الحكم هو من

كان أهلاً أن يتحاكم إليه فهو أمدح من الحاكم، والحاكم جار على الفعل، وقد يحكم

الحاكم بغير الحق، والحكم لا يقضي إلا بالحق لأنها صفة مدح وتعظيم.

والمعنى هل يجوز لاحد ان يعدل عن حكم الله رغبة عنه، لانه لا يرضى به؟! أو

هل يجوز مع حكم الله حكم يساويه في حكمه؟!^٢.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ، عائد إلى ﴿اللَّهُ﴾ تعالى.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، خبر.

﴿أَنْزَلَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿إِلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾، والضمير عائد للمشركين أو الناس.

﴿أَلَكْتَبَ﴾ مفعول به، ﴿أَلَكْتَبَ﴾: القرآن، والتعريف للعهد الحضوري.

﴿مُفَصَّلًا﴾ حال من ﴿أَلَكْتَبَ﴾. «التفصيل تبيين المعاني بما ينفي التخليط المعمي

للمعنى، وينفى أيضاً التداخل الذي يوجب نقصان البيان عن المراد. وانما فصل

القرآن بالآيات التي تفصل المعاني بعضها من بعض وتخلص الدلائل في كل فن»^٣.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١١ / ٧.

٢. التبيان ٤ / ٢٤٥.

٣. التبيان ٤ / ٢٤٥.

بعبارة أخرى: ﴿مُفْصَلًا﴾ أي «متميزاً بعض معارفه من بعض غير مختلط بعض أحكامه ببعض»^١.

وبعبارة ثالثة مختصرة: ﴿مُفْصَلًا﴾: مبيّناً.

وحاصل المعنى إلى هنا: «لا يستحق الحكم إلا من هو على هذه الصفة»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ، معطوف على ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَى﴾ أو على ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾.

﴿ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به أول، والضمير المفعولي يرجع إلى علماء اليهود والنصارى، ويحتمل أنه عائد إلى علماء المسلمين المؤمنين.

﴿الْكِتَابَ﴾ مفعول به ثانٍ، بناءً على معنى الأول يكون المراد به التوراة والإنجيل، وعلى المعنى الثاني، القرآن.

﴿يَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿أَنَّهُ﴾ حرف مشبهه بالفعل واسمه، والضمير عائد إلى ﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن.

﴿مُنزَّلٌ﴾ خبر ﴿أَنَّهُ﴾. «قرأ ابن عامر وحفص ﴿مُنزَّلٌ﴾ بتشديد الزاي. الباقون

بالتخفيف.

من شدد حملة على التكرير بدلالة قوله ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^٣.

ومن خفف فلقوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ﴾^٤ وما أشبهها^٥.

﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿مُنزَّلٌ﴾.

١. الميزان ٧/ ٣٢٧.

٢. الميزان ٧/ ٣٢٧.

٣. سور: الزمر / ١، الجاثية / ١، الاحقاف / ٢.

٤. سورة الدخان / ٣.

٥. التبيان ٤/ ٢٤٤.

﴿بِالْحَقِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مُتَّزِلٌ﴾. والباء للملابسة لأن كل ما ورد في القرآن حقٌّ وثابتٌ وصحيحٌ وكذا التنزيل بالحق هو أن لا يكون بتنزيل الشياطين أو بتخليطهم بعض الباطل بالوحي الإلهي أو بطريق الكهانة أو بإملاء المردة كما يستفاد ذلك أيضاً من نسبة التنزيل إلى ﴿رَبِّكَ﴾، بل عدّ التنزيل من آثار الربوبية.

﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿لَا﴾ ناهية.

﴿تَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص في محل جزم بـ ﴿لَا﴾ ناهية ونون تأكيد الثقيلة واسمه ضمير مستتر «أنت»، و «الخطاب للنبي ﷺ» والمراد به الأمة^١ لعدم إمكان ورود الامتراء والمرية والارتياب والترديد والشك في مقام النبوة كما هو الواضح.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جار ومجرور في محل نصب خبر ﴿لَا تَكُونُ﴾. «الامتراء: الشك وكذا المربة»^٢، ولأنه إذا كان حقاً فلا ينبغي الترديد والارتياب والامتراء فيه.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

تتمة الآية السابقة.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾^٣.

﴿تَمَّتْ﴾ فعل ماض مؤنث. حقيقة التمام هي كون الشيء وافراً أجزائه والمراد به هنا معناه المجازي وهو بلوغ الشيء إلى أحسن ما يبلغه مما يراد منه.

١. التبيان ٤/٢٤٦.

٢. التبيان ٤/٢٤٦.

٣. سورة الأنعام / ١١٤.

أو التمام بمعنى التحقق فقد يطلق التمام على حصول المنتظر وتحققه.
أو التمام بمعنى انتهاء الشيء إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه. والكل قابل للتطبيق هنا.

﴿كَلِمَاتٌ﴾ فاعل. «قرأه الجمهور - بصيغة الجمع - وقرأه عاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: كلمة - بالإنفراد»^١. والكلمة في القرآن الكريم يطلق على معان متعددة:

منها: القول الحق من القضاء أو الوعد.

ومنها: العين الخارجي.

ومنها: القرآن الكريم.

ومنها: الدعوة الإسلامية والشريعة المحمدية والقرآن الكريم وهذا الأخير هو المراد هنا.

«المراد بتمام الكلمة - والله أعلم - بلوغ هذه الكلمة أعني ظهور الدعوة الإسلامية بنبوته محمد ﷺ ونزول الكتاب المهيم على جميع الكتب، مرتبة الثبوت واستقرارها في مستقر التحقق بعد ما كانت تسير دهرًا طويلاً في مدارج التدرج بنبوته بعد نبوة وشريعة بعد شريعة فإن الآيات الكريمة دالة على أن الشريعة الإسلامية تتضمن جمل ما تقدمت عليه من الشرائع وتزيد عليها بما ليس فيها كقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾^٢»^٣.

﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ١٥.

٢. سورة الشورى / ١٣.

٣. الميزان ٧/ ٣٢٩.

﴿صِدْقًا﴾ مفعول من أجله لـ ﴿تَمَّتْ﴾ أو حال لـ ﴿كَلِمَتُ﴾ أو التمييز أي تمييز النسبة أي تمت من جهة الصدق.

الصدق: القول المطابق للواقع.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿عَدْلًا﴾ إعرابه كما مرّ في ﴿صِدْقًا﴾، والعدل: اعطاء كلّ ذي حقّ حقه أو إعطاء مَنْ يستحقّ ما يستحقّ.

﴿لَا﴾ نافية للجنس.

﴿مُبَدَّلَ﴾ اسم لا، التبديل: جعل الشيء مكان شيءٍ آخر ومجازاً يستعمل في إبطال الشيء ونقضه.

﴿لِكَلِمَتَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بخبر ﴿لَا﴾. وقد مرّ معنى الكلمة.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ.

﴿الَّسَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ خبراه. «فهو السميع يستجيب ما تدعونه بلسان حاجاتكم، العليم بمكنونات النفوس وحقيقة ما عندكم من الحاجة، كما أنّه سميع لأقوال الكافرين المضلّة، عليمٌ بما في قلوبهم من الاعتقادات الزائفة، ومقاصدهم الهدامة، ونيّاتهم الفاسدة، وهذان وصفان يتّصف بهما سبحانه، يدلّان على سعة علمه بالجزئيات، فلم يخرج مخلوق عن علمه الأتمّ، فما أتمّها من الكلمات مضمونة تحت علمه فلا يدخل فيها ضلال المشركين»^١.

قال شيخ الطائفة: «وفي الآية دلالة على أنّ كلام الله مُحَدَّثٌ لآلته وصفه بالتمام والعدل وذلك لا يكون إلاّ حادثاً»^٢.

١. مواهب الرحمن ١٤/٣٢٣.

٢. التبيان ٤/٢٤٨.

رواية

صحيحة ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا خلق الله الإمام في بطن أمه، يكتب على عضده الأيمن: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^١.

قد وردت عدة من الروايات في هذا المجال من أن الآية الشريفة يكتب على عضد الأيمن للإمام^٢ أو بين كتفيه^٣ أو بين عينيه^٤ وهو كناية عن مقام الولاية والإمامة، ففي عينه ووجهه يطلع نور الإمامة وبعضه يديرها ويدبّر أمرها وبما بين كتفيه يحمل أثقاليها^٥ ومن المعلوم أحد مصاديق كلمة الله الإنسان الكامل من الأنبياء والأوصياء وعلى رؤوسهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصيائه الأثني عشر المهادين المهديين المعصومين عليهم السلام.

ولذا قال السيد نعمة الله الجزائري رحمته الله: «الأخبار الواردة بأن كلمات الله هم الأئمة عليهم السلام مستفيضة ووجه المناسبة ظاهر»^٦.

﴿وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا

الظنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾

«خطاب من الله لنبيه ولجميع المؤمنين انه من يطع أكثر من في الأرض من الكفار ويتبع ما يريدونه يضلوه عن سبيل الله، لانه كان في ذلك الوقت أكثر أهل

١. تفسير القمي ١/٣١٧، ح ٢٨.

٢. الكافي ١/٣٨٦، ح ١ و ١/٣٨٧، ح ٣ (من طبعة الغفاري).

٣. الكافي ١/٣٨٧، ح ٤.

٤. تفسير القمي ١/٣١٧، ح ٢٩؛ الكافي ١/٣٨٧، ح ٢.

٥. راجع تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن ٤/١٣٧.

٦. عقود المرجان في تفسير القرآن ٢/٨٢.

الأرض كفارا»^١.

وفي الآية دلالة على «أن أكثر أهل الأرض لركونهم العام إلى الظن والتخمين لا يجوز طاعتهم فيما يدعون إليه ويأمرون به في سبيل الله وطريق عبوديته لأن الظن ليس مما يكشف به الحق الذي يستراح إليه في أمر الربوبية والعبودية لملازمته الجهل بالواقع وعدم الاطمئنان إليه، ولا عبودية مع الجهل بالرب وما يريده من عبده. فهذا هو الذي يقضي به العقل الصريح، وقد أمضاه الله سبحانه»^٢.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿تَطَعٌ﴾ فعل مضارع مجزوم، فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر «أنت» الطاعة: اسم مصدر «بمعنى انقاد وفعل ما يؤمر به عن رضي دون ممانعة، فالطاعة ضد الكره»^٣. «والطاعة: هي امتثال الأمر وإجابة ما أريد منه إذا كان المريد فوقه»^٤.

﴿أَكْثَرٌ﴾ مفعول به. ﴿مَنْ﴾ اسم موصول، مضاف إليه.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلق بفعل أو اسم محذوف تقديره: استقرّ أو مستقرٌّ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾. والوجه في هذه الأكثرية لأنّ الغالب ﴿مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ إمّا عقائدهم فاسدة باطلة أو أعمالهم وأفعالهم ظالمة غير صحيحة فلذا عبّر بـ﴿أَكْثَرٌ﴾.

﴿يُضِلُّوكُ﴾ فعل مضارع مجزوم، جواب الشرط وفاعله ومفعول به.

﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ﴿يُضِلُّوكُ﴾. طاعة الأكثر

يوجب الضلال ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بما مرّ من المعنى في وجه الأكثرية.

﴿إِنْ﴾ نافية بمعنى «ما» النافية.

١. التبيان ٤/٢٤٨.

٢. الميزان ٧/٣٣١.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/١٩.

٤. التبيان ٤/٢٤٨.

﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، يدلّ على الاستمرار. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.
 ﴿الظَّنَّ﴾ مستثنى، ﴿إِنْ﴾ نافية و ﴿إِلَّا﴾ يفيدان الحصر، يعني: ﴿أَكْثَرُ مَنْ فِي
 الْأَرْضِ﴾ لا ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ والاتباع للظن يصير سبب ضلالتهم وإضلال مَنْ
 يتبعهم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنْ﴾ معطوفة على ﴿إِنْ﴾ السابقة.
 ﴿هُمْ﴾ مبتدأ. والضمير عائد إلى ﴿أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.
 ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.

﴿تَحْرُصُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر، الحَرْصُ: الكذب، تحرّص واخترص:
 افتري وكذب، الحِرَاصُ، الكَذَابُ، والقول بالحرص سبب آخر لضلّال ﴿أَكْثَرُ مَنْ
 فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿١١٧﴾

«خاطب الله بهذه الآية نبيه ﷺ وإن عني به جميع الأمة»^١ وتعليل لما ورد في
 الآية السابقة من قوله: ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^٢،
 والنهي عن طاعتهم، وعلل الحكم بعلم الله دون حكم العقل وقد جمع الله سبحانه بين
 حكمي الله والعقل كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۗ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۗ وَإِنَّ
 الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۗ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
 ۗ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ

١. التبيان ٤/ ٢٥٠.

٢. سورة الأنعام ١١٦.

أَهْتَدَى^١. والآية الأولى مدلول حكم العقل والثانية والثالثة حكم الله تعالى.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿رَبِّكَ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ ومضاف إليه. والضمير عائد إلى رسول الأعظم ﷺ.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ، عائد إلى ﴿رَبِّكَ﴾.

﴿أَعْلَمُ﴾ خبر ﴿هُوَ﴾، و ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، ﴿أَعْلَمُ﴾: أعرف، «ذكروا أن

﴿أَعْلَمُ﴾ إذا لم يتم بمن ربما أفاد معنى التفضيل وربما استعمل بمعنى الصفة خالية عن التفضيل، والآية تحتمل المعنيين جميعاً فإن أريد حقيقة العلم بالضالين والمهتدين فهو لله سبحانه لا يشاركه فيها أحد حتى يفضل عليه، وإن أريد مطلق العلم أعم مما كان المتصف به متصفاً بذاته أو كان اتصافه به بعطية منه تعالى كان المتعين هو معنى التفضيل فإن لغيره تعالى علماً بالضال والمهتدي قدر ما أفاضه الله عليه من العلم»^٢.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول، «في محل نصب بنزع الخافض، أي ﴿أَعْلَمُ﴾ بـ ﴿مَنْ يَضِلُّ﴾ و ﴿أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، [لأن أفعال التفضيل لا ينصب بنفسه مفعولاً به لضعف شبهه بالفعل، بل إنَّها يتعدى إلى المفعول بالباء أو باللام أو بالياء، ونصبه المفعول نادر، وحقه هنا أن يعدى بالباء، فحذفت الباء إيجازاً حذف، تعويلاً على القرينة^٣] ويجوز أن يكون ﴿أَعْلَمُ﴾ بمعنى يعلم، و ﴿مَنْ﴾ مفعول، بل هو الأرجح عندنا^٤؛ أو استفهامية مرفوعة بالابتداء وخبره ﴿يَضِلُّ﴾ ومعناه: ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أيُّ الناس ﴿يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ﴾^٥.

١. سورة النجم / ٣٠-٢٨.

٢. الميزان / ٧ / ٣٣١.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور / ٧ / ٢٣.

٤. التفسير الكاشف / ٣ / ٢٥١.

٥. راجع روض الجنان / ٨ / ١٦؛ عقود المرجان في تفسير القرآن / ٢ / ٨٣؛ الوجيز في تفسير القرآن العزيز / ١ / ٤٤٠.

﴿يَضِلُّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو».
 ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ﴿يَضِلُّ﴾ والضمير عائد إلى
 ﴿اللَّهِ﴾ الوارد في قوله: ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^١.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ معطوف على ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ السابق.
 ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾. قال في الميزان: «وتعدي أعلم
 بالباء في قوله: ﴿أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ يدل على أن قوله: ﴿مَنْ يَضِلُّ﴾ منصوب بنزع
 الخافض والتقدير: ﴿أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ﴾ ويؤيده ما نقلناه آنفاً من آية سورة النجم^٢»^٣.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَايِنْتِهِءَ مُؤْمِنِينَ﴾

«إثبات للتوحيد في الحكم والتشريع بعد إثبات التوحيد في الخلق والتدبير،
 والآية مترتبة على ما تقدم من النهي عن إتباع المضللين الذين نفى عنهم حق التشريع،
 فالله أحق بأن يطاع من غيره فيجب امتثال ما شرّعه من الأحكام.
 فهذه الآيات تدل على التوحيد في الحكم، ورفض حكم من يتبع هواه،
 والإعراض عمّن يوحي إليه شياطين الإنس والجن»^٤.
 ﴿وَ﴾ تفريعية أو عاطفة وفيه قولان:

«أحدهما: انه جواب لقول المشركين لما قالوا المسلمين: أتأكلون ما قتلتم ولا
 تأكلون ما قتل ربكم؟ فكأنه قيل: اعرضوا عن جهلكم فكلوا.

١. سورة الأنعام / ١١٦.

٢. سورة النجم / ٣٠.

٣. الميزان / ٧ / ٣٣١.

٤. مواهب الرحمن / ١٤ / ٣٢٧.

والثاني: ان يكون عطفا على ما دل عليه أول الكلام، كأنه قال: كونوا على الهدى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه^١.

﴿كُلُوا﴾ فعل أمر وفاعله ومفعوله محذوف و «مِنْ» دالة عليه، والمراد به الإباحة لأنه في مقام توهم الحظر ولأنه «مسببٌ عن إنكار اتباع الكفرة المحلين للحرام والمحرمين للحلال»^٢. والأمر في مقام توهم الحظر لا يدل إلا على الإباحة «لأن الأكل ليس بواجب ولا مندوب، اللهم إلا ان يكون في الأكل استعانة على طاعة الله، فانه يكون الأكل مرغبا فيه، وربما كان واجبا، فأما ما يمسك الرمق فخارج عن ذلك، لأنه عند ذلك يكون الإنسان ملجأ إلى تناوله. ومثل هذه الآية في لفظ الأمر والمراد به الإباحة قوله ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾^٣ وقوله ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^٤ والاصطياد والانتشار مباحان بلا خلاف»^٥.

﴿مِمَّا﴾ مكونة مِنْ «مِنْ» و «ما» موصولة، جار ومجرور متعلق بـ﴿كُلُوا﴾. والمراد بـ«ما» الذبيحة المذكورة. و «مِنْ» للتبعيض أو بيانية.

﴿ذُكِرَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿أَسْمٌ﴾ نائب فاعل.

﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه.

﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿ذُكِرَ﴾. والمقصود من أول الآية إلى هنا هو التفريق بين المذكى والميتة ﴿فَكُلُوا﴾ من الأول ولا تأكلوا من الثاني وإن كان الكافرون يجادلونكم في الفرق بينهما، وبين غيرهما من الحلال والحرام مثل البغي والنكاح، والخمر والخلل، والفقاع وماء الشعير، والربا والبيع، والكذب والصدق، والحرام

١. التبيان ٤/ ٢٥١.

٢. الوجيز في تفسير القرآن العزيز ١/ ٤٤٠.

٣. سورة المائدة / ٢.

٤. سورة الجمعة / ١٠.

٥. التبيان ٤/ ٢٥١.

والحلال، ونحوها.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه، في محل جزم فعل الشرط.

﴿بِأَيَّتِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿مُؤْمِنِينَ﴾. والضمير عائد إلى

﴿اللَّهِ﴾.

﴿مُؤْمِنِينَ﴾ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾، وجواب الشرط محذوف لتقدم معناه وتقديره: ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِأَيَّتِهِ﴾. ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، وبالجملة مقتضى الإيذان «استباحة ما أحلّ دون ما حرّم»^١. والآية الشريفة «خطاب للمؤمنين وفيه دلالة على وجوب التسمية على الذبيحة، لان الظاهر يقتضي أن ما لا يسمى عليه لا يجوز أكله بدلالة قوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِأَيَّتِهِ﴾ مؤْمِنِينَ﴾ لان هذا يقتضي مخالفة المشركين في أكلهم ما لم يذكر اسم الله عليه، فأما ما لم يذكر اسم الله عليه سهوا أو نسيانا فانه يجوز أكله على كل حال. والآية تدل على أن ذبائح الكفار لا يجوز أكلها، لانهم لا يسمون الله عليها. ومن سمى منهم لانه لا يعتقد وجوب ذلك بل يعتقد ان الذي يسميه هو الذي أبدى شرع موسى أو عيسى وكذب محمد بن عبدالله، وذلك لا يكون الله، فإذا هم ذاكرون اسم شيطان والاسم انما يكون المسمى مخصوص بالقصد. وذلك مفتقر إلى معرفته واعتقاده، والكفار على مذهبننا لا يعرفون الله تعالى، فكيف يصح منهم تسميته تعالى؟! وفي ذلك دلالة واضحة على ما قلناه»^٢.

روايتان

عن محمد بن مسلم قال: سألته عن الرجل يذبح الذبيحة فيهلل أو يسبح أو


١. الوجيز في تفسير القرآن العزيز ١ / ٤٤٠.

٢. التبيان ٤ / ٢٥٢.

يحمد أو يكبر؟ قال: هذا كله من أسماء الله. ١.

عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن ذبيحة المرأة والغلام هل يؤكل؟ قال: نعم إذا كانت المرأة مسلمة، وذكرت اسم الله حلت ذبيحتها، وإذا كان الغلام قويا على الذبح وذكر اسم الله حلت ذبيحته، وإذا كان الرجل مسلماً فنسى أن يسمى فلا بأس بأكله، إذا لم تتهمه. ٢.

﴿وَمَا لَكُمْ إِلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ
إِلَّا مَا اضْطُررْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ 

الظاهر «أن محرمات الأكل نزلت قبل سورة الأنعام وقد وقعت في سورة النحل من السور المكية فهي نازلة قبل الأنعام» ٣.

وأما هذه الآية الشريفة في بيان «تفصيلي لإجمال التفريع الذي في الآية السابقة، والمعنى: أن الله ﴿فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ واستثنى صورة الاضطرار وليس فيما فصل لكم ﴿مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ فلا بأس بأكله ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين عن حدوده وهؤلاء هم المشركون القائلون: لا فرق بين ما قتلتموه أنتم وما قتله الله فكلوا الجميع أو دعوا الجميع» ٤.

وقد نُسب^٥ إلى الشريف المرتضي رحمته الله: «أن سبب نزول هذه الآية أن المسلمين

١. تفسير العياشي ١١٦/٢، ح ٨٥.

٢. تفسير العياشي ١١٦/٢، ح ٨٦.

٣. الميزان ٧/٣٣٢.

٤. الميزان ٧/٣٣٢.

٥. الناسب هو ابن عاشور في تفسيره ٧/٢٦.

كانوا يتحرّجون من أكل الطيبات تقشفاً وتزهداً.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾^١.

﴿مَا﴾ استفهام تعجيبى في معنى النفي، أي ليس لكم أن ﴿لَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ

اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. مبتدأ.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور، متعلّق بخبر المبتدأ. «ل» للاختصاص، والخطاب

للمسلمين المؤمنين.

﴿الَّا﴾ مكونة من «أن» مصدرية ناصبة و «لا» نافية.

﴿تَأْكُلُوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ«أن» وفاعله. «أن» ﴿لَا تَأْكُلُوا﴾ بتأويل

مصدر، في محلّ جرّ «في» مُقدَّر، والمجرور متعلّق بخبر المبتدأ.

﴿مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ مرّ اعرابه ومعناه في الآية السابقة.

﴿وَ﴾. حالية. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿فَصَلَّ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿اللَّهِ﴾. وحال منه ﴿كَانَ

والتفصيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ

اللَّهِ بِهِ ۗ فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^٢.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿فَصَلَّ﴾. ﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿حَرَّمَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير «هو».

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿حَرَّمَ﴾.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء، استثناء متصل من ﴿مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿مَا﴾ موصولة، في محل نصب بالاستثناء.

﴿أَضْطُرَّتُمْ﴾ فعل ماض مبنى للمجهول ونائب فاعله.

١. سورة الأنعام / ١١٨.

٢. سورة النحل / ١١٥.

﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَضْطَرَّتُمْ﴾، يعني في حالة الاضطرار يجوز أكله بمقدار يرفع به الاضطرار. والاضطرار هو الخوف من هلاك النفس عند ترك تناول وعند الاضطرار يرفع الحرمة.

وأما «اختلفوا في مقدار ما يسوغ له حينئذ تناوله، فعندنا لا يجوز له ان يتناول إلا ما يمسك الرمق. وفي الناس من قال: يجوز له أن يشبع منه إذا اضطر إليه وان يحمل منها معه حتى يجد ما يأكله»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على ﴿وَ﴾ في أول الآية.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿كَثِيرًا﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿لَا﴾ لام المزحلقة، تأكيد.

﴿يُضِلُّونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، والمراد بالمُضِلُّ هنا من حكم بغير ما أنزل الله وحلّل الحرام وحرّم الحلال.

﴿بِأَهْوَاءِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿يُضِلُّونَ﴾. والباء للسببية. أي بسبب هواه النفسانية وشهواته الباطلة.

﴿بِعَيْرٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُضِلُّونَ﴾، والباء للملابسة.

﴿عَلِمَ﴾ مضاف إليه. والمراد بـ ﴿عَلِمَ﴾ هنا الجزم المطابق. للواقع عن دليل وعلى خلاف الظن والخرص.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبِّكَ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ ومضاف إليه.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ.

﴿أَعْلَمُ﴾ خبر، «ولأنه سبحانه يعلم الشيء على حقيقته ومن جميع جهاته، وغيره يعلم الشيء من بعض جهاته، فيكون علمه ناقصاً وعلم الله تاماً»^٢.

١. التبيان ٤/٢٥٤.

٢. مواهب الرحمن ١٤/٣٢٩.

﴿بِالْمُعْتَدِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَعْلَمُ﴾، جملة ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ خبر
﴿إِنَّ﴾. ﴿الْمُعْتَدِينَ﴾: المتجاوزين عن حدود الله وشرائعه. «تذليل يبين شناعة أفعال
المضللين، فإنهم المعتدون المتجاوزون الحق إلى الباطل، وفيه التوعيد والمجازاة على
اعتدائهم. والالتفات عن خطاب المؤمنين إلى خطاب الرسول ﷺ، للدلالة على أنه
مبعوث الهداية ومبينها، وأن ربه يحوطه بعنايته، فلا يضره اعتدائهم على شرع الله ﷻ»^١.

﴿وَذُرُوا ظَهَرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنُهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ

بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

خطاب إلى المؤمنين بترك جميع مصاديق الإثم والمعاصي واجمال معناه: إن أردتم
التقرب والزلقى إلى الله تعالى فتقربوا إليه بترك جميع مصاديق الإثم.
﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾، أو
اعتراضية وما بعدها جملة معترضة بين آيتي السابقة واللاحقة.
﴿ذُرُوا﴾ فعل أمر وفاعله. بمعنى اتركوا ودعوا.
﴿ظَهَرَ﴾ مفعول به، «الظاهر: هو الكائن على وجه يمكن إدراكه»^٢. ومع قيام
الدلالة على كونه إثماً وارتكابه علانية بحيث يراه الناس.
﴿الْإِثْمِ﴾ مضاف إليه. «ال» للاستغراق. الإثم: الذنب والمعصية.
﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿بَاطِنُهُ﴾ معطوف على ﴿ظَهَرَ الْإِثْمِ﴾ ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى الإثم.

١. مواهب الرحمن ١٤/٣٢٩.

٢. التبيان ٤/٢٥٥.

«والباطن: هو الكائن على وجه يتعذر ادراكه»^١ ومع قيام الدلالة على كونه إثماً وارتكابه سرّاً بحيث لا يطلع عليه في السرّ.

«والمقصود من هذين الوصفين تعميم افراد الإثم لانحصارها في هذين الوضعين كما يقال: المشرق والمغرب والبرّ والبحر لقصد استغراق الجهات»^٢.

وللمفسرين في تفسير ﴿ظَهَرَ الْإِثْمَ وَبَاطِنَهُ﴾ أقوال:

منها: «إنّ الجاهلية كانت ترى ان الزنا إذا أظهر واعلن كان فيه اثم، فإذا استسّر به صاحبه لم يكن اثماً - ذكره الضحاك - .

وقال الجبائي الظاهر: أفعال الجوارح، والباطن: أفعال القلوب.

وقال غيره: الظاهر الطواف بالبيت عرباناً والباطن الزنا... .

وقال قوم: ظاهر الاثم الزنا، وباطنه اتخاذ الاخذان - ذكره السدي والضحاك - .

وقال سعيد بن جبير ظاهر الاثم امرأة الأب وباطنه الزنا»^٣.

وقال العلامة الطباطبائي رحمته الله: «أنّ المراد بظاهر الإثم المعصية التي لا ستر على شؤم عاقبته ولا خفاء في شناعة نتيجته كالشرك والفساد في الأرض والظلم، وباطن الإثم ما لا يعرف منه ذلك في بادىء النظر كأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وإنما يتميز هذا النوع بتعريف إلهي، وربما أدركه العقل، هذا هو الذي يعطيه السياق من معنى ظاهر الإثم وباطنه»^٤.

وقال السيّد السبزواري رحمته الله بعد نقل مقال الطباطبائي: «كما أنّه يشمل ظاهر

الإثم وهو المعاصي الجوارحية، وباطنه المعاصي الجوانحية.

١. التبيان ٤/ ٢٥٥.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ٢٩.

٣. التبيان ٤/ ٢٥٥.

٤. الميزان ٧/ ٣٣٣.

أو لأنّ المعاصي على قسمين:

الأوّل: ما يتوقّف وجودها على وجود شخص آخر؛ كالغيبة والقتل والزنا ونحوها.

والثاني: ما لا يعلم غالباً إلا من طرف الفاعل كالغشّ مثلاً بالنسبة إلى بعض مراتبه، والنفاق ونحوها.

فالمعاصي الظاهرية هو القسم الأوّل، والباطنية هو القسم الآخر. وسيأتي في سورة الأعراف: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾^١ بعض الكلام. ويمكن أن يُراد بالمعاصي الظاهرة المراتب الشديدة منها، والمراد بالباطنة الضعيفة، فتكون الظاهرة والباطنة حينئذٍ من الأمور الإضافية^٢.

ويمكن أن يقال: «جميع ما حرّم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحلّ الله تعالى في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق»^٣. كما ورد في الخبر.

وما ذكرته من ارتكاب الإثم علانية وسراً هو الظاهر والأعم والله العالم.

﴿إِنَّ﴾ تأكيد. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿يَكْسِبُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، وفيه دلالة على الاختيار ونفي الجبر.

«الكسب هو فعل ما يجتلب به نفع إلى نفسه أو يدفع به ضرر»^٤.

﴿الْإِثْمَ﴾ مفعول به. وفي اظهار لفظ ﴿الْإِثْمَ﴾ ما يدلّ على تنديده واستقراره في

ذهن السامع.

١. سورة الأعراف / ٣٣.

٢. مواهب الرحمن ١٤ / ٣٣٠.

٣. الكافي ٢ / ٢٥٧، ح ١٠ (١ / ٣٧٤)، رواية محمد بن منصور. ضعيفة الإسناد بأبي وهب.

٤. التبيان ٤ / ٢٥٦.

﴿س﴾ حرف تسويف للقريب.

﴿يُجَزَوْنَ﴾ فعل مضارع مجهول ونائب فاعله. ﴿ي﴾ حرف جرّ، للسببية.

﴿مَا﴾ موصولة، مجرور مع جاره متعلق بـ﴿سَيُجَزَوْنَ﴾.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿يَقْتَرِفُونَ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول وهو العائد إلى الموصول محذوف.

الاقتراف: الاكتساب.

والجملة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجَزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ تعليل للنهي وإنذار بالجزاء السيء أعني: «إنذار بالجزاء السيء للذين يكسبون الإثم، وهو تعليل للأمر السابق في ﴿ذُرُوا﴾. وفيه الدلالة على لزوم العمل بالأحكام الإلهية، وحفظ حرمة الله سبحانه وحدوده، وكسب الآثام في مخالفتها، وهو يوجب الجزاء السيء بما كانوا يقتربون»^١.

رواية

وفي رسالة الصادق عليه السلام إلى أصحابه: ... فإن الله لا يدرك شيء من الخير عنده إلا بطاعته واجتناب محارمه التي حرم الله في ظاهر القرآن وباطنه فإن الله تبارك وتعالى قال في كتابه وقوله الحق ﴿وَذُرُوا ظَنَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾، الحديث^٢.
سند الثاني للرسالة معتبر عندي.

١. مواهب الرحمن ١٤ / ٣٣١.

٢. الكافي ١٥ / ٢١، ح ١ (٧/٨).

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ
لِيُوحُونَ إِلَيْكُمْ أُولِيَاءِهِمْ لِجَدِّ لُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾

«نهى الله تعالى في هذه الآية عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، وذلك صريح في وجوب التسمية على الذبيحة، لأنها لو لم تكن واجبة، لكان ترك التسمية غير محرم لها. فأما من ترك التسمية ناسياً، فمذهبننا أنه يجوز أن تؤكل ذبيحته بعد أن يكون معتقداً لوجوبها.

وكان الحسن يقول: يجوز له أن يأكل منها.

وقال ابن سيرين: لا يجوز أن يأكل منها. وبه قال الجبائي.

فأما إذا تركها متعمداً فعندنا لا يجوز أكله بحال. وفيه خلاف بين الفقهاء فقال قوم: إذا كان تارك التسمية متعمداً من المسلمين جاز أكل ذبيحته. وقال آخرون لا يجوز أكلها كما قلنا.

وذلك يدل على أن ما يذبحه أهل الكتاب لا يجوز أكله، لأنهم لا يعتقدون وجوب التسمية ولا يذكرونها، ومن ذكر اسم الله منهم فانما يقصد به اسم من أبدي شرعهم، ولم يبعث محمداً ﷺ، بل كذبه، وذلك ليس هو الله، فلا يجوز أكل ذبيحتهم. ولأنهم لا يعرفون الله، فلا يصح منهم القصد إلى ذكر اسمه.

فأما من عدا أهل الكتابين فلا خلاف في تحريم ما يذبحونه.

وليست الآية منسوخة ولا شيء منها، ومن ادعى نسخ شيء منها فعليه الدلالة.

وقال الحسن وعكرمة: نسخ منها ذبائح الذين أوتوا الكتاب بقوله ﴿وَطَعَامُ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلًّا لَكُمْ^١ وعندنا ان ذلك مخصوص بالحبوب دون الذبائح.
 وقال قوم: ليس أهل الكتاب داخلين في جملة من يذكر اسم الله على ذبيحته،
 وليس واحد من هؤلاء معنيًا بالآية، فلا يحتاج إلى النسخ^٢.
 ﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾^٣.
 ﴿لَا تَأْكُلُوا﴾ فعل نهي وفاعله. والنهي يدل على التحريم.
 ﴿مِمَّا﴾ مكونة من «من» حرف جر و «ما» موصولة، جار ومجرور متعلق بـ﴿لَا تَأْكُلُوا﴾.

﴿لَمْ﴾ حرف جزم ونفي وقلب.
 ﴿يُذَكِّرِ﴾ فعل مضارع مجزوم مجهول. ﴿أَسْمُ﴾ نائب فاعله.
 ﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه، يكفي مجرد ﴿أَسْمُ اللَّهِ﴾ نحو: «الله» و «الله أكبر» و «بسم الله» و «الحمد لله» و «لا إله إلا الله».
 ﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿لَمْ يُذَكِّرِ﴾.
 ﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على جملة ﴿لَا تَأْكُلُوا﴾ عطفت الخبر على الإنشاء بناءً على جوازه، أو حالية بناءً على منعه.
 ﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، والضمير يرجع إلى «الأكل» وهو مصدر متصيد من ﴿لَا تَأْكُلُوا﴾.
 ﴿لِ﴾ مز حلقة، تأكيد. ﴿فَسَقُ﴾ خبر ﴿إِنَّهُ﴾، الفسق: المعصية.
 تعليل وتقديره: «﴿إِنَّهُ لَفَسَقُ﴾ وكلُّ فسقٍ يجبُ اجتنابُهُ فالأكل ﴿مِمَّا لَمْ يُذَكِّرِ

١. سورة المائدة / ٥.

٢. التبيان / ٤ / ٢٥٦ و ٢٥٧.

٣. سورة الأنعام / ١١٨.

أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴿١﴾ واجب الاجتناب»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنَّ﴾ معطوف على ﴿إِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾.

﴿الشَّيْطِينِ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾، «يعني بـ﴿الشَّيْطِينِ﴾» [هنا] علماءهم ورؤساءهم المتمردين في كفرهم يوحون ويشيرون إلى أوليائهم الذين ابتعوهم من الكفار بأن يجادلوا المسلمين في استحلال الميتة»^٢.

ف«المراد بـ﴿الشَّيْطِينِ﴾» هنا أبالسة الأئس الذين يموهون الحقائق، ويزخرفون الأقوال، يمدعون بها السذج البسطاء»^٣.
﴿لَ﴾. المرحلة، تأكيد.

﴿يُوحُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الوحي: الكلام الخفي.

﴿إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ﴿يُوحُونَ﴾. «المراد بأولياء

الشياطين هم المشركون»^٤.

﴿لِ﴾ للتعليل.

﴿يُجَدِّدُكُمْ﴾ فعل مضارع منصوب بـ«أن» مضمرة بعد «ل» التعليل وفاعله ومفعول به. الضمير الفاعلي يعود إلى المشركين والمفعولي إلى ضعاف المسلمين إيماناً واعتقاداً. «المجادلة: المنازعة بالقول للإقناع بالرأي»^٥.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿إِنَّ﴾ حرف شرط جازم.

﴿أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فعل ماض مجزوم لأنه فعل الشرط وفاعله و «واو» الإشباع

للميم قبله، ومفعول به. والضمير الفاعلي يعود إلى المسلمين والمفعولي إلى المشركين.

١. الميزان ٧/ ٣٣٣.

٢. التبيان ٤/ ٢٥٧.

٣. التفسير الكاشف ٣/ ٢٥٥.

٤. الميزان ٧/ ٣٣٣.

٥. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ٣٢.

«حُذِفَ متعلِّقٌ ﴿أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ لدلالة المقام عليه، أي: إن أطعتموهم فيما يجادلونكم فيه، وهو الطَّعْنُ في الإسلام، والشكُّ في صحَّةِ أحكامه»^١.

﴿إِنَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. ﴿لَ﴾ المرحلقة، تأكيد.

﴿مُشْرِكُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّكُمْ﴾. ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ في محل جزم جواب الشرط على حذف الفاء الجوابية «لأنَّ مَنْ استحلَّ الميتة كافر بالإجماع ومن أكلها محرماً لها مختاراً فهو فاسق»^٢.

«تهديد لمن يطيع أولياء الشياطين، وتخويف لهم بأن طاعتهم لهم يستلزم الخروج عن الإيمان، والدخول في زمرة المشركين، لأنَّ الإعراض عن حكم الله تعالى، واستحلال ما حرَّمه جلَّ شأنه في أمر الذبائح، إمَّا هو رجوع إلى سُنَّةِ المشركين، أو طاعة للشياطين، فيكون منهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾^٣، وفيه من التغليظ ما لا يخفى»^٤.

روايتان

صحيحة داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، كنت أصليَّ عند القبر وإذا رجل خلفي يقول: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ؟﴾^٥ ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾^٦، قال: فالتفت إليه وقد تأوَّل عليَّ هذه الآية، وما أدري من هو! وأنا أقول ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجِدُوا لَكُمْ^٧ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾،

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ٣٢.

٢. التبيان ٤/ ٢٥٧.

٣. سورة المائدة / ٥١.

٤. مواهب الرحمن ١٤ / ٣٣٢.

٥. سورة النساء / ٨٨.

٦. سورة النساء / ٨٨.

فإذا هو هارون بن سعد^١، قال، فضحك أبو عبد الله عليه السلام ثم قال: إذا أصبت الجواب،
قل الكلام بإذن الله^٢.

ورواها العياشي في تفسيره عن داود بن فرق^٣.

وصحيحة أخرى له قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن رجلاً خلفني حين صلّيت
المغرب في مسجد رسول الله، فقال عليه السلام: ﴿ مَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا
كَسَبُوا ۗ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْتَدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۗ ﴾^٤، فعلمت أنه يعينني، فالتفت إليه فقلت:
﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِوْنَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجْنِدُوكُمْ ﴾^٥، وذكر مثله سواء إلى آخره، وقال
في آخره: قلت: جعلت فداك لا جرم والله ما تكلم بكلمة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما
أحدٌ أجهل منهم إن في المرجئة فتياً وعلماً وفي الخوارج فتياً وعلماً، وما أحد أجهل
منهم^٥.

﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي
الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۗ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

«مثل ضربه الله تعالى للمقارنة بين المؤمن والكافر، وتوضيحه ان المقارنة بينها
تماماً كالمقارنة بين الموت والحياة، والنور والظلام، فالكافر ميت، فإذا آمن بُعث من
جديد وعادت إليه الحياة، وإيمانه نور يمشي به في حياته على بصيرة من أمره، ومن بقي

١. رأس العجلية كما في رجال الكشي / ٢٣١، رقم ٤١٨؛ وهم الزيدية، وقد ورد ذكرهم في حسنة
سلمة بن محرز مع أبي عبد الله عليه السلام في عيون أخبار الرضا عليه السلام / ١ / ٤٠، ح ٢٨، طبعة آل البيت عليه السلام.

٢. اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي / ٣٤٥، رقم ٦٤٠.

٣. تفسير العياشي ٢ / ١١٦، ح ٨٨.

٤. سورة النساء / ٨٨.

٥. اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي / ٣٤٥، رقم ٦٤١.

على الكفر والشرك فهو كمن يتخبط في الظلمات، يسير على غير هدى، ولا يصل إلى خيرٍ مدى حياته كلها»^١.

﴿أ﴾ استفهامٌ إنكاريٌّ.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمَشْرُكُونَ﴾^٢.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول، مبتدأ.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير مستتر «هو» يعود إلى ﴿مَنْ﴾.

﴿مَيِّتًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. استعار الموت للكفر والضلال. ﴿فَ﴾ استئنافية.

﴿أَحْيَيْنَاهُ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. استعار الإحياء للهداية إلى الإيمان

بالله ورسوله.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿جَعَلْنَا﴾ معطوف على ﴿أَحْيَيْنَاهُ﴾.

﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَعَلْنَا﴾.

﴿نُورًا﴾ مفعول به، استعار النور للعلم بالأعمال الصالحة والطاعات.

﴿يَمْشِي﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَمْشِي﴾ والضمير يرجع إلى ﴿نُورًا﴾.

﴿فِي النَّاسِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من فاعل ﴿يَمْشِي﴾.

جملة ﴿يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ في محل نصب صفة ﴿نُورًا﴾.

﴿كَ﴾ للتشبيه. ﴿مَنْ﴾ اسم موصول، خبر مبتدأ ﴿مَنْ﴾ في أول الآية.

﴿مَثَلُهُ﴾ مبتدأ ومضاف إليه.

﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ خبر ﴿مَثَلُهُ﴾، استعار الظلمة للجهل والكفر لأنه يؤدي إلى

الحريرة والهلكة.

١. التفسير الكاشف ٣/ ٢٥٧.

٢. سورة الأنعام / ١٢١.

﴿لَيْسَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير مستتر «هو».

﴿بِ﴾ حرف جر زائد، تأكيد.

﴿خَارِجٍ﴾ مجرور ﴿بِ﴾، في محل نصب خبر ﴿لَيْسَ﴾.

﴿مَنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿خَارِجٍ﴾، والضمير يرجع إلى ﴿الظُّلْمَتِ﴾.

وجملة ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مَنْهَا﴾ حال من الضمير في ﴿مَثَلُهُ﴾.

﴿كَ﴾ اسم بمعنى مثل، مبتدأ، أي كمن زين الله الإيوان والعمل الصالح عند

المؤمنين.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، في محل جر بـ﴿كَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿زَيْنٍ﴾. أشار إلى

التزيين المأخوذ من فعل ﴿زَيْنٍ﴾.

﴿زَيْنٍ﴾ فعل ماض مبني للمجهول. حُذِفَ فاعله لأنَّ المقصود وقوع التزيين

والمزيين الشياطين وأوليائه لا الله سبحانه.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿زَيْنٍ﴾.

﴿مَا﴾ موصولة، نائب فاعل ﴿زَيْنٍ﴾. ﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، في محل نصب خبر ﴿كَانُوا﴾.

هذا هو الفهم الظاهري من الآية الشريفة ولكن أبدع العلامة الطباطبائي رحمته

معنى وراء هذا فراجع كلامه في الميزان^١.

الروايات

صحيحة بريد قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قول الله تبارك وتعالى:

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ فقال: «ميت» لا

يعرف شيئاً و﴿نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾: إماماً يؤتم به ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَتِ

١. الميزان ٧/ ٣٣٧، قوله: «ولكن التدبير في أطراف الكلام...».

لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا» قال: الذي لا يعرف الإمام. ١
 عن بُرَيْدِ الْعَجَلِيِّ، عن أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قال: قال: «أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ
 وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ»، قال: المَيِّتُ الذي لا يَعْرِفُ هذا الشَّانَ.

قال: أتدري ما يعني مَيِّتًا؟ قال: قلت: جُعِلتَ فِدَاكَ، لا.

قال: المَيِّتُ الذي لا يَعْرِفُ شَيْئًا «فَأَحْيَيْنَاهُ» بهذا الأمر «وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي
 بِهِ فِي النَّاسِ»، قال: إمامًا يَأْتِمُّ بِهِ. قال: «كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا»،
 قال عليه السلام: كَمَثَلِ هَذَا الخَلْقِ الذي لا يَعْرِفُونَ الامام. ٢.

وفي رواية أُخْرَى، عن بُرَيْدِ الْعَجَلِيِّ، قال: سألتُ أبا جَعْفَرٍ عليه السلام عن قول الله:
 «أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ»، قال: المَيِّتُ الذي لا
 يَعْرِفُ هذا الشَّانَ، يعني هذا الأمر «وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا» إمامًا يَأْتِمُّ بِهِ، يعني عليّ بن أبي
 طالب عليه السلام.

قلت: فقوله: «كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا»؟ فقال بيده هكذا، هذا
 الخَلْقُ الذين لا يَعْرِفُونَ شَيْئًا. ٣.

الطوسي: نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل وهو قول أبي جعفر عليه السلام. ٤.
 السروي رفعه عن الصادق عليه السلام: «أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ»: «كَانَ مَيِّتًا» عَنَّا
 «فَأَحْيَيْنَاهُ» بنا. ٥.

١. الكافي ١/٤٥٣، ح ١٣ (١/١٨٥).

٢. تفسير العياشي ٢/١١٧، ح ٨٩.

٣. تفسير العياشي ٢/١١٧، ح ٩٠.

٤. التبيان ٤/٢٥٩.

٥. المناقب ٣/٢٧٠.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمَّا كُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ

إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

تمثيل آخر في بيان رؤوس الشرك والكفر، و «أنه كما وجد في مجتمعك يا محمد رؤوس للاجرام تمكر وتنصب العدا لدين الله كذلك وجد في المجتمعات السابقة، ويوجد في اللاحقة أيضاً رؤساء يمكرون بآمتهم، ويقفون موقف العدا للحق وأهله»^١.

﴿وَ عَاطِفَةٌ، عَطَفَتْ عَلَى جَمَلَةٍ ﴿كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

﴿كَذَلِكَ﴾ مبتدأ. اشارة إلى أولياء الشياطين المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾^٢ أو إلى السنن الإلهية في الجوامع البشرية. ﴿جَعَلْنَا﴾ فعل ماض وفاعله، خبر، والمراد بالجعل هنا تكويني بمعنى الخلق ووضع السنن خلق أسباب الخير والشر في كل مجتمع. ﴿فِي كُلِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَعَلْنَا﴾.

﴿قَرْيَةٍ﴾ مضاف إليه، والمراد بالقرية هنا كل مجتمع من الناس قل أو كثر. ﴿أَكْبَرًا﴾ مفعول به، جمع أكبر، وقيل: جمع كبير، وهو بمعنى الرؤساء في مقابل عامة الناس لأنهم أتباع وأذئاب.

﴿مُجْرِمِيهَا﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان، والضمير يرجع إلى ﴿قَرْيَةٍ﴾، «والمجرمون أصحاب الجرم أو فاعلو الإجرام، ومادة (جرم) تدل على القطع، ومنه

١. التفسير الكاشف ٣/ ٢٥٩.

٢. سورة الأنعام / ١٢١.

جرمت الشجرة عن الشجرة أي قطعها، وأجرم صار ذا جرم نحو أتمر وأثمر وألبن، واستعير لكل اكتساب مكروه، وخصّ بها فيه الفساد والضرر من الأعمال، ولعلّه يرجع إلى أنّه بعمله الإجرامي قد انقطع عن أفعال العقلاء المحمودة. وقد وردت هذه المادّة في القرآن الكريم في واحد وستين مورداً تدلّ على شناعتها وسوء عاقبتها^١.

﴿لِ﴾ للتعليل أو للعاقبة أو الصيرورة أو لام كي ومتعلق بـ ﴿جَعَلْنَا﴾.

﴿يَمْكُرُوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿لِ﴾ وفاعله. «المكر هو قتل الشيء إلى خلاف الرشد على وجه الحيلة في الأمر. والمكر والختل والغدر نظائر. وأصل المكر القتل. ومنه جارية ممكورة أي مفتولة البدن»^٢.

«المكر هو العمل الذي يستبطن شراً وضراً يعود إلى الممكور به فيفسد به غرضه المطلوب ويضل به سعيه ويبطل نجاح عمله»^٣.

المكر «هو صرف الإنسان عمّا يريد به إلى غيره بضربٍ من الحيلة والخداع في القول والفعل، والمراد به في القرآن الكريم حيث أطلق هو الصرف من الحقّ إلى الباطل، والخير إلى الشرّ، بضرب من الحيلة والخلافة، باعتبار أنّ الحقّ والخير واضحان يدعو إليهما الفطرة والعقل، فلا يخفيان على الإنسان إلّا بالمكر واستعمال الحيلة»^٤ وحذف الممكور به للعلم به.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يَمْكُرُوا﴾. والضمير يعود إلى ﴿قَرِيَّةٍ﴾.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿يَمْكُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿إِلَّا﴾ أداة الحصر.

١. مواهب الرحمن ١٤/٣٥٦.

٢. التبيان ٤/٢٦١.

٣. الميزان ٧/٣٤٠.

٤. مواهب الرحمن ١٤/٣٥٧.

﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿يَمَكُرُونَ﴾. لأن «وجه مكر الإنسان بنفسه أن وبال مكره يعود عليه، كأنه قال وما يضررون بذلك المكر إلا أنفسهم، وما يشعرون انهم يمكرون بها، ولا يصح أن يمكر الإنسان بنفسه على الحقيقة، لانه لا يصح أن يخفي عن نفسه معنى ما يحتال به عليها ويصح أن يخفي ذلك عن غيره»^١. «المكر إنما يفسد استعداد نفوس الماكرين قبل أن يحل أثر مكرهم في الممكور به، وعليه تكون عاقبة المكر ترجع إلى الماكرين، وأثره يحل فيهم، وهو جزاء كيدهم ومكرهم، مضافاً إلى أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله»^٢.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿يَشْعُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، لأن «لا غرض لله سبحانه في دعوته الدينية، ولا نفع فيها إلا ما يعود إلى نفس المدعوين فلو مكر الإنسان مكرًا بالله وآياته ليفسد بذلك الغرض من الدعوة ويمنع عن نجاح السعي فيها فإنما مكر بنفسه من حيث لا يشعر: واستضر بذلك هو نفسه دون ربه»^٣.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ

وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾

«أخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار أنه ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ ودلالة من عند الله تدل على توحيد الله وصدق أنبيائه ورسله ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾ أي لا نصدق بها ﴿حَتَّىٰ

١. التبيان ٤/ ٢٦١.

٢. مواهب الرحمن ١٤/ ٣٥٨.

٣. الميزان ٧/ ٣٤٠.

نُؤْتَى ﴿ أَي نعطى آية مثل ما أعطي رسل الله حسداً منهم للأنبياء ﷺ . ثم أخبر تعالى على وجه الإنكار عليهم بأنه تعالى ﴿ أَعْلَمُ ﴾ منهم ومن جميع الخلق ﴿ حَيْثُ تَجْعَلُ ﴾ رسالاته، لان الرسالة تابعة للمصلحة، ولا يبعث الله تعالى إلا من يعلم ان مصلحة الخلق تتعلق ببعثه دون من لا يتعلق ذلك به. ومن يعلم انه يقوم بأعباء الرسالة دون من لا يقوم بها^١.

﴿ وَ ﴾ عاطفة. عطفت ما بعدها على جملة: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا ﴾ في الآية السابقة.

﴿ إِذَا ﴾ ظرف زمان، متضمن معنى الشرط، خافض لشرطه متعلق بجوابه.
﴿ جَاءَتْهُمْ ﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم. والضمير المفعولي يرجع إلى ﴿ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا ﴾^٢. فعل الشرط في محل جرّ بالاضافة.

﴿ آيَةٌ ﴾ فاعل، ﴿ آيَةٌ ﴾ من المعجزات أو الآي القرآن العظيم.
﴿ قَالُوا ﴾ فعل ماض وفاعله. جواب شرط، وما بعده مقول القول.
﴿ لَنْ ﴾ حرف نفي ونصب واستقبال.
﴿ نُؤْمِنُ ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «نحن».
﴿ حَتَّى ﴾ حرف غاية.
﴿ نُؤْتَى ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بـ«أن» مضمرة بعد ﴿ حَتَّى ﴾ ونائب فاعله ضمير مستتر «نحن».

﴿ مِثْلَ ﴾ مفعول به. ﴿ مَا ﴾ موصولة.
﴿ أَوْقَى ﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ رُسُلُ ﴾ نائب فاعل.

١. التبيان ٤/ ٢٦٢.

٢. سورة الأنعام / ١٢٣.

﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه. مرادهم: «أن يؤتوا نفس الرسالة»^١ لا معجزات الأنبياء فقط، «وفيه شيءٌ من الاستهزاء»^٢.

كما نُقل عن «الوليد بن مغيرة قال: والله لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأنني أكبر منك سنّاً وأكثر منك مالاً، وقيل نزلت في أبي جهل بن هشام قال زاحنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرنسي رهان. قالوا: منّا نبيّ يوحى إليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، عن مقاتل»^٣.

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿أَعْلَمُ﴾ خبر.

﴿حَيْثُ﴾ ظرف مكان مبني على الضم في محل نصب، استعمل مجازاً في المكان الاعتباري للرسالة يعني اسم دال على المكان مستعارة للمبعوث بالرسالة.

﴿تَجْعَلُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿رَسَّالَتُهُ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ تَجْعَلُ رَسَّالَتَهُ﴾ جملة اعتراضية للرد على قولهم ﴿حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾، وتدلل على أن «الرسالة ليست مما يُنال بالأمانى ولا بالتشهي، ولكن الله يعلم من يصلح لها ومن لا يصلح»^٤.

﴿سَ﴾ حرف تسويف للاستقبال القريب، وهنا تأكيد.

﴿يُصِيبُ﴾ فعل مضارع.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مفعول به مقدم. ووضع الموصول موضع الضمير

لمزيد التشنيع.

١. الميزان ٧/ ٣٤١.

٢. الميزان ٧/ ٣٤١.

٣. مجمع البيان ٤/ ٣٦١.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ٤١.

﴿أَجْرُمُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، والمراد بـ﴿الَّذِينَ أَجْرُمُوا﴾ هم ﴿أَكْبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾^١.

﴿صَغَارُ﴾ فاعل. ﴿صَغَارُ﴾: الهوان والذلة.

﴿عِنْدَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ﴿صَغَارُ﴾.

﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه. يعني ﴿صَغَارُ﴾ ثابتٌ ومحققٌ لهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ في الدنيا.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿عَذَابٌ﴾ معطوف على ﴿صَغَارُ﴾.

﴿شَدِيدٌ﴾ نعت لـ﴿عَذَابٌ﴾ في الآخرة لهم. ﴿بِ﴾ للسببية.

﴿مَا﴾ مصدرية أو موصولة. ﴿كَانُوا﴾ فعل ماضٍ ناقص واسمه.

﴿يَمْكُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل نصب خبر ﴿كَانُوا﴾. بناءً على مصدرية

﴿مَا﴾: أي بسبب مكرهم، بناءً على موصولية ﴿مَا﴾: أي بسبب الذي ﴿كَانُوا

يَمْكُرُونَ﴾ هـ. وهم ﴿أَكْبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ يرون عاقبة مكرهم.

رواية

عن صفوان عن ابن سنان قال: سمعته يقول: أنتم أحق الناس بالورع، عودوا المرضى وشيّعوا الجنائز، إن الناس ذهبوا كذا وكذا ذهبتم حيث ذهب الله، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ تَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^٢.

١. سورة الأنعام / ١٢٣.

٢. تفسير العياشي ٢/ ١١٧، ح ٩١.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ط وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ تَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ج كَذَلِكَ تَجْعَلُ اللَّهُ

الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾

الآية وردت لبيان أن الناس فريقان:

- ١- «تتسع صدورهم للحق، ويتفاعلون معه، ويطمئنون إليه، لوعيتهم وتجردهم عن الأغراض والأهداف الشخصية، وتحررهم من التقاليد والأهواء»^١.
 - ٢- «لا تتسع صدورهم للحق لجهلهم وضيق أفقهم، أو لتناقضه مع منافعهم وأرباحهم، أو عاداتهم وتقاليدهم»^٢.
- ﴿ف﴾ تفريع يدل على إبطال قولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾^٣.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم. مبتدأ. وجملتنا فعل الشرط وجوابه خبره.
﴿يُرِدِ﴾ فعل مضارع مجزوم، فعل الشرط، أصله: يريد، حذف ياءه تخفيفاً
وحرّك بالكسر لالتقاء الساكنين. وهذه الإرادة من الله تعالى عامة وابتدائية وتكوينية.
﴿اللَّهُ﴾ فاعل. ﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يَهْدِيَهُ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، ﴿أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ بتأويل مصدر مفعول به.

﴿يَشْرَحْ﴾ فعل مضارع مجزوم جواب الشرط وفاعله ضمير مستتر «هو».

الشرح: الإتساع والبسط.

١. التفسير الكاشف ٣/ ٢٦١.

٢. التفسير الكاشف ٣/ ٢٦٢.

٣. سورة الأنعام / ١٢٤.

﴿صَدْرُهُ﴾ مفعول به ومضاف إليه. «ومعنى شرح الصدر اتساعه للإيمان أو الكفر وانقياده له وسهولته عليه»^١.

﴿لِلْإِسْلَامِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَشْرَحُ﴾، أي لقبول الإسلام وهو التسليم لله تعالى وفي العقيدة والعمل.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَنْ يُرِدْ﴾ الجملة وما بعدها معطوفة على سابقتها، والإرادة هنا خاصة ومتقابلية بمعنى أنه يصدر في قبال أعمال الإنسان و «واقعة على فعل العبد»^٢.
﴿أَنْ يُضِلَّهُ﴾ مرّت إعرابه في ﴿أَنْ يَهْدِيَهُ﴾، وهذا الاضلال في قبال أعمال الإنسان الطالح والفاسد والظالم، فهو اضلال مُعاقِبِيٌّ.
﴿تَجْعَلْ صَدْرَهُ﴾ مرّت إعرابه.

﴿صَيِّقًا﴾ مفعول به ثان. الضيق: في مقابل الشرح.
﴿حَرَجًا﴾ نعت ﴿صَيِّقًا﴾ والمراد به شدة الضيق. ومعناه غير متّسع لقبول الإسلام.

﴿كَ﴾ حرف تشبيه.

﴿أَنَّمَا﴾ «إِنَّ» حرف مشبه بالفعل و «ما» زائدة أو كافة مكفوفة.
﴿يَصْعَدُ﴾ أصله يَتَصَعَّدُ فأدغمت التاء بالصاد، فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». من المشقة والصعوبة ﴿يَصْعَدُ﴾: «يتكلّف مشقة في ارتقاء صعودا»^٣.
﴿فِي السَّمَاءِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَصْعَدُ﴾. أي تُثَقِّلُ عليه الإسلام وأحكامه كما تُثَقِّلُ عليه التكليف بالصعود إلى السماء.

١. التبيان ٤/ ٢٦٥.

٢. التبيان ٤/ ٢٦٤.

٣. التبيان ٤/ ٢٦٥.

- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مبتدأ وبيان سنة من السنن الإلهية.
 ﴿تَجْعَلُ﴾ فعل مضارع، خبر. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.
 ﴿الرَّجَسَ﴾ مفعول به. ﴿الرَّجَسَ﴾: القدر.
 ﴿عَلَىٰ الذَّيْبِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿الرَّجَسِ﴾.
 ﴿لَا﴾ نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

الروايات

حسنة خيثمة بن عبدالرحمن الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنَّ القلب ينقلب من لدن وضعه إلى حنجرته ما لم يصب الحق، فإذا أصاب الحق قر، ثم ضم أصابعه، وقرأ هذه الآية ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾^١.

رواها العياشي في تفسيره^٢.

صحيحة عبدالحميد بن أبي العلاء عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور فأضاء لها سمعه وقلبه حتى يكون أحرص على ما في أيديكم منكم وإذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء، فأظلم لها سمعه وقلبه، ثم تلا هذه الآية ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾^٣.

رواها الصدوق بسند معتبر في كتابه التوحيد^٤ والعياشي في تفسيره^٥.

١. المحاسن ١/ ٣٢٠، ح ٤١.

٢. تفسير العياشي ٢/ ١١٩، ح ٩٥.

٣. الكافي ٣/ ٥٤١، ح ٦ (٢/ ٢١٤).

٤. التوحيد ٤١٥، ح ١٤.

٥. تفسير العياشي ٢/ ١١٨، ح ٩٤.

خبر محمد الحلي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن القلب ليتجلجل^١ في الجوف يطلب الحق فإذا أصابه اطمأن وقرّ ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، تَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾. ٢.

الرواية معتبرة الاسناد بناءً على اعتبار أبي جميلة وهو المفضل بن صالح، كما مال إليه الوحيد^٣ ورواها العياشي في تفسيره^٤ عن عبد الله بن أبي جعفر عليه السلام عن أخيه عليه السلام.

معتبرة إسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام في رسالته إلى أصحابه: ... واعلموا أن الله إذا أراد بعبد خيراً شرح صدره للإسلام: فإذا أعطاه ذلك أنطق لسانه بالحقّ وعقد قلبه عليه فعمل به فإذا جمع الله له ذلك تمّ له إسلامه وكان عند الله إن مات على ذلك الحال من المسلمين حقاً، وإذا لم يرد الله بعبد خيراً وكله إلى نفسه وكان صدره ضيقاً حرجاً فإن جرى على لسانه حقّ لم يعقد قلبه عليه وذا لم يعقد قلبه عليه لم يعطه الله العمل به فإذا اجتمع ذلك عليه حتى يموت وهو على تلك الحال كان عند الله من المنافقين وصار ما جرى على لسانه من الحقّ الذي لم يعطه الله أن يعقد قلبه عليه ولم يعطه العمل به حجة عليه يوم القيامة؛ فاتقوا الله وسلوه أن يشرح صدوركم للإسلام وأن يجعل ألسنتكم تنطق بالحقّ حتى يتوفّيكم وأنتم على ذلك وأن يجعل منقلبكم منقلب الصّالحين قبلكم ولا قوّة إلا بالله والحمد لله ربّ العالمين^٥، الرسالة.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿كَذَلِكَ تَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى

١. التجلجل: التحرك مع الصوت.

٢. الكافي ٤/٢٠٨، ح ٥ (٢/٤٢١).

٣. راجع منتهى المقال ٦/٣٠٨.

٤. تفسير العياشي ٢/١١٨، ح ٩٣.

٥. الكافي ١٥/٣٩، ح ١ (٨/١٣).

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ قال: هو الشكّ.

موثقة عبد الخالق بن عبد ربّه عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ فقال: قد يكون ضيقاً وله منفذ يسمع منه ويبصر، والخرج هو الملتأم^٢ الذي لا منفذ له يسمع [به] ولا يبصر منه.^٣

خبر حمدان بن سليمان النيسابوري قال: سألت أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ قال: من يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدنيا إلى جنّته ودار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتسليم لله والثقة به والسكون إلى ما وعده من ثوابه حتى يطمئنّ إليه، ومن يرد أن يضلّه عن جنّته ودار كرامته في الآخرة لكفره وعصيانه له في الدنيا يجعل صدره ضيقاً حرجاً حتى يشكّ في كفره ويضطرب من اعتقاده قلبه حتى يصير كأنّها يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرّجس على الذين لا يؤمنون.^٤

ورواه الصدوق أيضاً في عيون أخبار الرضا عليه السلام والتوحيد.^٥

قال الطبرسي: قد وردت الرواية الصحيحة انه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن شرح الصدر ما هو؟ فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له صدره وينفسح. قالوا: فهل لذلك من إمارة يعرف بها؟ قال صلى الله عليه وآله: نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت.^٦

١. تفسير العياشي ٢/ ١١٩، ح ٩٦.

٢. معاني الأخبار / ١٤٥، ح ١.


٣. كذا في جميع النسخ والصحيح «الملتئم» أي الملتصق.

٤. معاني الأخبار ١٤٥ / ح ٢.

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ١٧١، ح ٢٧، طبعة آل البيت عليه السلام.

٦. التوحيد / ٢٤٢، ح ٤.

٧. مجمع البيان ٤ / ٣٦٣.

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ 

«تأكيد لمضمون الآيات السابقة، فإنه قد بين ﷻ الهداية والضلالة، وعرف صفات وآثار كل واحدة منهما، وبعد وضوح كل واحد من الأمرين المتقابلين، يتبين صراط الله تعالى المستقيم، فمن استعد لقبول الهداية، أنار الله تعالى قلبه وشرح صدره للإسلام، ومن أعرض ولم يقبل ما وهبه الله تعالى من الاستعداد الفطري، وطاوعت نفسه للضلالة ووقع في ظلمات، جعل الله ﷻ صدره ضيقاً ينبو عن الحق، ويتباعد عن الإيمان وأركانه ودعائمه، فيبتعد عن كل موجبات الطهر، وتعلوه القذارة، كل ذلك هو صراط الله المستقيم الذي يجمع كل أسباب الهداية، وما يبعد عن الضلال والغواية، والإنسان هو الذي يختار أحد النجدين، وتلك سنة إلهية تجري في عباده لا تخلف فيها ولا اختلاف»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ﴾^٢.

﴿هَذَا﴾ مبتدأ. إشارة إلى دين الإسلام.

﴿صِرَاطُ﴾ خبر. «الصراط: حقيقته الطريق وهو هنا مستعار للعمل الموصول إلى رضي الله تعالى»^٣.

﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. وفي إضافة الرب إلى الصراط تعظيم لشأن المضاف وفي إضافة الرب إلى الضمير العائد للرسول ﷺ تعظيم لشأن المضاف إليه.

١. مواهب الرحمن ١٤/٣٦٦.

٢. سورة الأنعام / ١٢٥.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/٤٧.

﴿مُسْتَقِيمًا﴾ حال من ﴿صِرَاطُ رَبِّكَ﴾. والعامل فيه هاء التنييه في هذا أو الإشارة لأثهما بمعنى الفعل، ومعناه الذي لا اعوجاج فيه.
﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق وما بعده استثناء وفذلكة لما تقدم.
﴿فَصَلَّنَا﴾ فعل ماض وفاعله.
﴿الآيَاتِ﴾ مفعول به، من القرآن الكريم والمعاجز والآيات الأنفسي والآفاقي.
﴿لِقَوْمٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿فَصَلَّنَا﴾، واللام للعلّة أي ﴿فَصَلَّنَا الْآيَاتِ﴾ لأجلهم.

﴿يَذَكِّرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، نعت لـ﴿قَوْمٍ﴾ والمراد بهم المسلمون.
والجملة المستأنفة الأخيرة «دليل آخر على اختيار الإنسان، فقد بين سبحانه تلك الآيات الكريمة التي تدل على أصول الهداية والضلالة، وعرف حقيقة كل واحدة منهما على نحو التفصيل، بحيث لا يبقى بعد ذلك إجمال ولا التباس، فهو القول الفصل الحق الواضح عند من يتذكرها ويتنفع منها»^١.

﴿هُم دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

تتمة الآية السابقة.

﴿هُم﴾ خبر مقدم. «ل» للإضافة فتحت مع المضمرة وكسرت مع الظاهر،
والضمير يعود إلى ﴿قَوْمٍ يَذَكِّرُونَ﴾^٢.
﴿دَارُ﴾ مبتدأ مؤخر. وهي مكان الحلول والإقامة.

١. مواهب الرحمن ١٤ / ٣٦٧.

٢. سورة الأنعام / ١٢٦.

﴿السَّلْمِ﴾ مضاف إليه. ﴿السَّلْمِ﴾: الأمان والتعدي من الآفات الظاهرة والباطنة. والمراد بها: دار السلامة الدائمة من كل آفة وبلية وليست هي إلا الجنة.

﴿عِنْدَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ﴿دَارُ السَّلْمِ﴾. استعارة للقرب الاعتباري وتشريف الرتبة، أو حال من الضمير في ﴿هُمَّ﴾.

﴿رَبِّهِمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. «والعدول عن إضافة ﴿عِنْدَ﴾ لضمير المتكلم إلى إضافته للإسم الظاهر: لقصد تشريفهم بأن هذه عطية من هو مولاهم. فهي مناسبة لفضله وبره بهم ورضاه عنهم»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله: ﴿هُمَّ دَارُ السَّلْمِ﴾.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ، يعود إلى ﴿رَبِّهِمْ﴾ وهو الله تعالى.

﴿وَلِيُّهُمْ﴾ خبر ومضاف إليه. والضمير يعود إلى ﴿قَوْمٍ يَدَّكُرُونَ﴾.

والولي: المدبر لأموالهم والمتولي لإيصال المنافع إليهم ودفع المضار عنهم.

﴿بِ﴾ حرف جر، للعوض أو للسببية.

﴿مَا﴾ موصولة، في محل جر، يتعلق الجار والمجرور بـ﴿وَلِيُّهُمْ﴾ أو بـ﴿هُمَّ دَارُ السَّلْمِ﴾.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿كَانُوا﴾.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٤٨/٧.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ
مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ
النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ خَلَائِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

تبيّن الآية الشريفة «بعض الأحوال المعشرين من الجنّ والإنس وتذكر الجنّ
بإغواء الإنس، والاستكثار في هذا المجال، ويعترف الإنس بأنّ السبب في الضلال هو
استمتاع بعضهم ببعض حتى وقع الأجل الذي أجلّه الله لهم، ثمّ تبيّن أحوالهم يوم
الحشر والمجادلة التي وقعت بينهم»^١.

﴿ وَ عَاطِفَةٌ، عَطَفَتْ مَا بَعْدَهَا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿ هُمْ دَاوْرُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾^٢، «لَمَّا ذَكَرَ
ثَوَابَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَهُوَ ثَوَابُ دَارِ السَّلَامِ نَاسِبٌ أَنْ يَعْطِفَ عَلَيْهِ
ذَكَرَ جِزَاءَ الَّذِينَ لَا يَتَذَكَّرُونَ»^٣.

﴿ يَوْمٌ ﴾ مفعول به لفعل محذوف نحو: «أذكر».

﴿ نَحْشُرُهُمْ ﴾ فعل مضارع وفاعله «هو» مستتر ومفعول به. والضمير الفاعلي
يعود إلى ﴿ اللَّهُ ﴾ والمفعولي يرجع إلى ﴿ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴾^٤ أو إلى ﴿ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^٥.
الحشر: الجمع في يوم القيامة.

﴿ جَمِيعًا ﴾ حال من الضمير المفعولي ﴿ هُمْ ﴾. أي طائفتا الجن والإنس.

﴿ يَتَا ﴾ أداة نداء. والنداء من قبل الله تعالى.

١. مواهب الرحمن ١٤ / ٣٨٤.

٢. سورة الأنعام / ١٢٧.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧ / ٥٠.

٤. سورة الأنعام / ١٢٤.

٥. سورة الأنعام / ١٢٥.

﴿مَعَثَرٌ﴾ منادى، ﴿مَعَثَرٌ﴾ مثل القوم جمع أو اسم جمع لا واحد له من لفظه ولكن يجمع على معاشر.

﴿أَلَجِنَ﴾ مضاف إليه. والمراد بهم شياطينهم.

﴿قَدِ﴾ حرف تحقيق وكسر الدال لالتقاء الساكنين.

﴿أَسْتَكْرْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. والمراد بالاستكثار هنا كثرة الإغواء

والإضلال من جانب شياطين الجن للإنس.

﴿مِنَ الْإِنْسِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَسْتَكْرْتُمْ﴾. على حذف المضاف أي:

﴿مِنَ﴾ اضلال ﴿الْإِنْسِ﴾ أو إغواء ﴿الْإِنْسِ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿قَالَ﴾ معطوف على ﴿تَحْشُرُهُمْ﴾. أتى بفعل ماض للتنبيه على حتمية وقوعه.

﴿أَوْلِيَاءُهُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه. والضمير يعود إلى ﴿الْجِنِّ﴾. والمراد بـ﴿أَوْلِيَاءُهُ﴾

شياطين ﴿الْإِنْسِ﴾ الذي يتولون ﴿الْجِنِّ﴾.

﴿مِنَ الْإِنْسِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿أَوْلِيَاءُهُمْ﴾، تقديره: حال

كونهم ﴿مِنَ الْإِنْسِ﴾. و ﴿مِنَ﴾ بياني. والمراد بهم شياطين ﴿الْإِنْسِ﴾.

﴿رَبَّنَا﴾ اسم منادى بأداة نداء محذوفة للتبجيل والتكريم. ومضاف إليه.

﴿أَسْتَمَعَّ﴾ فعل ماض. الاستمتاع: الانتفاع. ﴿بَعْضُنَا﴾ فاعل ومضاف إليه.

﴿بِبَعْضٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَسْتَمَعَّ﴾. يعني يتعامل بعض الجن مع بعض

الإنس وبالعكس، فيكون التعامل من الطرفين.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بَلَّغْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. أي كان التعامل بيننا حتى وصلنا إلى... .

﴿أَجَلْنَا﴾ مفعول به ومضاف إليه. الأجل: المدة والمراد به هنا الموت.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، نعت لـ﴿أَجَلْنَا﴾.

﴿أَجَلَتْ﴾ فعل ماض وفاعله. أي عيّنت وحددت وقدّرت والضمير الفاعلي يرجع إلى ﴿رَبَّنَا﴾.

﴿لَنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَجَلَتْ﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يعود إلى ﴿رَبَّنَا﴾ وقضاء من الله عليهم، والجمله بعده مقول القول.

﴿النَّارُ﴾ مبتدأ. نار جهنم.

﴿مَثْوَاكُمْ﴾ خبر ومضاف إليه. المثوى: المكان والمقام.

﴿خَلْدَيْنِ﴾ حال من الضمير في ﴿مَثْوَاكُمْ﴾. الخلود: إقامة الأبد.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿خَلْدَيْنِ﴾. الضمير يعود إلى ﴿النَّارِ﴾.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء. ﴿مَا﴾ موصولة.

﴿شَاءَ اللَّهُ﴾ فعل ماض وفاعله. يفيد الاستثناء «أن القدرة الإلهية باقية مع ذلك

على ما كانت فله مع ذلك أن يخرجكم منها وان كان لا يفعل»^١.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿رَبِّكَ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ ومضاف إليه. الخطاب للنبي ﷺ.

﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ خبرا ﴿إِنَّ﴾. تحليل البيان الواقع في الآية، من خلودهم في النار

وعدم اخراجهم منها مع اقتدار الله عليه لأنه خلاف حكمته المتعالية وأنه تعالى

﴿عَلِيمٌ﴾ بأقوالهم وأعمالهم وأفكارهم وعقائدهم الفاسدة والباطلة.

﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

«بيان لسنة إلهية في الاجتماع الإنساني عند تمرد الإنسان وغيره على ربه

والإعراض عن طاعته، فإنه ﷺ قد خلق الثقلين وأودع فيهم ما يرشدهم إلى الكمال اللائق بهم، وأنزل عليهم ما ينير لهم الطريق ليوصلهم إلى الصراط المستقيم، لينالوا السعادة والفوز بالفلاح، ولكنهم فسقوا عن أمر ربهم واعرضوا عن طاعته فابتلوا بتولية الظالمين، وهذه الولاية إما أن تكون تولية بعض الجن على الإنس لغرض الاستمتاع، كما عرفت. أو ولاية الظالمين على بعضهم لغرض التصرف فيهم بالتسويل والإغواء والإضلال، فيكتسب بذلك الذنوب والآثام، فيكون توليتهم في الكفر والضلال، أو تولية بعضهم على بعض، لأجل انتقام الله تعالى من الظالمين بسبب الظلم الذي هم عليه. كل هذه الأنواع من التولية إنما كانت بسبب ما كانوا يكسبون، واستمرارهم على كسبهم من الكفرو المعاصي، وهو يدل على أن التولية إنما هو على نحو المجازاة يجازي بها الظالمين^١.

﴿ وَحَالِيَةَ إِعْتَرَاظِيَّةٍ مِنْ تَمَامِ تَذْيِيلِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ، أَوْ عَاطِفَةٍ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ أَوْ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^٢ لِبَيَانِ التَّقَابُلِ. كَذَلِكَ اسْمُ إِشَارَةٍ، مَبْتَدَأٌ. إِشَارَةٌ إِلَى التَّوْلِيَةِ الْمَأْخُوذَةِ مِنْ ﴿ نُؤْتِي ﴾ الْآتِي. وَالتَّوْلِيَةُ مِنْ بَابِ الْوَلَايَةِ.

﴿ نُؤْتِي ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن» التفات من الغياب إلى التكلم لإلقاء هذه الحقيقة إلى النبي ﷺ إنما هو لبعدهم عن تلقي الحقائق. وحيث ذكر سبحانه أنه تعالى «هو ولي المؤمنين، ذكر هنا إن الكافرين من الجن والأنس بعضهم أولياء بعض، لأنهم شركاء في الكفر والظلم»^٣ الظالم المتبوع يستفيد في ظلمه من الظالم التابع فكيسبان الذنوب والآثام حتى يثبت ولاية المتبوع على التابع،

١. مواهب الرحمن ١٤ / ٣٩٠.

٢. سورة الأنعام / ١٢٧.

٣. التفسير الكاشف ٣ / ٢٦٤.

«لأنَّ كلَّ من والى قوماً فهو منهم وإن لم يكن من جنسهم»^١ و «كلَّ من تولى أولياءهم فيكونون معهم يوم القيامة»^٢ وولايتهم في الكفر والظلم والغواية.

﴿بَعْضٌ مَفْعُولٌ بِهِ. ﴿الظَّالِمِينَ﴾ مضاف إليه.

﴿بَعْضًا﴾ مفعول به ثان، لأنَّ ﴿تَوَلَّى﴾ بمعنى: نجعل بعضهم أولياء بعض.

﴿بِ﴾ للسببية أو المقابلة «وهو يفيد أن هذه التولية إنما هي بنحو المجازة يجازي

بها الظالمين في قبال ما اكتسبوه من المظالم لا تولية ابتدائية من غير ذنب سابق»^٣ ولذا قال الشيخ الطوسي رحمته الله: «وإنَّ ما يفعله بهم من العقاب جزاءً على أعمالهم القبيحة»^٤.

﴿مَا﴾ موصولة. ﴿بِمَا﴾ جار ومجرور متعلِّق بـ ﴿تَوَلَّى﴾.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿يَكْسِبُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿كَانُوا﴾. بحيث يستمرون في الكفر

والضلالة والظلم وعناد الحق وعدواته.

«وقد تشمل الآية بطريق الإشارة كلَّ ظالم، فتدلُّ على أنَّ الله سلَّط على الظالم

من يظلمه»^٥. «ومن أجل ذلك قيل: إنَّ لم يُقلع الظالم عن ظلمه سلَّط عليه ظالم

آخر»^٦. و «الآية تدل على أن الرعية متى كانوا ظالمين، فالله تعالى يسلط عليهم ظالماً

مثلهم فان أرادوا أن يتخلصوا من ذلك الأمير الظالم فليتركوا الظلم»^٧.

١. تفسير القمي ١ / ٣٢٠.

٢. تفسير القمي ١ / ٣٢٠.

٣. الميزان ٧ / ٣٥٣.

٤. التبيان ٤ / ٢٧٦.

٥. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧ / ٥٦.

٦. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧ / ٥٦.

٧. التفسير الكبير ١٣ / ١٩٤، للفخر الرازي.

رواية

خبر أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: ما انتصر الله من ظالم إلا بظالم؛
وذلك قوله عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾^١.
رواها الصدوق باسناده في عقاب الأعمال^٢ والعياشي مرسلًا في تفسيره^٣.

﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي
وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ

الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾^٤

توبيخ للجن والإنس «بعدم إتباع الرُّسل الذين أرسلهم الله تعالى إليهم
لهدايتهم، وفيه الإعلام باختيار المعشرين في الحكمين المذكورين في الآية السابقة، من
استكثار الجن للإنس وتولية بعضهم بعضاً، والجزاء الذي اكتسبوه بسبب أعمالهم،
وإنما ذكَّروهم به لأخذ الاعتراف منهم لتتم الحجَّة عليهم، فقد وقعوا فيما وقعوا فيه
بسوء اختيارهم»^٤.

﴿يَتَا﴾ أداة نداء.

﴿مَعَشَرَ﴾ منادى. «المعشر: الجماعة. والفرق بينه وبين المجمع: أن المعشر يقع
عليهم هذا الإسم مجتمعين كانوا أو مفترقين كالعشيرة، وليس كذلك المجمع، لانه

١. الكافي ٤/٣١، ح ١٩ (٢/٣٣٤).

٢. عقاب الأعمال / ٣٢٣، ح ١٦.

٣. تفسير العياشي ٢/١١٨، ح ٩٢.

٤. مواهب الرحمن ١٤/٣٩١.

مأخوذ من الجمع^١.

﴿آلِينَ﴾ مضاف إليه. «﴿آلِينَ﴾ مشتق من الاجتنان عن العيون وهو اسم علم لجنس مما يعقل متميز عن جنس الإنسان والملك^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الْإِنْسِ﴾ معطوف على ﴿آلِينَ﴾. ﴿الْإِنْسِ﴾: بشر.

﴿أَ﴾ استفهامٌ تقريرىٌ تويخيٌّ. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يَأْتِكُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف آخره «ي» وبقيت

الكسرة الدالة عليه، ومفعول به.

﴿رُسُلٌ﴾ فاعل، جمع رسول.

﴿مِّنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿رُسُلٌ﴾. و «من» بياضٌ، بمعنى

﴿مِّنْ﴾ جنسـ ﴿كُمْ﴾. فـ ﴿مِّنْكُمْ﴾ «لا يدل على أزيد من كون الرسل من جنس

المخاطبين وهم مجموع الجن والإنس لا من غيرهم كالملائكة حتى يتوحشوا منهم ولا

يستأنسوا بهم ولا يفقهوا قولهم، وأما أن من كل من طائفتي الجن والإنس رسلاً منهم

فلا دلالة في الآية على ذلك^٣.

﴿يَقْضُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، صفة لـ ﴿رُسُلٌ﴾.

القَصِّ: الإخبار أو التلاوة. ﴿يَقْضُونَ﴾: يخبرون ويتلون.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَقْضُونَ﴾.

﴿ءَايَتِي﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يُنذِرُونَكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. معطوف على ﴿يَقْضُونَ﴾.

الإنذار: الإخبار بما يُخيف ويكره وهو ضد البشارة.

١. التبيان ٤/ ٢٧٦.

٢. التبيان ٤/ ٢٧٦.

٣. الميزان ٧/ ٣٥٤.

﴿لِقَاءَ﴾ مفعول به ثان.

﴿يَوْمِكُمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. والمراد باليوم هنا يوم القيامة والمكاملة

تجري فيها وهذه الآية حكايتها.

﴿هَذَا﴾ اسم اشارة، صفة لـ ﴿يَوْمٍ﴾.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله، وما بعده مقول القول.

﴿شَهِدْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. ومتعلق هذه الشهادة اتيان الرسل وانزال آيات

الله وانذارهم بيوم القيامة.

﴿عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿شَهِدْنَا﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿عَرَّتْهُمْ﴾ فعل ماض ومفعول به، الغرور: الخداع. ﴿الْحَيَوةُ﴾ فاعل.

﴿الَّذِينَ﴾ صفة لـ ﴿الْحَيَوةُ﴾. وهذه الجملة الأخيرة بيان لسبب كفرهم بآيات

الله وعدم تبعية الرسل.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿شَهِدُوا﴾ فعل ماض وفاعله، معطوف على ﴿قَالُوا﴾، ومتعلق هذه الشهادة

كفرهم بما جاء به الرسل من غير غفلة وعن اختيار.

﴿عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿شَهِدُوا﴾.

﴿أَنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، تأكيد.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿كَافِرِينَ﴾ خبر ﴿كَانُوا﴾. ﴿كَانُوا كَافِرِينَ﴾ خبر ﴿أَنَّهُمْ﴾.

روايتان

خبر أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وآله إلى الجنّ

والإنس وجعل من بعده اثني عشر وصياً، منهم من سبق ومنهم من بقي وكلٌ وصيٌّ

جرت به سنة والأوصياء الذين من بعد محمد صلى الله عليه وآله على سنة أوصياء عيسى وكانوا

اثنى عشر وكان أمير المؤمنين عليه السلام على سنة المسيح^١.


رواه الصدوق^٢ والمفيد^٣ والشيخ^٤.

خبر أحمد بن عامر الطائي عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام في ما

سأله الشامي عنه عليه السلام في جامع الكوفة: ... وسأله: هل بعث الله ﷺ نبياً إلى الجن؟

فقال عليه السلام: نعم، بعث إليهم نبياً يقال له يوسف، فدعاهم إلى الله ﷻ فقتلوه،

الحديث. ٥.

﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ 

بيان لسنة الإلهية في الجزاء ومعاقبة الناس من أنه لا يهلك أهل القرى ولم يعذبهم وهم غافلون عما يريد منهم من الطاعة بل أرسل الرسل وذكر بالآيات وأنذر بالمعاد ثم بعد ذلك إن لم يؤمنوا وكفروا فأنزل الله عليهم العذاب.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر ﴿ذَلِكَ﴾. إشارة إلى إرسال

الرسل وإنزال الكتب.

﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة. حرف مشبه بالفعل، تأكيد، تقريره بتقدير «لام»

التعليل واسمها ضمير الشأن: «لأنه» فيصير معناه: «ان الذين بيناه من إرسال الرسل والتذكير بالآيات والإنذار بيوم القيامة إنما هو لأن الله سبحانه ليس من سنته أن يهلك

١. الكافي ٢/٦٩٨، ح ١٠ (١/٥٣٢).

٢. الخصال / ٤٧٨، ح ٤٣؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٧٤، ح ٦٢؛ كمال الدين / ٣٢٦، ح ٤ و / ٢١٩، ح ٢ مع اختلاف يسير وزيادة في أوله.

٣. الإرشاد ٢/٣٤٥.

٤. الغيبة / ١٤١، ح ١٠٥.

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٣١٩، ح ١٧٨، طبعة آل البيت عليه السلام.

أهل القرى ويوردهم مورد السخط والعذاب وهم غافلون عما يريد منهم من الطاعة ويفعله بهم على تقدير المخالفة، وذلك ظلم منه تعالى^١ وسبحان الله منه.

﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يَكُنْ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم بحذف حرف العلة في وسطه وهو «واو»

تخفيفاً.

﴿رَبُّكَ﴾ اسم ﴿يَكُنْ﴾ ومضاف إليه. نفي أن يكون ما يأتي من سنته تعالى.

﴿مُهْلِكٌ﴾ خبر ﴿يَكُنْ﴾. «الإهلاك: إعدام ذات الموجود وإماتة الحي»^٢.

﴿الْقُرَى﴾ مضاف إليه. ﴿مُهْلِكٌ الْقُرَى﴾ إبادة سكّانها، ولكن قد يقال: الظاهر

هنا: «القضاء بشقائهم في الدنيا وعذابهم في الآخرة»^٣.

﴿بِظُلْمٍ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿رَبُّكَ﴾. «الباء» للسببية والمراد

بالظلم هو الظلم منه تعالى دون الظلم من أهل القرى.

﴿وَ﴾ حالية والجملة بعدها حال من ﴿الْقُرَى﴾.

﴿أَهْلُهَا﴾ مبتدأ ومضاف إليه، والضمير يعود إلى ﴿الْقُرَى﴾.

﴿عَافِلُونَ﴾ خبر، ﴿عَافِلُونَ﴾ عما يريد الله منهم من الطاعة.

ويأتي نظير هذه الآية في سورة هود: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ

وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾^٤.

١. الميزان ٧/ ٣٥٥.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ٦٢.

٣. الميزان ٧/ ٣٥٥.

٤. سورة هود/ ١١٧.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

يستفاد منها: إنَّ «لكل طائفة من طائفتي الجن والإنس درجات من أعمالهم فإن الأعمال مختلفة وباختلافها يختلف ما توجهه من الدرجات، وما ربك بغافل عن أعمالهم»^١.

﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿لِكُلِّ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، ومتعلق ﴿كُلِّ﴾ محذوف وهو الضمير يعود إلى الطائفتين الأنس والجن.
﴿دَرَجَاتٍ﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿مِّمَّا﴾ مكونة من «من» حرف جر تعليلية هنا أي بسبب تفاوت أعمالهم، و«ما» موصولة في محل جر، والجار والمجرور متعلق بـ﴿دَرَجَاتٍ﴾. ويمكن أن يكون «ما» مصدرية.

﴿عَمِلُوا﴾ فعل ماض وفاعله. أي ﴿مِّمَّا عَمِلُوا﴾، وعلى مصدرية «ما» فتكون «ما» وما بعدها بتأويل مصدر في محل جر بـ«من». وتقديره: من أعمالهم.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ نافية أو حجازية تعمل عمل «ليس».

﴿رَبُّكَ﴾ مبتدأ ومضاف إليه، أو اسم ﴿مَا﴾ الحجازية، والضمير يعود إلى الرسول الخاتم ﷺ.

﴿بِغَفِيلٍ﴾ باء زائد ومجروره لفظاً مرفوع على الخبر أو منصوب على خبر ﴿مَا﴾ الحجازية.

﴿عَمَّا﴾ تعرب إعراب ﴿مِّمَّا﴾.

﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

لأنه «عَمَلٌ» هو الذي يُحْصِي الأعمال، ويعلم قدر ما يستحق به من ثواب وعقاب، فلا تخفى عليه خافية، وفيه تهديد ووعيد، ومن اللطائف أن الله تعالى لم يك مهلك القرى وأهلها غافلون عن موجبات طاعته، كما أنه لم يغفل عنهم، فهو محيط بهم يحصي عليهم أعمالهم ليجازيهم عليها، كل ذلك من شؤون ربوبيته العظمى^١.

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا

يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾

«بعد أن ذكر سبحانه انه يجاسب الناس وفق أعمالهم ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾^٢ أشار إلى انه غني عن العالمين، لا تنفعه طاعة من أطاع، ولا تضره معصية من عصى، وان العالم كله بحاجة إلى رحمته لأنه تعالى هو السبب الأوّل لوجوده»^٣.

﴿وَ عَاطِفَةٌ، عَطَفَتْ مَا بَعْدَهَا عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^٤.

﴿رَبُّكَ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. إظهار في مقام الإضمار يدلّ على عنايته الخاصة بصلاح المربوب والتنويه بشأن الرسول ﷺ.

﴿الْغَنِيُّ﴾ خبر، الغني: هو الحيّ الذي ليس بمحتاج. وتعريفه يدلّ على قصره على ﴿رَبُّكَ﴾ و ﴿الْغَنِيُّ﴾ الحقيقي يختصه به تعالى.

١. مواهب الرحمن ١٤ / ٣٩٥.

٢. سورة الأنعام / ١٣٢.

٣. تفسير الكاشف ٣ / ٢٦٦.

٤. سورة الأنعام / ١٣٢.

﴿ذُو الرِّحْمَةِ﴾ خبر ثان ومضاف إليه. ﴿ذُو الرِّحْمَةِ﴾: صاحب الرحمة لشمول رحمته بجميع خلقه وعباده.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم، وجملة الشرط وجوابه خبر ثالث عن المبتدأ.
﴿يَشَأْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «هو» يعود إلى ﴿رَبُّكَ﴾، فعل الشرط.

﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ومفعول به، جواب الشرط، والضمير الخطاب يرجع إلى جميع الخلائق والعباد من الكافرين والمؤمنين. والإذهاب: مجاز في الإعدام والإمانة والإهلاك.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَسْتَخْلِفْ﴾ معطوف على ﴿يُذْهِبْ﴾. الاستخلاف: جعل الخلف عن الشيء، والخلف: العوض عن شيءٍ فائت.
﴿مِنْ﴾ حرف جر، للبدل هنا، نحو: «أعطيتك من دينارك ثوباً، أي مكان دينارك وبدله»^١.

﴿بَعْدِكُمْ﴾ مجرور ﴿مِنْ﴾ ومضاف إليه. ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ متعلق بـ﴿يَسْتَخْلِفْ﴾.
﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.
﴿يَشَأْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». أي ﴿مَا يَشَأْ﴾ وأراد على مقتضى حكمته وفيه ابهام للدلالة على سعة قدرته.

﴿كَ﴾ بمعنى مثل، صفة لمفعول مطلق محذوف لأنها وصف لمحذوف تقديره: استخلافاً ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ﴾، لأنَّ الإنشاء يصف كيفية الاستخلاف.
﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿أَنْشَأَكُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، ﴿مَا

أَنْشَأَكُمْ ﴿بِتَأْوِيلِ مُصَدَّرٍ فِي مَحَلِّ جَرِّ بـ﴾ وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِمَفْعُولٍ مُطْلَقٍ مَحذُوفٍ.

﴿مِنْ ذُرِّيَّتِكَ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِحَالٍ مَحذُوفَةٍ مِنَ الضَّمِيرِ الْمَفْعُولِيِّ فِي ﴿أَنْشَأَكُمْ﴾. ﴿مِنْ﴾ هُنَا لِلْإِبْتِدَاءِ، وَالذَّرِيَّةُ: نَسْلُ الرَّجُلِ وَمَا تَوَالَدَ مِنْهُ مِنْ أَبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ.

﴿قَوْمٍ﴾ مُضَافٌ إِلَيْهِ. ﴿ءِ الْآخِرِينَ﴾ نَعْتٌ لـ ﴿قَوْمٍ﴾.

وَالآيَةُ الشَّرِيفَةُ «بَيَانٌ عَامٌ لِنَفْيِ الظُّلْمِ عَنْهُ تَعَالَى فِي الْخَلْقَةِ.

وَتَوْضِيحُهُ: أَنَّ الظُّلْمَ وَهُوَ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَوْضَعَ عَلَيْهِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى إِبْطَالُ حَقِّهَا إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ مِنَ الظُّلْمِ بِأَخْذِ شَيْءٍ أَوْ تَرْكِهِ لِأَحَدٍ أَمْرِينَ إِمَّا لِحَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوَجْهِ كَأَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ أَوْ إِلَى مَنْ يَهْوَاهُ مِنْهُ نَفْعٌ أَوْ يَنْدَفَعُ عَنْهُ أَوْ عَمَّا يَعُودُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ ضَرَرٌ، وَإِمَّا لِاحْتِيَاجِهِ مِنْهُ إِلَى بَلِّ لَشَقْوَةٍ بَاطِنِيَّةٍ وَقَسْوَةٍ نَفْسَانِيَّةٍ لَا يَعْجَبُ بِهَا بِمَا يَقَاسِيهِ الْمَظْلُومُ مِنَ الْمَصِيبَةِ وَيَكَابِدُهُ مِنَ الْمَحْنَةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْهُ لِحَاجَةٍ بَلِّ مِنْ آثَارِ الْمَلَكَةِ الْمَشْهُومَةِ.

وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ مَنْزَهُ مِنَ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ السَّيِّئَتَيْنِ فَهُوَ الْغَنِيُّ الَّذِي لَا تَمْسُهُ حَاجَةٌ وَلَا يَعْزُضُهُ فَقْرٌ، وَذُو الرَّحْمَةِ الْمَطْلُوقَةِ الَّتِي يَنْعَمُ بِهَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِمَا يَلِيْقُ بِحَالِهِ فَلَا يَظْلَمُ سَبْحَانَهُ أَحَدًا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ الْخ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: وَرَبُّكَ هُوَ الَّذِي يُوَصِّفُ بِالْغِنَى الْمَطْلُوقَ الَّذِي لَا فَقْرَ مَعَهُ وَلَا حَاجَةَ، وَبِالرَّحْمَةِ الْمَطْلُوقَةِ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَمَقْتَضَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَذْهَبَكُمْ بِغِنَاهُ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ مِنَ الْخَلْقِ بِرَحْمَتِهِ وَالشَّاهِدُ عَلَيْهِ أَنَّهُ أَنْشَأَكُمْ بِرَحْمَتِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخِرِينَ أَذْهَبَهُمْ بِغِنَاهُ عَنْهُمْ»^١.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾

«تأكيد لمضمون الآية السابقة من الوعد والوعيد، فإنَّ الأمر الإلهي من البعث والجزاء الذي وعدتم به عن طريق الوحي وعلى لسان الرُّسل لا محالة آتٍ، وواقع البتة ولا مرد له ولا خُلف فيه، وما أنتم بمعجزين الله فتمنعوه عمَّا يريد وتفلتون عن ذلك»^١.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿مَا﴾ موصولة، بمعنى الذي وليست كافة، اسم ﴿إِنَّ﴾ في محلِّ نصب.

﴿تُوعَدُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله. دال على الاستمرار

التجددي، من الإيعاد بالعقاب.

﴿لَآتٍ﴾ لام الابتداء، المرحلقة، تأكيد آخر.

﴿أَنْتُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، وأصله: لآتٍ حذفت الياء لأنَّ الاسم نكرة منقوص.

الإتيان هنا مستعار للحصول.

﴿وَمَا﴾ استئنافية. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ، والجملة الاسمية تدلُّ على الدوام.

﴿بِ﴾ حرف جر، زائد للتأكيد.

﴿مُعْجِزِينَ﴾ خبر. أي لستم ﴿مُعْجِزِينَ﴾ الله عن الإتيان بـ ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾

من البعث والنشور والعقاب وغيرها من مواعيد الله سبحانه.

﴿قُلْ يَنْقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَنقَبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

«نداءٌ من الربِّ الغنيِّ الرحيم على لسان نبيه ﷺ لأنه واسطة فيضه. وهو عَنقَبُ الحريص على خير عبادته، فقد أرسل إليهم رسلاً ليذكروهم وينذروهم استمالة لهم بالدخول في الإيمان والاعتقاد بالحق، فما وعدهم به إنَّها هو لآتٍ، فعليهم العمل وإنَّما الجزاء عليه»^١.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر، خطاب للرسول الأعظم ﷺ. ﴿يَتَا﴾ أداة نداء.
﴿قَوْمٍ﴾ منادى، أصله: قومي، حذف الياء. المخاطب: الملكفين من قوم رسول الله ﷺ.

﴿أَعْمَلُوا﴾ فعل أمر وفاعله.
﴿عَلَيَّ مَكَانَتِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَعْمَلُوا﴾.
المكانة: المنزلة والحالة التي يستقرُّ عليها الشيء والطريقة والجهة، وفيه تهديد أي
﴿أَعْمَلُوا﴾ على غاية استطاعتكم ونهاية تمكِّنكم.
﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. تأكيد.
﴿عَامِلٌ﴾ خبر ﴿إِنِّي﴾، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ بما هو وظيفتي من الدعوة إلى التوحيد والإيمان والعمل الصالح.

﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿سَوْفَ﴾ حرف التنفيس تأكيد.
﴿تَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، تعلمونه علم اليقين بل عين اليقين.
﴿مَنْ﴾ اسم موصول، مفعول به، أو اسم استفهام، مبتدأ وجملة ﴿تَكُونُ لَهُ

عَنْقَبَةُ الدَّارِ ﴿خبره﴾.

﴿تَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص مؤنث.

﴿لَهُ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم ﴿تَكُونُ﴾ وفي محل نصب.

﴿عَنْقَبَةُ﴾ اسم مؤخر ﴿تَكُونُ﴾. ﴿عَنْقَبَةُ﴾ الشيء ما ينتهي إليه. وآخره وأثره

ونتيجه.

﴿الدَّارِ﴾ مضاف إليه. والإضافة بيانية واستعارة بالنسبة إلى المكانة للحالة و

﴿الدَّارِ﴾ يشمل داري الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، تأكيد، وضميره للشأن تنبيهاً على الاهتمام

بخبره.

﴿لَا يُفْلِحُ﴾ فعل مضارع منفي بـ ﴿لَا﴾ نافية. ﴿لَا يُفْلِحُ﴾: لا يفوز ولا يسعد ولا

ينجح.

﴿الظَّالِمُونَ﴾ فاعله وجمله ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّهُ﴾. «ال»

للاستغراق من دون فرق من الظلم بالنفس وهو الشرك والكفر والإثم والظلم إلى

الغير والتعدي إليه.

وقد ورد نظير هذه الآية في سورة هود على لسان شعيب مخاطباً لقومه: ﴿وَيَنْقُومِ

أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ ۗ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۗ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ


كَذِبٌ ۗ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۗ ١.

وهكذا ورد في سورة الزمر: ﴿قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ ۗ

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۗ * مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَخَلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۗ ٢.

١. سورة هود / ٩٣.

٢. سورة الزمر / ٣٩ و ٤٠.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ
وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ
لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ 

«إنَّ الله سبحانه بعد أن أبطل في الآيات السابقة عقيدة المشركين بمنطق العقل
والفطرة تعرض في هذه الآيات إلى بعض ما كان مشركوا العرب يزاولونه في أموالهم
وأولادهم، وهذه الآية التي نفسرها تعرضت لشأنهم وتقاليدهم في ثروتهم المالية،
وهي الزرع والماشية، وكانوا - كما في كتب التفسير - يعينون شيئاً من زرعهم وأنعامهم
للَّهِ، ويصرفونه إلى الصبيان والمساكين، وشيئاً لأصنامهم، وينفقونه على سدنة الأصنام
وحراسها، وكانوا يبالغون ويجتهدون في تنمية نصيب الأصنام، ليأتي نتاجه أكثر وأوفر
من نصيب الله، لأن الله غني، وفي الأصنام فقر، وكانوا إذا خالط شيء مما جعلوه لله ما
جعلوه للأصنام تركوه لها، وإذا خالط شيء مما جعلوه للأصنام ما جعلوه لله ردوه إلى
الأصنام، وأيضاً إذا أصابهم الجذب أكلوا من نصيب الله، وتركوا نصيب
الأصنام...»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على نظائره مما حكيت فيه أقوال المشركين وأفعالهم. نحو
قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾^٢.

﴿جَعَلُوا﴾ فعل ماض وفاعله، والضمير الفاعلي يرجع إلى مشركي العرب.
والجعل هنا بمعنى الصرف والتقسيم.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَعَلُوا﴾. لأنهم يعترفون بالله تعالى ويعرفونه

١. التفسير الكاشف ٣/ ٢٦٩.

٢. سورة الأنعام / ١٠٠.

الخالق للعالم.

﴿مِمَّا﴾ مكونة من «مِنْ» تبعيضية و «ما» موصولة والجار والمجرور متعلق بحال محذوفة مقدمة من ﴿نَصِيْبًا﴾ أو متعلق بـ﴿جَعَلُوا﴾. والثاني أظهر.

﴿ذَرَأَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو». ﴿ذَرَأَ﴾: خَلَقَ وأنشأ على وجه

الاختراع والإبداع.

﴿مِنْ﴾ حرف جر، بيانية هنا، بيان ﴿مَا﴾ الموصولة.

﴿الْحَرْثِ﴾ مجروره، جار ومجرور متعلق بـ﴿ذَرَأَ﴾. ﴿الْحَرْثِ﴾: الزرع والشجر.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأَنْعَمِ﴾ معطوف على ﴿الْحَرْثِ﴾، وهي المواشي من الإبل والبقر والغنم.

﴿نَصِيْبًا﴾ مفعول به لفعل ﴿جَعَلُوا﴾، النصيب: الحظ والقِسْمُ.

﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿قَالُوا﴾ معطوف على ﴿جَعَلُوا﴾.

﴿هَذَا﴾ اسم إشارة، مبتدأ، إشارة إلى النصيب المعين لله سبحانه.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور، خبر.

﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ﴿قَالُوا﴾. والباء للسببية أو

بمعنى «مِنْ». الزعم: الاعتقاد الفاسد أو القريب من الخطأ. وفيه نوع من التنزيه.

﴿وَ﴾ عاطفة، وما بعدها معطوفة على ﴿هَذَا لِلَّهِ﴾.

﴿هَذَا﴾ مبتدأ. إشارة إلى النصيب المعين للشركاء.

﴿لِشُرَكَائِنَا﴾ جار ومجرور، خبر ومضاف إليه. أضاف المشركون «الشركاء إليهم

لأنهم هم الذين أثبتوها واعتقدوا بها»^١.

شركاء: جمع شريك والمراد بهم هنا الأصنام.

﴿فَ﴾ تفریع آخر على جعلهم ومقاتلتهم. ﴿مَا﴾ موصولة، مبتدأ.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير مستتر «هو».
 ﴿لِشْرَكَائِهِمْ﴾ جار ومجرور، خبر ﴿كَانَ﴾ في محل نصب ومضاف إليه،
 والضمير يعود إلى مشركي العرب.
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط لأنَّ ﴿مَا﴾ موصولة فيه تضمين اسم الشرط
 «مَنْ».

﴿لَا﴾ نافية. ﴿يَصِلُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو».
 ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَصِلُ﴾. جملة ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ خبر
 ﴿مَا﴾ موصولة.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾ معطوف على الجملة السابقة.
 ﴿سَاءَ﴾ فعل ماض لإنشاء الذم بمعنى بئس. ﴿مَا﴾ موصولة، فاعل.
 ﴿يَخْكُمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. وحكمهم هنا جعلهم، سناه حكماً تهكماً
 بئساً.

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ
 شُرَكَائُهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ

﴿فَذَرَّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿١٣٧﴾

«إنَّ الأصنام بما لها من الوقع في قلوب المشركين والحب الوهمي في نفوسهم
 زينت لكثير من المشركين أن يقتلوا أولادهم ويجعلوهم قرابين يتقربون بذلك إلى
 الآلهة كما يضبطه تاريخ قدماء الوثنيين والصابئين»^١.

﴿وَ عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

﴿كَ﴾ اسْمٌ بِمَعْنَى مِثْلِ. مَبْتَدَأٌ.

﴿ذَلِكَ﴾ اسْمٌ إِشَارَةٌ، فِي مَحَلِّ جَرِّ بِالْإِضَافَةِ. إِشَارَةٌ إِلَى الْجَعْلِ الْوَارِدِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

﴿زَيَّبَ﴾ فَعْلٌ مَاضٍ، خَبْرٌ. التَّزْيِينُ: التَّحْسِينُ.

﴿لِكَثِيرٍ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿زَيَّبَ﴾.

﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِصِفَةِ مَحذُوفَةٍ مِنْ ﴿كَثِيرٍ﴾.

﴿قَتَلَ﴾ مَفْعُولٌ بِهِ مَقْدَمٌ لِفِعْلِ ﴿زَيَّبَ﴾.

﴿أَوْلَادِهِمْ﴾ مُضَافٌ إِلَيْهِ وَمُضَافٌ إِلَيْهِ ثَانٍ، مَفْعُولٌ بِهِ ﴿قَتَلَ﴾ أَضْيَفٌ إِلَيْهِ.

﴿شُرَكَاءُهُمْ﴾ فَاعِلٌ ﴿زَيَّبَ﴾ وَمُضَافٌ إِلَيْهِ. وَالْمُرَادُ بِالشُّرَكَاءِ هُنَا سِدْنَةُ

الْأَصْنَامِ الَّذِينَ يَخْدُمُونَهَا أَوْ الْكَهَنَةَ أَوْ الْغَوَاةَ مِنَ النَّاسِ.

«وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحْدَهُ: «زَيَّبَ» بِضَمِّ الزَّايِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ «قَتَلَ» بِضَمِّ اللَّامِ

نَائِبٌ عَنِ فَاعِلِ زَيْنِ «أَوْلَادِهِمْ» بِالنَّصْبِ مَفْعُولِ الْمَصْدَرِ أَعْنِي «قَتَلَ» تَحْلُلُ بَيْنَ

الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ «شُرَكَاءُهُمْ» بِالْجَرِّ مُضَافٌ إِلَيْهِ وَفَاعِلٌ لِلْمَصْدَرِ»^١ وَتَقْدِيرُهُ: قَتَلَ

شُرَكَاءَهُمْ أَوْلَادَهُمْ. وَالشُّرَكَاءُ يَأْمُرُونَ بِقَتْلِ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ.

﴿إِ﴾ لَامٌ الْعَاقِبَةُ أَوْ التَّعْلِيلُ.

﴿يُرْدُوهُمْ﴾ فَعْلٌ مُضَارِعٌ مَنْصُوبٌ بِ «أَنْ» مُضْمَرَةٌ بَعْدَ «اللَّامِ» وَفَاعِلُهُ وَمَفْعُولُهُ

بِهِ. الْإِرْدَاءُ: الْإِهْلَاكُ وَالْمَوْتُ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي الضَّرِّ الشَّدِيدِ عَلَى نَحْوِ الْمَجَازِ وَالِاسْتِعَارَةِ

وَلَعَلَّهُ الْمُرَادُ هُنَا.

﴿وَ﴾ عَاطِفَةٌ.

﴿لَيْلِسُوا﴾ معطوف على ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾. ﴿لَيْلِسُوا﴾: يخلطوا، كبَسَ عليه: أوقعه في اللبس وهو الخلط والاشتباه. والمراد به هنا «خلط دينهم عليهم بإظهار الباطل في صورة الحق»^١.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿لَيْلِسُوا﴾.

﴿دِينَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿لَوْ﴾ حرف شرط غيز جازم.

﴿شَاءَ﴾ فعل ماض، فعل الشرط، والمراد بالمشية هنا المشية التكوينية. وهي

خلاف التشريعية والتكليفية.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿فَعَلُوهُ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. جواب الشرط، الضمير الفاعلي يعود

إلى ١- ﴿لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أو ٢- ﴿شُرَكَاءُهُمْ﴾ والمفعولي إلى ١- القتل أو ٢- التزئين على التوزيع.

﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿ذَرَّهُمْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للنبي ﷺ، ومفعول

به. ﴿ذَرَّ﴾: دَعَّ، أترك.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ موصولة.

﴿يَفْتَرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي ﴿مَا يَفْتَرُونَ﴾-ه على الله سبحانه.

في الجملة الأخيرة: أمر نبيه ﷺ أن «يتركهم ولا يمنعهم ويخلي بينهم وبين ما

يكذبون وذلك غاية التهديد كما يقول القائل: دَعْنِي وَإِيَّاه»^٢.

١. الميزان ٧/ ٣٦١.

٢. التبيان ٤/ ٢٨٨.

﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرْتٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمٌ
حَرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ

سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴿ ١٣٨ ﴾

حكاية نوع آخر من الأحكام المبتدعة التي تبتني على كفرهم وشركهم وهو أن
المشركين كانوا يقطعون قسماً من زرعهم وثارهم وماشيتهم على سبيل النذر أو
الوقف على الأصنام ويحرمون التصرف فيه إلا على سدنة الأصنام من الرجال دون
النساء وكهنتهم و... .

﴿ وَ عَاطِفَةٌ، عطف ما بعدها على جملة ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴾ في الآية السابقة.

﴿ قَالُوا ﴾ ما بعده مقول قول الكافرين المشركين.

﴿ هَذِهِ ﴾ اسم اشارة، مبتدأ، اشارة إلى ما جعلوها لأهتهم وأوثانهم.

﴿ أَنْعَمٌ ﴾ خبر. ﴿ وَ عَاطِفَةٌ. ﴾ ﴿ حَرْتٌ ﴾ معطوف على ﴿ أَنْعَمٌ ﴾.

﴿ حِجْرٌ ﴾ نعت لـ ﴿ حَرْتٌ ﴾، أي حرام، الحِجْر: المنع «وكان من عاداتهم أنهم

كانوا يشيرون إلى أنعام وحرث فيقولون: هي حجر»^١.

﴿ لَا يَطْعَمُهَا ﴾ فعل مضارع منفي ومفعول به والضمير المفعولي راجع إلى

﴿ أَنْعَمٌ ﴾.

﴿ إِلَّا ﴾ أداة حصر. ﴿ مِّنَ ﴾ اسم موصول، فاعل.

﴿ نَشَاءُ ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن».

﴿ بِزَعْمِهِمْ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. الباء للملابسة أو بمعنى «عن»، أي

﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ بِزَعْمِهِمْ﴾ تفسير لـ ﴿حِجْرٌ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة وما بعدها قسم آخر من الأحكام المبتدعة للأصنام.

﴿أَنْعَمُ﴾ معطوف على ﴿أَنْعَمُ﴾ الأول.

﴿حُرِّمَتْ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، نعت لـ ﴿أَنْعَمُ﴾.

﴿ظُهُورُهَا﴾ نائب فاعل ومضاف إليه. أي أنعام أخرى تعتق وتعفى عن

الركوب والحمل عليها لأجل الآلهة وهي السائبة والبحيرة والحامي التي تقدم ذكرها

في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحَيْرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^١.

﴿وَ﴾ عاطفة وما بعدها قسم ثالث من أحكامهم المبتدعة.

﴿أَنْعَمُ﴾ معطوف على ﴿أَنْعَمُ﴾ الأول.

﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله. ﴿أَسْمَ﴾ مفعول به.

﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلَيْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَذْكُرُونَ﴾.

وجملة ﴿لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ صفة لـ ﴿أَنْعَمُ﴾.

أي في حال ركوبهم أو كانوا لا يهلّون^٢ عليها باسم الله سبحانه بل يهلّون

بأصنامهم أو في حال نحرها وذبحها.

﴿أَفْتَرَاءً﴾ مفعول مطلق لأن الافتراء من أقسام القول. ﴿أَفْتَرَاءً﴾: كذباً.

﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَفْتَرَاءً﴾. والضمير يعود إلى ﴿اللَّهِ﴾.

﴿سَ﴾ حرف تسوية للقريب.

﴿يَجْزِيهِمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿اللَّهِ﴾. ومفعول

به.

١. سورة المائدة / ١٠٣.

٢. أي: لا يرفعون أصواتهم بـ «لا إله إلا الله».

﴿بِ﴾ حرف جر للسببية أو المقابلة أو العوضية. ﴿مَا﴾ موصولة.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿يَفْتَرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿كَانُوا﴾.

وقد أبهم الجزاء للتهويل.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن

يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءٌ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

حكم آخر من أحكام المشركين المفتراة في التحليل والتحرير.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿قَالُوا﴾ معطوف على ﴿قَالُوا هَذِهِ الْأَنْعَمُ وَحَرَّتْ حِجْرٌ﴾ في أول الآية السابقة.

وما بعده مقول القول.

﴿مَا﴾ موصولة، مبتدأ.

﴿فِي بُطُونِ﴾ جار ومجرور متعلق بفعل محذوف نحو «وجد».

﴿هَذِهِ﴾ اسم إشارة، مضاف إليه.

﴿الْأَنْعَمِ﴾ مضاف إليه ثان. والمراد بـ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ﴾ أجنة أو

الألبان أو هما معاً.

﴿خَالِصَةٌ﴾ خبر المبتدأ ﴿مَا﴾. ﴿خَالِصَةٌ﴾: خاصة وسائغة ومباحة. والتاء في

آخرها للمبالغة كقولهم: عَلَامَةٌ وَنَسَابَةٌ.

﴿لِذُكُورِنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿خَالِصَةٌ﴾ ومضاف إليه. أي مختص للرجال

ولا يشاركهم الأنثاء.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مُحْرَمٌ﴾ معطوف على ﴿خَالِصَةٌ﴾. ﴿مُحْرَمٌ﴾: ممنوع أكلها أو شربها.

﴿عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿مُحْرَمٌ﴾. الظاهر أن المراد بـ ﴿أَزْوَاجِنَا﴾ مطلق الأنثى بقريئة ﴿ذُكُورِنَا﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿يَكُنْ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم لأنه فعل الشرط واسمه ضمير مستتر «هو». يعود إلى ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ أو الولد.

﴿مَيْتَةٌ﴾ خبر ﴿يَكُنْ﴾. أي إن ولدت ﴿مَيْتَةٌ﴾.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿هُمَّ﴾ مبتدأ.

﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿شُرَكَاءَ﴾.

﴿شُرَكَاءَ﴾ خبر، ممنوع من الصرف على وزن فُعَلَاءَ. يعني: «إن كان جنين

الأنعام ميتة فالذكور والأنثى فيه سواء»^١.

﴿سَ﴾ حرف تسوية للقريب.

﴿يَجْزِيهِمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به أول.

﴿وَصَفَّهُمْ﴾ مفعول به ثان ومضاف إليه. أي ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ جزاء ﴿وَصَفَّهُمْ﴾

«وحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه»^٢. والمراد بالوصف هنا: ﴿وَصَفَّهُمْ﴾ في بيان الحرام والحلال بالنسبة إلى الأجنّة وغيرها.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، تأكيد.

﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ خبرا ﴿إِنَّهُ﴾. أي «أنّه تعالى ﴿حَكِيمٌ﴾ في ما يفعل بهم من

١. التبيان ٤/ ٢٩٢.

٢. التبيان ٤/ ٢٩٢.

العقاب آجلاً، وإمهالهم عاجلاً، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعلون لا يخفى عليه شيء منها»^١.

«وقد عاب الله على الكفار في هذه الآية من أربعة أوجه:

أولها) ذبحهم الأنعام بغير إذن الله.

وثانيها) أكلهم على ادعاء التذكية افتراء على الله.

وثالثها) تحليلهم للذكور وتجريمهم على الإناث تفرقة بين ما لا يفترق إلا

بحكم من الله.

ورابعها) تسويتهم بينهم في الميتة من غير رجوع إلى سمع موثوق»^٢.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً

عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾

«أخبر الله تعالى ان هؤلاء الكفار الذين قتلوا أولادهم الأناث خوفا من الفقر

وهربا من العار قد خسروا، ومعناه هلكت نفوسهم باستحقاقهم على ذلك عذاب

الأبد»^٣.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق، تأكيد، «تحقيق الفعل بـ﴿قَدْ﴾ للتنبيه على أن خسراهم أمر

ثابت فيفيد التحقيق التعجيب»^٤.

﴿خَسِرَ﴾ فعل ماضٍ. «الخسران: هلاك رأس المال»^٥.

١. التبيان ٤/ ٢٩٢.

٢. التبيان ٤/ ٢٩٢.

٣. التبيان ٤/ ٢٩٣.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ٨٥.

٥. التبيان ٤/ ٢٩٣.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، فاعل. ﴿قَتَلُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، صلة الموصول.
 ﴿أَوْلَدَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.
 ﴿سَفَهَا﴾ مفعول مطلق يبيّن نوع القتل وتقديره: «سفهوا بما فعلوه ﴿سَفَهَا﴾ خوفاً من الفقر وهرباً من العار»^١ أو مفعول لأجله أو حال من ﴿الَّذِينَ قَتَلُوا﴾. السفه: «خفة العقل واضطرابه»^٢ و «أصله: الخفة»^٣.
 ﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه. جارٍ ومجرور متعلّق بحال من ﴿الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ أو من ﴿سَفَهَا﴾ تأكيد له والباء للملابسة.
 وتوصيف قتل الأولاد بأنه ﴿سَفَهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يفيد التعليل كأنه قال: خسروا في قتل أولادهم لأنهم سفهوا به ﴿سَفَهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿حَرَمُوا﴾ معطوف على ﴿قَتَلُوا﴾. أي ﴿حَرَمُوا﴾ على أنفسهم.
 ﴿مَا﴾ مفعول به، له إطلاق يشمل أنعام وحرث وأولاد.
 ﴿رَزَقَهُمُ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدم. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

وأما التحريم بالنسبة إلى الأنعام والحرث بأحكامهم الفاسدة التي مرّت عنهم في الآيات الماضية وبالنسبة إلى الأولاد قتلهم خوفاً من الفقر والعار. والأول تحريم حكمي والثاني تحريم فعلي.

﴿أَفْتَرَاءٌ﴾ مفعول مطلق لـ ﴿حَرَمُوا﴾. ﴿أَفْتَرَاءٌ﴾: كذباً.
 ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بـ ﴿أَفْتَرَاءٌ﴾. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق، تأكيد.
 ﴿صَلُّوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. أخبار بصلاتهم في الأحكام والأفعال الصادرة

١. التبيان ٤/ ٢٩٣.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ٨٥.

٣. التبيان ٤/ ٢٩٣.

عنهم ﴿أَفْتَرَاءَ عَلَى اللَّهِ﴾. «الضلال: خطأ الطريق الموصل إلى المقصود»^١.
﴿وَ﴾ عاطفة أو استئنافية. ﴿مَا﴾ نافية.
﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
﴿مُهْتَدِينَ﴾ خبر ﴿كَانُوا﴾. تأكيد على «أثم لم يكونوا ﴿مُهْتَدِينَ﴾» إلى
طريق الرشاد والحق»^٢.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا
أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ
وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

احتجاج على المشركين وردّ على أحكامهم المفتراة وأفعالهم الضالة من التحريم
والقتل بأنّها مخالفة للعقل ومصلحة معاش العباد وسنة الله تعالى في خلقه الحرث
والأنعام رزقاً لهم.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾^٣.
﴿هُوَ﴾ مبتدأ، عائد إلى ﴿اللَّهُ﴾^٤ تعالى. ﴿الَّذِي﴾ خبر.
﴿أَنْشَأَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو». «الإنشاء: إحداث الأفعال
ابتداءً لا على مثال سبق وهو كالإبتداع»^٥. الانشاء: اليجاد والخلق.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ٨٧.

٢. التبيان ٤/ ٢٩٣.

٣. سورة الأنعام / ١٤٠.

٤. سورة الأنعام / ١٤٠.

٥. التبيان ٤/ ٢٩٤.

﴿جَنَّتٍ﴾ مفعول به. وعلامة نصبه الكسرة لأنها ملحقة بجمع المؤنث السالم.
 ﴿جَنَّتٍ﴾ «جمع جنة وهي البساتين التي يجنحها الشجر من النخل وغيره»^١.
 ﴿مَعْرُوشَتٍ﴾ نعت لـ ﴿جَنَّتٍ﴾. معروشات: مرفوعات وأصله: الرفع.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿غَيْرٍ﴾ معطوف على ﴿جَنَّتٍ﴾.
 ﴿مَعْرُوشَتٍ﴾ مضاف إليه. ﴿غَيْرٍ مَعْرُوشَتٍ﴾: منبسطة على وجه الأرض وغير مرفوعات.

قال في الميزان: «الشجرة المعروشة هي التي ترفع أغصانها بعضاً على بعض بدعائم كالكرم وأصل العرش الرفع فالجنات المعروشات هي بساتين الكرم ونحوها، والجنات غير المعروشات ما كانت أشجارها قائمة على أصولها من غير دعائم»^٢ ولكن ظاهر الآية لا يساعده.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿النَّخْلِ﴾ معطوف على ﴿جَنَّتٍ﴾.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الزَّرْعِ﴾ معطوف على ﴿جَنَّتٍ﴾.
 ﴿مُخْتَلِفًا﴾ حال من ﴿الزَّرْعِ﴾.
 ﴿أَكْلُهُرُ﴾ فاعل لاسم فاعل ﴿مُخْتَلِفًا﴾. الأكل: الشيء الذي يؤكل ﴿مُخْتَلِفًا﴾
 ﴿أَكْلُهُرُ﴾: ﴿مُخْتَلِفًا﴾ ما يؤكل منه. ويعلم منه أن ﴿النَّخْلِ﴾ و ﴿جَنَّتٍ﴾. كذلك.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الزَّيْتُونِ﴾ معطوف على ﴿جَنَّتٍ﴾. أي شجر ﴿الزَّيْتُونِ﴾.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الرُّمَانَ﴾ معطوف على ﴿جَنَّتٍ﴾. أي شجر ﴿الرُّمَانَ﴾.
 ﴿مُتَشَبِهًا﴾ حال من ﴿الرُّمَانَ﴾، متشابه: متماثل. والتشابه يمكن أن يكون في الطعم أو اللون أو الشكل وغيرها. ومنه يعلم حال ﴿الزَّيْتُونِ﴾ و ﴿الزَّرْعِ﴾ و ﴿النَّخْلِ﴾.

١. التبيان ٤/٢٩٤.

٢. الميزان ٧/٣٦٣.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿غَيْرَ﴾ معطوف على ﴿مُتَشَبِّهًا﴾. ﴿مُتَشَبِّهٍ﴾ مضاف إليه.
﴿كُلُوا﴾ فعل أمر وفاعله. في مقام رفع الحظر يفيد الإباحة كما هو المقرر في
علم الأصول.

﴿مِنْ ثَمَرِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلقان بـ﴿كُلُوا﴾. ﴿مِنْ﴾
للتبويض.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان، أي حين. يفيد التوقيت.

﴿أَتَمَّرَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو»، في محل جر بالاضافة لوقوعها
بعد الظرف وتقديره: ﴿إِذَا أَتَمَّرَ﴾ فـ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ءَاتُوا﴾ معطوف على ﴿كُلُوا﴾. أمر يدل على الوجوب.

﴿حَقَّهُ﴾ مفعول به ومضاف إليه، والضمير يعود إلى ﴿تَمَّرَ﴾ ويحتمل عوده إلى
﴿اللَّهِ﴾^١. والظاهر أن المراد بالحق هنا غير الزكاة أو هي معه.
﴿يَوْمَ﴾ ظرف زمان متعلق بـ﴿ءَاتُوا﴾.

﴿حَصَادِهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. الضمير يعود إلى ﴿تَمَّرَ﴾. الحصاد:
قطع الثمر والحب من أصوله.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا تُسْرِفُوا﴾ فعل نهي وفاعله. معطوف على ﴿كُلُوا﴾. «أي لا تتجاوزوا الحد
الذي يصلح به معاشكم بالتصرف فيه فلا يتصرف صاحب المال منكم بالإسراف في
أكله أو التبذير في بذله أو وضعه في غير موضعه من معاصي الله وهكذا، ولا يسرف
الفقير الآخذ بتضييعه ونحو ذلك، ففي الكلام إطلاق، والخطاب فيه لجميع الناس»^٢.

١. سورة الأنعام / ١٤٠.

٢. الميزان ٧ / ٣٦٤.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، تأكيد. والضمير يعود إلى ﴿اللَّهِ﴾^١.
 ﴿لَا تُحِبُّ﴾ فعل نفي وفاعله ضمير مستتر «هو». ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾ مفعول به.
 جملة ﴿لَا تُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّهُ﴾.

الروايات

الروايات الواردة حول الآية الشريفة كثيرة فراجع إلى البرهان^٢ ونور الثقلين^٣ إن شئت.

﴿وَمِنَ الْأَنْعَمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۖ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ
 الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾



بيان حكم إباحة التصرف والأكل من الأنعام وردّ ما حكم به المشركون في
 الجاهلية الأولى من تحريمها وتحريم ﴿مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ آفْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾^٤.
 ﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت على ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾^٥. ﴿مِنَ﴾ ابتدائية.
 ﴿الْأَنْعَمِ﴾ مجرور ﴿مِنَ﴾. أي ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ ﴿مِنَ الْأَنْعَمِ﴾.
 ﴿حَمُولَةً﴾ مفعول به. ﴿حَمُولَةً﴾: ما يحمل عليه الأثقال وهي أكابر الأنعام من
 الأبل والبقر والفرس و....
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿فَرْشًا﴾ معطوفة على ﴿حَمُولَةً﴾. الفرش: ما يفرش للذبح من الضأن والمعز

١. سورة الأنعام / ١٤٠.

٢. البرهان ٢ / ٤٨٢.

٣. نور الثقلين ٢ / ٤٠١.

٤. سورة الأنعام / ١٤٠.

٥. سورة الأنعام / ١٤١.

وصغار الإبل والبقر أو ما يُتخذ الفرش من صوفه وشعره ووبره.
 ﴿كُلُوا﴾ فعل أمر وفاعله، يدلّ على الإباحة لتوهم الحظر.
 ﴿مِمَّا﴾ مكونة «من» تبعيضية و «ما» موصولة. ﴿مِمَّا﴾ جار ومجرور متعلّق
 بـ ﴿كُلُوا﴾.

﴿رَزَقَكُمُ﴾ فعل ماض ومفعول به. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿وَأَعِظُكُمْ﴾ عاطفة.
 ﴿لَا تَتَّبِعُوا﴾ فعل نهي وفاعله. ﴿خُطُوتِ﴾ مفعول به.
 ﴿الشَّيْطَانِ﴾ مضاف إليه. والمراد بها تحريم ما أحله الله بغير علم.
 ﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، يفيد تعليل النهي.
 ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿عَدُوِّكُمْ﴾. ﴿عَدُوِّكُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّهُ﴾.
 ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ نعت لـ ﴿عَدُوِّكُمْ﴾.

ومعنى هذه الآية ورد في سور غافرا ١ والنحل ٢ ويس ٣ فراجعها.

﴿ثُمَّ نَبِّئِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ صَعْبَ رَبِّهِمْ خَطَاؤُهُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا غَافِلِينَ﴾
 ﴿أَمْ أَلَا تَأْتِيكُمُ الْبُحُورُ الْحَمِرةُ الْبَيْضَاءُ الَّتِي أَنَّهَا أَنَّهَا كَالصُّبْحِ كَأَنَّ السَّمَاةَ أَنزَلَتْ﴾

﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

تفصيل للأنعام بعد الاجمال والمراد به تشديد اللوم والتوبيخ على المشركين
 والردّ عليهم ببسطه على جميع الصور والوجوه.

١. سورة غافر / ٧٩ و ٨٠.

٢. سورة النحل / (٨-٥).

٣. سورة يس / (٧٣-٧١).

﴿ثَمَنِيَّةٌ﴾ حال من ﴿مِنَ الْأَنْعَمِ حُمُولَةً وَفَرَشًا﴾^١ أو عطف بيان منه أو بدل منه.

﴿أَزْوَاجٍ﴾ مضاف إليه. «الازواج جمع زوج، ويطلق الزوج على الواحد الذي يكون معه آخر وعلى الاثنين، وأنواع الأنعام المعدودة أربعة: الضأن والمعز والبقر والإبل، وإذا لوحظت ذكراً وانثى كانت ﴿ثَمَنِيَّةٌ أَزْوَاجٍ﴾»^٢.
﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿ثَمَنِيَّةٌ أَزْوَاجٍ﴾.
﴿مِنَ﴾ بياضي، ﴿الضَّأْنِ﴾^٣: بالهمز اسم جمع للغنم لا واحد له من لفظه ومفرد ﴿الضَّأْنِ﴾ شاة وجمعها شاء.

﴿أَثْنَيْنِ﴾ بدل من ﴿ثَمَنِيَّةٌ﴾، أي زوجين ﴿أَثْنَيْنِ﴾ ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ يعني: أنشأ الله ﴿ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجٍ﴾ ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ زوجين ﴿أَثْنَيْنِ﴾ هما الذكر والانثى.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ﴾ معطوفة على ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾، ﴿الْمَعَزِ﴾: اسم جمع مفردة معز وبالفارسية يقال له: «بُز».

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للرسول الأعظم بداية الرد في هذه الآية على المشركين.

﴿ءِ﴾ همزة استفهام إنكاري. إنكار افتراءهم على الله.
﴿الذَّكَرَيْنِ﴾ مفعول به مقدم، والتعريف للجنس. أي ﴿الذَّكَرَيْنِ﴾ ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ ﴿وَمِنَ الْمَعَزِ﴾.

﴿حَرَّمَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو».

١. سورة الأنعام / ١٤٢.

٢. الميزان / ٧ / ٣٦٤.

٣. بالفارسية: گوسفند.

﴿أَمْ﴾ منقطعة بمعنى «بل» ومعناه الإضراب الانتقالي تعديداً لهم ويُقدَّر بعدها استفهام.

﴿الْأَنْثِيَيْنِ﴾ مفعول به ﴿حَرَّمَ﴾ المقدرة. ﴿الْأَنْثِيَيْنِ﴾ ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ ﴿وَمِنَ الْمَعَزِ﴾.

﴿أَمَّا﴾ مكونة من «أم» حرف عطف و «ما» موصولة بدل من ﴿الذَّكَرَيْنِ﴾ و ﴿الْأَنْثِيَيْنِ﴾.

﴿أَشْتَمَلَتْ﴾ فعل ماض مؤنث.

﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَشْتَمَلَتْ﴾. ﴿أَرْحَامُ﴾ فاعل.

﴿الْأَنْثِيَيْنِ﴾ مضاف إليه. يعني وهل التحريم يجري في حق الجنس الذي في

﴿أَرْحَامُ الْأَنْثِيَيْنِ﴾ ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ ﴿وَمِنَ الْمَعَزِ﴾!؟

﴿نَبِّئُونِي﴾ فعل أمر وفاعله ونون الوقاية ومفعول به. ﴿نَبِّئُونِي﴾: اخبروني.

﴿بِعَلْمٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿نَبِّئُونِي﴾ والباء للملابسة. وهذا طلبُ الدليل

على دعواهم على التحريم وهو مفقودٌ.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه. فعل الشرط.

﴿صَلِدِقَيْنِ﴾ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾.

وجواب الشرط محذوف وهو «في أن الله حرّمه» أو «في دعاكم» ونحوها.

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا
 اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

تتمة تفصيل ﴿ثَمَنِيَّةَ أَوْجٍ﴾^١ والاستدلال على ردّ دعوى المشركين في تحريم
 الأنعام.

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا
 اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ معطوف على مثله في الآية السابقة وقد مرّ اعرابه
 ومعناه.

﴿أَمْ﴾ منقطعة للإضراب الانتقالي. تؤذن باستفهام إنكاري بقريته السياق.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿شُهَدَاءَ﴾ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾. ﴿شُهَدَاءَ﴾ جمع شهيد بمعنى شاهد وهو الحاضر في
 واقعة وقضية وحادثة.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان بمعنى «حين» متعلق بـ ﴿كُنْتُمْ﴾.

﴿وَصَّيْتُكُمْ﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿بِهَذَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿وَصَّيْتُكُمْ﴾، واسم الإشارة يرجع إلى التحريم

المدعي من قبل المشركين في الأنعام.

﴿فَمَنْ﴾ تفرعية، على إنكار التحريم وإبطاله.

﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، مبتدأ. ﴿أَظْلَمُ﴾ خبر.

﴿مِمَّنْ﴾ مكونة من «مِنْ» و «مَنْ» جار ومجروره وهو اسم موصول متعلق بـ ﴿أَظْلَمُ﴾.

﴿أَفْتَرَى﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَفْتَرَى﴾.

﴿كَذِبًا﴾ مفعول به. ﴿إِ﴾ حرف جر للتعليل.

﴿يُضِلُّ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل وفاعله ضمير

مستتر «هو» يرجع إلى «من» في ﴿مِمَّنْ﴾.

﴿النَّاسِ﴾ مفعول به.

﴿بِغَيْرِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال من فاعل ﴿يُضِلُّ﴾.

﴿عَلِمَ﴾ مضاف إليه. أي حالكونه غير عالم.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يَهْدِي﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». ﴿الْقَوْمِ﴾ مفعول به.

﴿الظَّالِمِينَ﴾ نعت لـ ﴿الْقَوْمِ﴾.

وجملة ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

الروايات

خبر داود الرقي قال: سألتني بعض الخوارج عن هذه الآية ﴿مَنْ أَلْبَسَ الظَّالِمِينَ وَمَنْ أَلْبَسَ الظَّالِمِينَ﴾ قلَّءَ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأَنْثَيْنِ﴾^١. ﴿وَمَنْ أَلْبَسَ الظَّالِمِينَ وَمَنْ أَلْبَسَ الظَّالِمِينَ﴾ ما الذي أحلَّ الله من ذلك وما الذي حَرَّمَ؟ فلم يكن عندي شيء فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأنا حاجٌّ فأخبرته بما كان فقال: إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَحَلَّ فِي الْأَضْحِيَّةِ بَمَنْى الضَّأْنَ وَالْمَعَزِ الْأَهْلِيَّةِ وَحَرَّمَ أَنْ يَضْحَى بِالْجَبَلِيَّةِ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَلْبَسَ الظَّالِمِينَ وَمَنْ أَلْبَسَ الظَّالِمِينَ﴾

أَلْبَقَرِ اثْنَيْنِ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَلَّ فِي الْأَضْحِيَّةِ الْأَبْلَ الْعِرَابَ وَحَرَّمَ فِيهَا الْبِخَاتِي وَأَحَلَّ الْبَقْرَ الْأَهْلِيَّةَ أَنْ يَضْحَى بِهَا وَحَرَّمَ الْجَبَلِيَّةَ، فَانصرفت إلى الرَّجُلِ فَأخبرته بهذا الجواب، فقال: هذا شيء حملته الإبل من الحجاز. ١

رواها العياشي في تفسيره ٢ والمفيد في الاختصاص ٣.

معتبرة إسماعيل الجعفي وعبدالكريم بن عمرو وعبد الحميد بن أبي الديلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حمل نوح عليه السلام في السفينة الأزواج الثمانية التي قال الله تعالى: ﴿ تَمَنِّيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ ﴾ ٤ ﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ﴾ فكان من الضأن اثنين زوج داجنة يربيها الناس والزواج الآخر الضأن التي تكون في الجبال الوحشية أحل لهم صيدها، ومن المعز اثنين زوج داجنة يربيها الناس والزواج الآخر الظبي التي تكون في المفاوز ومن الإبل اثنين البخاتي والعراب ومن البقر اثنين زوج داجنه للناس والزواج الآخر البقر الوحشية، وكلُّ طير طيب وحشي [أ] وانسي ثم غرقت الأرض. ٥

عن صفوان الجمال قال: كان متجراً إلى مصر وكان لي بها صديق من الخوارج فأتاني وقت خروجي إلى الحج، فقال لي: هل سمعت من جعفر بن محمد عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ تَمَنِّيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ ﴾ ٤ قُلْ أَلَّذَكَرِينَ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثِيَّاتِ أَمْ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَّاتِ ﴾ ٦ ﴿ ... وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ﴾ أيّاً أحل وأياً حرم؟ قلت: ما سمعت منه في هذا شيئاً، فقال لي: أنت على الخروج فأحبُّ

١. الكافي ٩/١٠٦، ح ١٧ (٤/٤٩٢).

٢. تفسير العياشي ٢/١٢٤، ح ١١٦.

٣. الاختصاص / ٥٤.

٤. سورة الأنعام / ١٤٣.

٥. الكافي ١٥/٦٤٤، ح ٤٢٧ (٨/٢٨٤).

٦. سورة الأنعام / ١٤٣.

ان تسئله عن ذلك، قال: فحججت فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فسألته عن مسألة الخارجي، فقال لي: حرّم من الضأن ومن المعز الجبلية وأحلّ الأهلية يعني في الاضاحي، وأحلّ من الإبل العراب، ومن البقر الأهلية، وحرّم من البقر الجبلية، ومن الابل البُخاتي يعني في الاضاحي، قال: فلمّا انصرفت أخبرته، فقال: أمّا انه لو لا ما أهرق جدّه من الدماء ما أتخذت اماماً غيره.^١

عن أيوب بن نوح بن دراج قال: سألت أبا الحسن الثالث عليه السلام عن الجاموس وأعلمته ان أهل العراق يقولون انه مسخ، فقال: أو ما سمعت قول الله ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾.^٢

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ - فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

«بعد أن بيّن الله سبحانه افتراء المشركين على الله فيما حللوا وحرّموا من المأكولات - بيّن في هذه الآية المحرمات عند الله سبحانه مما يؤكل، وهي أربعة: الميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما ذبح على غير اسم الله، ولا يجوز لأحد أن يتناول منها شيئاً إلا المضطر إلى أكلها، فله، والحال هذه، أن يتناول منها ما يدفع به الضرر عن نفسه»^٣.

وفيها تنبيه: «على أن التشريع لا يكون إلا لله تعالى أو بإذن منه في وحي إلى

١. تفسير العياشي ٢/ ١٢٤، ح ١١٧.

٢. تفسير العياشي ٢/ ١٢٣، ح ١١٥.

٣. التفسير الكاشف ٣/ ٢٧٦.

رساله، ومن خالف ذلك فهو ظالم معتد على مقام التوحيد والربوبية، ومن أطاعه في ذلك يكون مشركاً، كما هو واضح»^١.

﴿قُلْ﴾ «الخطاب للرسول ﷺ للدلالة على أنه مأذون من قبله ﷺ في التشريع. كما أنه يدل على الإباحة في الأطعمة إلا ما حرّمه الله ﷻ»^٢.

﴿لَا أَجِدُ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر «أنا» العائد إلى رسول الله ﷺ. ﴿لَا أَجِدُ﴾: ﴿لَا﴾ أظفر ومصدره الوجد والوجدان.

﴿فِي مَا﴾ حرف جر و﴿مَا﴾ موصولة، والجار والمجرور متعلق ب﴿لَا أَجِدُ﴾.

﴿أُوْحِيَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

﴿إِلَى﴾ جار ومجرور متعلق ب﴿أُوْحِيَ﴾. والمراد ب﴿مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ﴾ هو القرآن

الكريم، وهذه الآية أول ما ورد في القرآن من تحريم بعض الأطعمة على ترتيب النزول لأنها مكية وما ورد من مضمونها في آيتي ١٧٣ من سورة البقرة و ٣ من سورة المائدة فاتهما مدنيتان.

﴿مُحْرَمًا﴾ صفة لمفعول محذوف لفعل ﴿لَا أَجِدُ﴾، أي طعاماً ﴿مُحْرَمًا﴾ أو مطعوماً ﴿مُحْرَمًا﴾.

﴿عَلَى طَاعِمٍ﴾ جار ومجرور متعلق ب﴿مُحْرَمًا﴾. ﴿طَاعِمٍ﴾: أكل، طعم كعلم إذا

أكل الطعام.

﴿يَطْعُمُهُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، نعت مؤكدة

لـ ﴿طَاعِمٍ﴾. ﴿يَطْعُمُهُ﴾: يأكله.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء، والاستثناء بعده منقطع لأنه مستثنى من غير المحرم.

والحصر المستفاد من النفي والاستثناء إضافي لا حقيقي لوجود المحرمات الأخرى في

١. مواهب الرحمن ١٤/٤٢٥.

٢. مواهب الرحمن ١٤/٤٢٥.

الشريعة لم تدخل في الآية الشريفة.

﴿أَنْ﴾ حرف مصدرية ناصبة.

﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص منصوب واسمه ضمير مستتر «هو».

﴿مَيْتَةً﴾ خبر ﴿يَكُونُ﴾. الميتة: ما مات حتف أنفه.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف. ﴿دَمًا﴾ معطوف على ﴿مَيْتَةً﴾.

﴿مَسْفُوحًا﴾ نعت لـ ﴿دَمًا﴾. ﴿مَسْفُوحًا﴾: مصبوباً سائلاً وهو يخرج بدفق كدم

العروق، وغير المسفوح يسح سحاً كدم الكبد.

﴿أَوْ لَحْمٍ﴾ معطوف بحرف العطف على ﴿مَيْتَةً﴾.

﴿خَنزِيرٍ﴾ مضاف إليه. ﴿فَ﴾ استئنافية للتعليل.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، والضمير عائد إلى ﴿لَحْمٍ خَنزِيرٍ﴾. ويمكن

ارجائه إلى جميع ما قبله وأفراده على تأويله بالمذكور.

﴿رَجَسٌ﴾ خبر ﴿إِنَّهُ﴾، ﴿رَجَسٌ﴾: قدر.

﴿أَوْ فَسَقًا﴾ معطوف بحرف عطف على ﴿مَيْتَةً﴾ أو على ﴿لَحْمٍ خَنزِيرٍ﴾. سمي

المذبوح على اسم ﴿غَيْرِ اللَّهِ﴾ ﴿فَسَقًا﴾ لتوغله في الفسق والخروج عن طاعة الله ﷻ به.

﴿أَهْلٍ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

الاهلال: رفع الصوت.

﴿لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَهْلٍ﴾ ومضاف إليه. ﴿أَهْلٍ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾: ذبح

باسم ﴿غَيْرِ اللَّهِ﴾.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَهْلٍ﴾. والضمير عائد إلى المذبوح المذكور في

المعنى.

﴿فَ﴾ استئنافية.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ، جملتا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿أَضْطَرُّ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر، في محل جزم فعل الشرط، ﴿أَضْطَرُّ﴾ أي أصابته الضرورة.

﴿غَيْرَ﴾ حال من الضمير المستتر في ﴿أَضْطَرُّ﴾.

﴿بَاغٍ﴾ مضاف إليه. الباغي: من يرتكب الحرام من غير اضطرار ولا ضرورة.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة تأكيد للنفي.

﴿عَادٍ﴾ معطوف على ﴿بَاغٍ﴾، العادي: من يتجاوز الحد.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿رَبِّكَ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ ومضاف إليه. والضمير الخطاب يعود إلى الرسول الأعظم ﷺ تعظيماً له بافتتاح الخطاب له ﴿قُلْ﴾ واختتامه له.

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ خبرا ﴿إِنَّ﴾. اشارة إلى أن هذا الترخيص في الضرورات للمسلمين فقط يشهدون بالربوبية لله تعالى وبالنبوة للرسول الأعظم ﷺ.

وإلى أن الترخيص معلول لمغفرة الرب الرحيم.

قال الشيخ الطوسي رحمته الله: «وقد استدل قوم بهذه الآية على إباحة ما عدا هذه الأشياء المذكورة. وهذا ليس بصحيح، لان هاهنا محرمات كثيرة غيرها كالسباع، وكل ذي ناب وكل ذي مخلب، وغير ذلك. وكذلك أشياء كثيرة اختص أصحابنا بتحريمها، كالجرى والمارماهي، وغير ذلك، فلا يمكن التعلق بذلك.

ويمكن ان يستدل بهذه الآية على تحريم الانتفاع بجلد الميتة فإنه داخل تحت قوله ﴿أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ ويقويه قوله لَا يَأْكُلُ: «لا يتنفع من الميتة بأهاب ولا عصب» فأما دلالته على أن الشعر والصوف والريش منها والناب والعظم محرم، فلا يدل عليه، لأن ما لم تحله الحياة لا يسمى ميتة على ما مضى القول فيه»^١.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ ۗ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾

«بيان ما حرّمه الله ﷻ على اليهود خاصة جزاء بغْيهم وعقوبة لهم، وعليه فلا ينافي أن تكون تلك المحرّمات حلالاً بحسب الأصل الأولي، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَبُظِّلِمِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^١.

«وكأنتها في مقام الاستدراك ودفع الدخّل ببيان أن ما حرّم الله على بني إسرائيل من طيبات ما رزقهم إنما حرّمه جزاء لبغْيهم فلا ينافي ذلك كونه حلالاً بحسب طبعه الأولي كما يشير إلى ذلك قوله: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ﴾^٢». ٣.

﴿و﴾ عاطفة، عطف ما بعدها على أول الآية السابقة.

﴿عَلَى الَّذِينَ﴾ حرف جار واسم موصول مجروره متعلّق بـ ﴿حَرَّمْنَا﴾، تقديم المجرور على متعلّقة لإفادة الاختصاص.

﴿هَادُوا﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود.

﴿حَرَّمْنَا﴾ فعل ماض وفاعله في انتساب الحرمة إلى الله يستفيد أنّ التشريع يختص به تعالى.

﴿كُلِّ﴾ مفعول به.

١. سورة النساء / ١٦٠.

٢. سورة آل عمران / ٩٣.

٣. الميزان ٧/ ٣٦٦.

﴿ذِي ظُفْرِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. الظفر: العظم النابت تحت الجلد على رؤوس أصابع الإنسان والحيوان والمخالب «وهو يقابل الحافر والظلف ويكون للإبل والسبع والكلب والهرّ والأرنب والوبر ونحوها؛ فهذه محرمة على اليهود بنص شريعة موسى ﷺ ففي الإصحاح الرابع عشر من سفر التثنية: «الجمل والأرنب والوبر فلا تأكلوها»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مِنَ الْبَقَرِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿حَرَمْنَا﴾، ﴿مِنَ﴾ للتبعيض.

﴿وَالْغَنَمِ﴾ حرف عطف ومعطوف على ﴿الْبَقَرِ﴾.

﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ فعل ماض وفاعله وجرار ومجرور متعلق به.

﴿شُحُومُهُمَا﴾ مفعول به ومضاف إليه. الشحوم: جمع شحم وهو المادة الدهنية

التي تكون مع اللحم في جسد الحيوان وبالفارسية يقال له: «بيه».

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء. ﴿مَا﴾ موصولة، مستثنى منقطع.

﴿حَمَلَتْ﴾ فعل ماض، أي عَلَّقَتْ بـ.

﴿ظُهُورُهُمَا﴾ فاعله ومضاف إليه. المستثنى هو المادة الدهنية في الظهر ويشمل

يقال له بالفارسية: «دُنْبِه».

﴿أَوْ﴾ عاطفة.

﴿الْحَوَايَا﴾ معطوفة على ﴿ظُهُورُهُمَا﴾، أي ﴿مَا حَمَلَتْ﴾ ﴿الْحَوَايَا﴾ وهي جمع

حَوِيَّة أو حاوية وهي الأكياس الشحمية التي تحوي الأمعاء كالمباغر والمصارين.

﴿أَوْ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ موصولة، معطوف على ﴿مَا﴾ السابقة.

﴿أَخْتَلَطَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو». الاختلاط هنا: الاتصال.

﴿بِعَظْمٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَخْتَلَطَ﴾.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٠٦/٧.

والمراد بـ ﴿مَا أَخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ «هو الشحم الذي يكون ملتقاً على عظم الحيوان من السَّمَن فهو معفو عنه لعسر تجريده عن عظمه»^١.
﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة تشير إلى التحريم، مفعول به ثانٍ لـ ﴿جَزَيْنَهُمْ﴾.
﴿جَزَيْنَهُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به أول.
﴿بِغَيْبٍ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿جَزَيْنَهُمْ﴾ والباء للسببية، البغي: الظلم، أي اعقبناهم بسبب ظلمهم.
﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِنَّا﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.
﴿لَ﴾ لام المزحلقة، تأكيد. ﴿صَدِّقُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّا﴾.
«تأكيد بليغ لصدق المخبر وحقيقة الخبر»^٢.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

«تهديد لهم بالبأس الإلهي الذي يُصيب المكذِّبين المعاندين، وقد اقتضت رحمته ﷻ أن لا يحصل لهم اليأس، فجعل باب الرجاء عليهم مفتوحاً، ولعلّه لأجل هذا قدّم الرحمة على العذاب»^٣.

«أمر بإنذارهم وتهديدهم إن كذبوا بالبأس الإلهي الذي لا مرد له لكن لا ببيان يسلط عليهم اليأس والقنوط بل بما يشوبه بعض الرجاء، ولذلك قدّم عليه قوله:

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٠٦/٧.

٢. مواهب الرحمن ١٤/٤٣٠.

٣. مواهب الرحمن ١٤/٤٣٠.

﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ﴾^١.

﴿فَ﴾ تفرّيع على إبطال تحريم ما حرّموه ابتداءً من قوله: ﴿تَمَنِّيَةَ أَزْوَاجٍ﴾^٢.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿كَذَّبُوكَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به، فعل الشرط، الضمير الفاعلي

يعود إلى المشركين واليهود والكافرين عامة والضمير المفعولي يرجع إلى الرسول الأعظم ﷺ.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت». جواب الشرط وما بعدها مقول

القول.

﴿رَبُّكُمْ﴾ مبتدأ ومضاف إليه في إضافة الربِّ إليهم نوع من التوجّه والعناية.

﴿ذُو﴾ خبر، ﴿ذُو﴾: صاحب، «والفرق بينهما ان احدهما يصح أن يضاف إلى

المضمر، ولا يصح في الآخر، لان ﴿ذُو﴾ وصلة إلى الصفة بالجنس، ولذلك جعل

ناقصاً لا يقوم بنفسه دون المضاف إليه، والمضمر ليس بجنس ولا يصح ان يوصف

به»^٣.

﴿رَحْمَةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿وَسِعَتْ﴾ نعت لـ ﴿رَحْمَةٍ﴾.

«تنبيه لهم بأن تأخير العذاب عنهم هو إمهال داخل في رحمة الله رحمة مؤقّته،

لعلّهم يسلمون. وعليه يكون معنى فعل: ﴿كَذَّبُوكَ﴾ الاستمرار، أي إن استمروا

على التّكذيب بعد هذه الحجج»^٤ ومن رحمته إمهال المجرمين في الدّنيا.

١. الميزان ٣٦٦/٧.

٢. سورة الأنعام / ١٤٣.

٣. التبيان ٣٠٨/٤.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٠٨/٧.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يُرَدُّ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، ﴿لَا يُرَدُّ﴾: لا يدفع.

﴿بِأَسْئَرِهِ﴾ نائب فاعل ومضاف إليه. والضمير يعود إلى ﴿رَبُّكُمْ﴾.

﴿بِأَسْئَرِهِ﴾: عذابه، «معناه لا يمكن احدا أن يرده عنهم، وهو أبلغ من قوله بأسه نازل بالمجرمين، لأنه دلّ على هذا المعنى وعلى ان أحدا لا يمكنه رده»^١.

﴿عَنِ الْقَوْمِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿لَا يُرَدُّ﴾.

﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ نعت لـ﴿الْقَوْمِ﴾. وهذا الوعيد عام يشمل الكافرين والفاستين

الذين يكفر بالله في الفعل والعمل.

«معناه: إن أحدا لا يتمكن من ردّ عقاب الله عن العصاة المستحقين للعقاب مع

أنه تعالى ذو رحمة واسعة»^٢.

رواية

خبر جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بالكوفة بعد منصرفه من النهروان وبلغه أن معاوية يسبه ويلعنه ويقتل أصحابه، فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر ما أنعم الله على نبيه وعليه، ثم قال: لو لا آية في كتاب الله ما ذكرت ما أنا ذاكره في مقامي هذا، يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^٣، اللهم لك الحمد على نعمك التي لا تحصى، وفضلك الذي لا ينسى، يا أيها الناس إنّه بلغني ما بلغني وإنّي أراني قد اقترب أجلي، وكأني بكم وقد جهلتم أمري، وإنّي تارك فيكم ما تركه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاب الله وعترتي وهي عترة الهادي إلى النجاة خاتم الأنبياء،

١. التبيان ٤/ ٣٠٨.

٢. التبيان ٤/ ٣٠٨.

٣. سورة الضحى/ ١١.

وسيدّ النجباء، والنبّي المصطفى، يا أيها النّاس لعلّكم لا تسمعون قائلاً يقول مثل قولي بعدي إلا مفتر، أنا أخو رسول الله، وابن عمّه، وسيف نغمته، وعماد نصرته وبأسه وشدّته، أنا رحي جهنّم الدائرة، وأضراسها الطاحنة، أنا موتم البنين والبنات، أنا قابض الأرواح وبأس الله الذي لا يردّه عن القوم المجرمين، أنا مجدل الأبطال، وقاتل الفرسان، ومبير من كفر بالرّحمن، الحديث. ١

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا خُرُوسٌ﴾

«أخبر الله تعالى نبيّه ﷺ بأنّ هؤلاء المشركين سيحتجون في إقامتهم على شركهم، وعلى تحريمهم ما أحله الله من الأنعام التي تقدم وصفها بأن يقولوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا نفعل نحن ذلك ولا نعتقده ﴿وَلَا آبَاؤُنَا﴾، أو أراد منا خلاف ذلك ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا﴾ شيئاً من ذلك. فكذبهم الله تعالى بذلك في قوله ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾. ٢

﴿سَ﴾ حرف استقبال للقريب. ﴿يَقُولُ﴾ فعل مضارع. ﴿الَّذِينَ﴾ فاعله.
 ﴿أَشْرَكُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، وما بعده مقول قولهم وصدق المخبّر معجز.
 ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم. ﴿شَاءَ اللَّهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله، فعل الشرط.

١. معاني الأخبار / ٥٨، ح ٩.

٢. التبيان / ٤ / ٣٠٨.

﴿ مَا ﴾ نافية. ﴿ أَشْرَكْنَا ﴾ فعل ماض وفاعله، جواب الشرط.
 ﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ لَّا ﴾ زائدة، تأكيد النفي.
 ﴿ ءَابَاؤُنَا ﴾ معطوف على الضمير الفاعلي في ﴿ أَشْرَكْنَا ﴾. ﴿ وَ ﴾ عاطفة.
 ﴿ لَّا حَرَمْنَا ﴾ معطوفة على ﴿ مَا أَشْرَكْنَا ﴾ وتعرب مثلها.
 ﴿ مِنْ شَيْءٍ ﴾ حرف جر زائد للتأكيد ومجروره في محل نصب مفعول به
 ﴿ حَرَمْنَا ﴾.

﴿ كَذَّالِكِ ﴾ اسم اشارة، مبتدأ، اشارة إلى مقالته الكاذبة.
 ﴿ كَذَّبَ ﴾ فعل ماض، خبر. ﴿ الَّذِينَ ﴾ فاعله.
 ﴿ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿ كَذَّبَ ﴾.
 ﴿ حَتَّى ﴾ حرف غاية، غاية تكذيبهم.
 ﴿ ذَاقُوا ﴾ فعل ماض وفاعله، الذوق: مجاز في الإحساس والشعور.
 ﴿ بِأَسْنَا ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿ بِأَسْنَا ﴾: عذابنا.
 ﴿ قُلْ ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للنبي الأعظم ﷺ.
 واستهزاءً بالملكدين.

﴿ هَلْ ﴾ حرف استفهام. ﴿ عِنْدَكُمْ ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه، خبر مقدم.
 ﴿ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ جار ومجرور، حرف جر زائد ومبتدأ مؤخر. ﴿ فَا ﴾ للسببية.
 ﴿ تُخْرِجُوهُ ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد الفاء وفاعله ومفعول
 به.

﴿ نَا ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ تُخْرِجُوهُ ﴾، ﴿ لَ ﴾ للاختصاص والأجل.
 ﴿ إِنْ ﴾ نافية. ﴿ تَتَّبِعُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿ إِلَّا ﴾ أداة استثناء.
 ﴿ الظَّنَّ ﴾ مستثنى، والاستثناء منقطع لأنَّ ﴿ الظَّنَّ ﴾ غير ﴿ عِلْمٍ ﴾.
 ﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ إِنْ ﴾ نافية. ﴿ أَنْتُمْ ﴾ مبتدأ. ﴿ إِلَّا ﴾ أداة حصر.

﴿تَحْرُصُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الخرص: التخمين والاحتمال والكذب.
«في هذه الآية أدلُّ دلالة على أن الله تعالى لا يشاء المعاصي والكفر، وتكذيب
ظاهر لمن أضاف ذلك إلى الله مع قيام أدلة العقل على انه تعالى لا يريد القبيح، لأنَّ
إرادة القبيح قبيحة، وهو لا يفعل القبيح، ولأنَّ هذه صفة نقص، فتعالى الله عن ذلك
علوًّا كبيراً»^١.

وفي الآية الشريفة دلالة ظاهرة على بطلان مذهب الجبر وشبه الجبر وقول
الذين يستندون أفعالهم الخبيثة ومعاصيهم الكبيرة وعقائدهم الباطلة إلى الله تعالى
ومشيئته وإرادته.

ولا يزال الظالمون والمستبدون والقاسطون يتمسكون بهذا المذهب الباطل
ويستندون أفعالهم إلى الله نحو قول ابن زياد الملعون: أليس قد قتل الله علي بن
الحسين؟ ... بل الله قتله.^٢

ومثله قول يزيد اللعين: يا ابن حسين، أبوك قطع رحمي وجهل حقي ونازعني
سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت.^٣

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ ۗ فَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

«بين سبحانه في الآية السابقة أنَّ المشركين لا حجة لهم على ما يدعون سوى
الظن والتَّخرص، وفي هذه الآية بين أنَّ الحجة القاطعة هي الله وحده عليهم وعلى
غيرهم»^٤.

١. التبيان ٤/٣٠٩.

٢. الإرشاد ٢/١١٦ للشيخ المفيد.

٣. الإرشاد ٢/١٢٠.

٤. التفسير الكاشف ٣/٢٧٩.

﴿قُلْ﴾ تكراره ثلاث مرات متعاقبة بدون عطف يجري على طريقة المقابلة.
﴿فَ﴾ تفرعية لمضمون الجملة على ما تقدم من قولهم ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾
في الآية السابقة.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم. تقديم الخبر يفيد الاختصاص أعني: ﴿لِلَّهِ﴾ لا لكم.

﴿الْحُجَّةُ﴾ مبتدأ مؤخر، ﴿الْحُجَّةُ﴾: البرهان والدليل.
﴿الْبَلَّغَةُ﴾ نعت لـ ﴿الْحُجَّةُ﴾. ﴿الْبَلَّغَةُ﴾: «التي تبلغ قطع عذر المحجوج وتزيل كل لبس وشبهة عمّن نظر فيها واستدل أيضاً بها وإنما كانت حجة الله صحيحة بالغة لأنه لا يحتج إلا بالحق وما يؤدي إلى العلم»^١.

﴿فَ﴾ تعليلية. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم.
﴿شَاءَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو». فعل الشرط، والمراد بالمشيئة هنا المشيئة التكوينية التي تصل إلى الجبر في أفعال العباد.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب الشرط.
﴿هَدَيْتُكُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به جواب الشرط.
﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد معنوي.

قد بين الله تعالى أنه «لم يضطر عباده على الإيمان ولم يشأ منهم ذلك بالمشيئة التكوينية حتى يكونوا مجبرين عليه بل أذن لهم في خلافه وهذا الإذن الذي هو رفع المانع التكويني هو اختيار العباد وقدرتهم على جانبي الفعل والترك، وهذا الإذن لا ينافي الأمر التشريعي بترك الشرك مثلاً بل هو الأساس الذي يبتني عليه الأمر والنهي»^٢.

١. التبيان ٤/ ٣١١.

٢. الميزان ٧/ ٣٦٧.

«وبتقرير ثان ادعى المشركون ان شركهم كان بمشية الله، فأبطل سبحانه دعواهم هذه بأثما من غير دليل، لأن الله لا يتدخل في شؤون عباده بإرادة التكوين سلباً ولا إيجاباً... ولو سُلم - جدلاً - أنه يتدخل بهذه الإرادة التي تلجىء الإنسان إلقاء، لو افترض هذا لألجأهم سبحانه إلى الإيمان بوحدانيته بطبيعة الحال، ولم يلجئهم إلى عصيانه والكفر به وجعل الشريك له»^١.

الروايات

مصححة داود بن كثير الرقي عن العبد الصالح عليه السلام قال: إنَّ الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حتى يُعرف.^٢

حسنة أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق.^٣

مرفوعة سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك ما أنتم؟ قال: نحن خزّان علم الله، ونحن تراجمه وحي الله، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض.^٤

رجال السنند كلهم من الثقات إلا أنّ فيه رفع وروى العياشي أخيره في تفسيره.^٥
معتبرة المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما جاء به عليّ عليه السلام أخذ به وما نهي عنه أنتهي عنه، جرى له من الفضل مثل ماجرى لمحمد صلى الله عليه وآله ولمحمد صلى الله عليه وآله الفضل على جميع من خلق الله تعالى، المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله

١. التفسير الكاشف ٣/ ٢٨٠.

٢. الكافي ١/ ٤٣٢، ح ١ (١٧٧/١).

٣. الكافي ١/ ٤٣٣، ح ٤ (١٧٧/١).

٤. الكافي ١/ ٤٧٤، ح ٣ (١٩٢/١).

٥. تفسير العياشي ٢/ ١٢٦، ح ١٢٢.

وعلى رسوله والرائد عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله، كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذي لا يؤتى إلا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها وحجته البالغة على ما فوق الأرض ومن تحت الثرى^١.

وفي حديث اللوح المعروف: ... وجعلتُ حسيناً خازن وحيي وكرمتُهُ بالشهادة وختمتُ له بالسعادة فهو أفضل من استشهد وأزفع الشهداء درجة، جعلتُ كلمتي التامة معه وحجتي البالغة عنده، بعترته أثيب وأعاقب، الحديث^٢.

معتبرة مسعدة بن زياد قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾. فقال: إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي أكنت عالماً؟ فإن قال: نعم، قال له: أفلا عملت بها عملت؟

وإن قال: كنت جاهلاً، قال له: أفلا تعلمت حتى تعمل؟ فيخصمه فتلك

الحجة البالغة^٣.

﴿قُلْ هَلُمُّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَمٌ هَذَا^ط فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾

الشيء يثبت بالدليل العقلي أو النقلي أو شهادة الشهود، ردّ الله تعالى على تحريم

١. الكافي ١/٤٨٢، ح ١ (١٩٦/١).

٢. الكافي ٢/٦٨٣، ح ٣ (٥٢٨/١).

٣. أمالي الطوسي، المجلس الأول، ٩/٩، ح ١٠.

المشركين بأنهم ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾^١ ثم سألهم من إقامة الدليل العلمي على ادّعائهم من العقل أو النقل ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآءٌ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا خُرُصُونَ﴾^٢ ثم في هذه الآية يسألهم عن شهادة الشهود وحيث لم تكن عندهم فيبطل قولهم بالمرّة.

﴿قُلْ﴾ خطاب للنبي الأعظم ﷺ .

﴿هَلَمْ﴾ اسم فعل أمر بمعنى: هات، احضر أو تعال، «قال أبوالبقاء: للعرب في هلم لغتان: أحدهما أن تكون بلفظ واحد للواحد والمتنى والجمع والمذكر والمؤنث، فتكون اسم فعل، وبُنيت لوقوعها موقع فعل الأمر. اللغة الثانية أن تُصرف، فيقال: هلمها وهلمي وهلممن وهلموا، فتكون فعلاً»^٣.

﴿شُهَدَاءُكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿شُهَدَاءٌ﴾ جمع شهيد بمعنى شاهد وهو الذي يحضر واقعة عن حسّه ثم ينقلها للآخرين.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، نعت لـ ﴿شُهَدَاءُكُمْ﴾.

﴿يَشْهَدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والمراد بالشهادة هنا شهادة الأداء. أي ينقل الواقعة عن حسّه للآخرين.

﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿أَنَّ﴾.

﴿حَرَمَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿هَذَا﴾ مفعول به. إشارة إلى ما ذكر من المحرمات عند المشركين.

«والخطاب خطاب تعجيزي أمر به الله سبحانه ليكشف به أنهم مفترون في

١. سورة الأنعام / ١٤٤.

٢. سورة الأنعام / ١٤٨.

٣. التفسير الكاشف ٣/ ٢٧٨.

دعواهم أن الله حرم ذلك فهو كناية عن عدم التحريم»^١.

﴿فَ﴾ تفرّيع. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿شَهِدُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. فعل الشرط. ﴿ذَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿لَا تَشْهَدَ﴾ فعل نهي وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للنبي ﷺ.

﴿مَعَهُمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بـ﴿لَا تَشْهَدَ﴾.

والجملة ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدَ مَعَهُمْ﴾ «في معنى التّرقّي، والمعنى: لا شاهد

فيهم يشهد بذلك فلا تحريم حتى أنهم لو شهدوا بالتحريم فلا تشهد معهم إذ لا تحريم

ولا يعبأ بشهادتهم فإنهم قوم يتبعون أهواءهم»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا تَتَّبِعْ﴾ معطوف على ﴿لَا تَشْهَدَ﴾.

﴿أَهْوَاءَ﴾ مفعول به. ﴿أَهْوَاءَ﴾: جمع هوى وهو الميل النفساني الباطل.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مضاف إليه. ﴿كَذَّبُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿بِقَائِنَتِنَا﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه. متعلّق بـ﴿كَذَّبُوا﴾، وهذا وصفهم الأوّل

وهو التّكذيب بآيات الله.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الَّذِينَ﴾ معطوف على ﴿الَّذِينَ﴾ السّابق. إعادة اسم الموصول لتشهير بهم.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فعل نفي وفاعله.

﴿بِالْآخِرَةِ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بـ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وعدم الإيمان ﴿بِالْآخِرَةِ﴾

وصفهم الثاني.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت الجملة ما بعدها إلى ما قبلها. ﴿هُمُ﴾ مبتدأ.

﴿بِرَبِّهِمْ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه، متعلّق بـ﴿يَعْدُلُونَ﴾.

١. الميزان ٧/ ٣٦٧.

٢. الميزان ٧/ ٣٦٧.

﴿يَعْدِلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي يأخذون لله عدلاً وهو الشرك بالله تعالى. ﴿يَعْدِلُونَ﴾: يشركون. ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: خبر. والشرك وصفهم الثالث.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

«لما حكى الله تعالى عن هؤلاء القوم أنهم حرّموا ما لم يحرّمه الله وأحلّوا ما حرّمه، قال لنبيه ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿تَعَالَوْا﴾ حتى أُبين لكم ما حرّمه الله»^١.
والآية تبين «المحرّمات العامّة التي لا تختصّ بشريعة من الشرائع الإلهية، وهي الشرك بالله، وترك الإحسان بالوالدين، واقتراف الفواحش، وقتل النفس المحترمة بغير حق ويدخل فيه قتل الأولاد خشية إملاق»^٢. و «التأمل فيها يعطي أن الدين الإلهي لا يتمّ أمره ولا يستقيم حاله بدون شيء منها وإن بلغ من الإجمال والبساطة ما بلغ وبلغ الإنسان المتحلّ به من السذاجة ما بلغ»^٣.
﴿قُلْ﴾ خطاب للنبي الأعظم ﷺ، وأمرّ له بإبلاغ أعظم الأحكام الإلهية.
﴿تَعَالَوْا﴾ فعل أمر وفاعله. معناه أدنوا.

﴿أَتْلُ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «أنا»، لأنّه جواب الطلب وعلامة جزمه حذف آخره «و» حرف العلة وبقية الضمة دالة على «و» المحذوفة.

١. التبيان ٤/ ٣١٤.

٢. الميزان ٧/ ٣٧٢.

٣. الميزان ٧/ ٣٧٣.

التلاوة: القراءة والسرْدُ وحكاية اللفظ.

﴿ مَا ﴾ موصولة، مفعول به ﴿ أَتَلُّ ﴾ . ﴿ حَرَّمَ ﴾ فعل ماضٍ .

﴿ رَبُّكُمْ ﴾ فاعل ومضاف إليه .

﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ حَرَّمَ ﴾ أو ﴿ أَتَلُّ ﴾ على طريق التنازع في

المتعلق .

﴿ أَلَا ﴾ « أن » تفسيرية لفعل ﴿ أَتَلُّ ﴾ بمعنى « أي » و « لا » ناهية جازمة . أو « أن »

ناصبه و « لا » نافية والمصدر المنسب بدل ﴿ مَا حَرَّمَ ﴾ .

﴿ تُشْرِكُوا ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ « لا » ناهية وفاعله . قدّم الشرك على غيره من

المحرمات لـ ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾^١ . و ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا

دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾^٢ « وإليه ينتهي كل معصية »^٣ .

﴿ بِهِ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ تُشْرِكُوا ﴾ والضمير يعود إلى ﴿ رَبُّكُمْ ﴾ .

﴿ شَيْئًا ﴾ مفعول مطلق لـ ﴿ تُشْرِكُوا ﴾ لأنّ المراد به الإشراك .

﴿ وَ ﴾ عاطفة وجميع الواوآت في هذه الآية عاطفات .

﴿ بِالْوَالِدَيْنِ ﴾ جار ومجرور متعلق بفعل محذوف « احسنوا » أو « أمر » أو « أوصى » .

﴿ إِحْسَانًا ﴾ مفعول مطلق . « وإئنا عدل عن النهي عن الإساءة إلى الأمر

بالإحسان اعتناء بالوالدين، لأن الله أراد برّهما، والبرّ إحسان، والأمر به يتضمّن

النهي عن الإساءة إليهما بطريق فحوى الخطاب »^٤ .

« وقد عدّ في مواضع من القرآن الكريم إحسان الوالدين تالياً للتوحيد ونفي

١ . سورة لقمان / ١٣ .

٢ . سورة النساء / ٤٨ و ١١٦ .

٣ . الميزان / ٧ / ٣٧٣ .

٤ . تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور / ٧ / ١١٨ .

الشرك فأمر به بعد الأمر بالتوحيد أو النهي عن الشرك به كقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^١ وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾^٢ وغير ذلك من الآيات.

ويدل ذلك على أن عقوق الوالدين من أعظم الذنوب أو هو أعظمها بعد الشرك بالله العظيم^٣.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾ فعل نهي وفاعله. ﴿أَوْلَادَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.
﴿مَنْ إِمْلَقِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَا تَقْتُلُوا﴾، ﴿مَنْ﴾ تعليلية، الإملاق:
الإفلاس والفقر.

﴿نَحْنُ﴾ مبتدأ، ابتداءً جملة معترضة تدلّ على علّة النهي عن قتل الأولاد.
وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي يفيد الاختصاص.

﴿نَرْزُقُكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن» ومفعول به، خبر.
﴿وَأَيَّاهُمْ﴾ معطوف على الضمير المفعولي في ﴿نَرْزُقُكُمْ﴾.
﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَلْفَوْاحِشَ﴾ فعل نهي وفاعله ومفعول به. والنهي عن الإقتراب
إيهاً إلى أن مَنْ يقرب إليها ما يدخل فيها. و ﴿أَلْفَوْاحِشَ﴾ جمع فاحشة وهي الأمر
الشنيع المستقبح كالزنا واللواط وقذف المحصنات وقد عدها الله في كلامه منها.
﴿مَا﴾ موصولة، بدل اشتغال من ﴿أَلْفَوْاحِشَ﴾.

﴿ظَهَرَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو». أي ﴿مَا﴾ علن.
﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ظَهَرَ﴾. والضمير يعود إلى ﴿أَلْفَوْاحِشَ﴾.

١. سورة الإسراء / ٢٣.

٢. سورة لقمان / ١٣ و ١٤.

٣. الميزان ٧ / ٣٧٤.

﴿ وَمَا بَطَّيْـَٔنَ ﴾ أي ما خفي.
 ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ فعل نهي وفاعله ومفعول به.
 ﴿ الَّتِي ﴾ اسم موصول، صفة لـ ﴿ أَنْفُسَكُمْ ﴾ . ﴿ حَرَّمَ ﴾ فعل ماض.
 ﴿ اللَّهُ ﴾ فاعل. ﴿ إِلَّا ﴾ أداة استثناء. ﴿ بِرِّ ﴾ للملابسة أو السببية.
 ﴿ الْحَقِّ ﴾ «ال» للجنس، ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ في موضع الحال أي إلا محقين. ﴿ الْحَقِّ ﴾
 الذي يستباح به قتل النفس المحرمة ثلاثة أشياء: قود بالنفس الحرام، والزنا بعد
 إحصان، والكفر بعد الإيذان^١.

﴿ ذَلِكُمْ ﴾ اشارة إلى هذا التحريم الإلهي ومجموع ما ذكر. مبتدأ.
 ﴿ وَصَنَّكُمْ ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يعود إلى ﴿ اللَّهُ ﴾ تعالى
 ومفعول به والخطاب لجميع الخلق. خبر.
 ﴿ بِهِ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ وَصَنَّكُمْ ﴾ .
 ﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.
 ﴿ تَعْقِلُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿ لَعَلَّ ﴾ . أي «لكي تعقلوا عنه ما ﴿ وَصَنَّكُمْ ﴾
 به^٢ فتعملوا به»^٢.

تأويل

في تفسير القمي: ﴿ الْوَالِدَيْنِ ﴾ رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي^٣.

الروايات

عن أبي بصير قال: كنتُ جالساً عند أبي جعفر علي^٣ وهو متكئ على فراشه، إذ

١. التبيان ٤/٣١٦.

٢. التبيان ٤/٣١٦.

٣. تفسير القمي ١/٣٢٦.

قرأ الآيات المحكمات التي لم يَنْسَخْهُنَّ شَيْءٌ من الأنعام، قال: شيعها سبعون ألف ملك، ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾^١.

عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه عن علي بن الحسين صلوات الله عليه قال: ﴿الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ قال: ما ظهر منها نكاح امرأة الأب وما بطن الزنا. ٢.

صحيحة ثابت بن دينار وهو أبو حمزة الثمالي قال: حدثني علي بن الحسين، عن أبيه، قال: حدثني أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله قد فرض عليكم طاعتي ونهاكم عن معصيتي وأوجب عليكم اتباع أمري وأن تطيعوا علي بن أبي طالب بعدي، فإنه أخي ووزير ووارث علمي وهو مني وأنا منه، حبه إيمان وبغضه كفر.

ألا فمن كنت مولاه فهو مولاه، أنا وعلي أبو هذه الأمة، فمن عصى أباه فحشر مع ولد نوح حيث قال له أبوه: ﴿يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ * قَالَ سَعَاوَى إِلَى جَبَلٍ^٣ الآية.

ثم قال النبي ﷺ: اللهم انصر من نصره، واخذل من خذله، ووال وليه، وعاد عدوه.

ثم بكى النبي ﷺ وودعه ثلاث كرات بمشهد جمع من المهاجرين والأنصار كانوا حوله جالسين يبكون.^٤

١. تفسير العياشي ٢/١٢٦، ح ١٢٣.

٢. تفسير العياشي ٢/١٢٧، ح ١٢٤.

٣. سورة هود/٤٢ و٤٣.

٤. مائة منقبة (المناقب لابن شاذان استاذ الكراچي) / ٤٦، المنقبة الثانية العشرون، طبعة مدرسة

الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٠٧.

قال أبو جعفر عليه السلام: أدنى الشرك الرياء. ١

قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿مَا ظَهَرَ﴾ هو الزنا ﴿وَمَا بَطَّنَ﴾ المخالفة. ٢

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۗ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا
قُرْبَىٰ ۗ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾

تتمة الآية السابقة.

﴿و﴾ عاطفة، والبقية مثلها. ﴿لَا تَقْرُبُوا﴾ فعل نهي وفاعله.

﴿مَالَ الْيَتِيمِ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر.

﴿بِالَّتِي﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَا تَقْرُبُوا﴾. ﴿هِيَ﴾ مبتدأ.

﴿أَحْسَنُ﴾ خبره.

وقد بحثت حول هذه الفقرة من الآية الشريفة عشرين صفحة في كتابي الآراء

الفقهية^٣ فراجعه ولا نعيد.

﴿حَتَّىٰ﴾ غاية للمستثنى.

﴿يَبْلُغُ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ وفاعله ضمير مستتر

«هو» يعود إلى ﴿الْيَتِيمِ﴾.

﴿أَشُدَّهُ﴾ مفعول به ومضاف إليه. والمراد به البلوغ والإدراك والرشد.

﴿وَأَوْفُوا﴾ فعل أمر وفاعله. أمر من الله بتوفية.

١. التبيان ٤/ ٣١٥.

٢. التبيان ٤/ ٣١٦.

٣. الآراء الفقهية - قسم البيع - ٧/ (٦٩-٥٠).

﴿الْكَيْلُ﴾ مفعول به. كيل ما يكال. ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ وتوفية وزن ما يوزن.
 ﴿بِالْقِسْطِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَوْفُوا﴾. ﴿الْقِسْطِ﴾ العدل، أي وفاء من غير
 بخس.

﴿لَا نُكَلِّفُ﴾ فعل نفي وفاعله ضمير مستتر «نحن».

﴿نَفْسًا﴾ مفعول به. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.

﴿وُسْعَهَا﴾ مستثنى ومضاف إليه، والضمير يعود إلى ﴿نَفْسًا﴾.

﴿وَإِذَا﴾ أداة شرط. ﴿قُلْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. فعل الشرط.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿أَعْدِلُوا﴾ فعل أمر وفاعله. جواب الشرط. يعني قولوا الحق.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه محذوف أي ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقول له.

﴿ذَا قُرْبَى﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ ومضاف إليه. القربى: القرابة.

﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿أَوْفُوا﴾، والمراد ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾

كل ما أوجبه الله على عبده أو حرّمه عليه.

﴿أَوْفُوا﴾ مرّ إعرابه.

﴿ذَلِكَمَ وَصَّنَكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ مرّ إعرابه في آخر الآية السابقة. تأكيد

للتكاليف المذكورة في الآية الشريفة.

«وقيل في معناه قولان:

أحدهما: لئلا تغفلوا عنه فتركوا العمل به والقيام بما يلزم منه.

الثاني: لتذكروا كل ما يلزمكم بتذكّر هذا فتعملوا به»^١.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن
سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

«هذه الوصية العاشرة التي تدل على أهمية تلك الوصايا الالهية [في الآيتين
الماضيتين] وأنها الصراط المستقيم الذي يجب إتباعه بحكم العقل والشرع»^١.
﴿وَ﴾ عاطفة، عطف ما بعدها على قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ
عَلَيْكُمْ﴾^٢.

﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿هَذَا﴾ اسم إشارة يشير إلى الوصايا التسعة الماضية، اسم ﴿أَنَّ﴾.

﴿صِرَاطِي﴾ خبر ﴿أَنَّ﴾ ومضاف إليه.

﴿مُسْتَقِيمًا﴾ حال من ﴿صِرَاطِي﴾. ﴿وَ﴾ تفرعية.

﴿اتَّبِعُوهُ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. «أمر من الله باتباع صراطه وما شرعه
للحق. وطريق اتباع الشرع - وفيه الحرام والحلال والمباح - هو اعتقاد ذلك فيه،
والعمل على ما ورد الشرع به، فيفعل الواجب والنَّدب، ويجتنب القبيح، ويكون مخيراً
في المباح. ولا يجب فعل جميعه، لأنَّ ذلك خلاف الاتباع. وإنما قيل لاعتقاد صحة
الشرع اتباع له، لأنَّه تعالى إذا حظر شيئاً أو حظر تركه كان حكمه، ووجب اتباعه في
أنَّه محرَّم وواجب، وكذلك النَّدب والمباح»^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ ناهية.

﴿تَتَّبِعُوا﴾ فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَا﴾ ناهية وفاعله.

١. مواهب الرحمن ١٤/٤٥٩.

٢. سورة الأنعام / ١٥١.

٣. التبيان ٤/٣٢٠.

﴿السُّبُلُ﴾ مفعول به، ﴿السُّبُلُ﴾: الطُّرُق، «يعني سبل الشيطان واتباع أهل البدع من اليهود والنصارى وغيرهم، فنهى تعالى عن اتباع ذلك فان اتباع غير سبيله تصرف عن اتباع سبيله، ولا يمكن أن يجتمعا»^١.

﴿فَ﴾ سببِيَّة.

﴿تَفَرَّقَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ«أن» مضمرة بعد فاء السببية وفاعله ضمير مستتر «هي» تعود إلى ﴿السُّبُلُ﴾.

﴿بِ﴾ للمصاحبة، حرف جرّ. ﴿كُمُ﴾ مجروره، جار ومجرور متعلق بـ﴿تَفَرَّقَ﴾.

﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بحال محذوفة من الضمير الفاعلي في ﴿تَفَرَّقَ﴾. والضمير يعود إلى ﴿اللَّهِ﴾^٢ بقرينة المقام. لأن «إذا كان ضمير المتكلم في قوله: ﴿صِرَاطِي﴾ عائداً لله كان في ضمير ﴿سَبِيلِهِ﴾ التفاتاً عن سبيلي»^٣.

﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ مرّت إعرابه. واختلاف الآيات الثلاثة في خواتيمها يفيد أنّ التعقل يوجب التذكّر والتذكّر يوجب التقوى و ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾^٤ و﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^٥ و ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^٦.

الروايات

خبر أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَذَا

١. التبيان ٤/ ٣٢٠.

٢. سورة الأنعام / ١٥٢.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ١٣٠.

٤. سورة هود / ٤٩.

٥. سورتا الشعراء / ٩٠؛ ق / ٣١.

٦. سورة القمر / ٥٤ و ٥٥.

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ^١. قال: هو - والله - علي [هو والله] الميزان والصراط. ١
 خبر أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ^٢﴾
 وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ^٣ قال: نحن السبيل، فمن أبى فهذه السبل. ٢
 عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ^٤﴾
 وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ^٥ قال: أتدرى ما يعني بصراطي مستقيماً قلت:
 لا، قال: ولاية علي والأوصياء عليهم السلام.

قال: وتدرى ما يعني ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾؟ قال: قلت: لا. قال: يعني علي بن أبي طالب
 صلوات الله عليه.

قال: وتدرى ما يعني ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾؟ قلت: لا.
 قال: ولاية فلان وفلان والله.

قال: وتدرى ما يعني ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾؟ قلت: لا. قال: يعني سبيل
 علي عليه السلام. ٣

عن سعد عن أبي جعفر عليه السلام ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ قال:
 آل محمد عليهم السلام الصراط الذي دلّ عليه. ٤

فراة قال: حدثني جعفر بن محمد الفزاري معنعناً: عن حمران قال: سمعت
 أبا جعفر عليه السلام يقول في قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ^٦ وَلَا تَتَّبِعُوا
 السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ^٧ ذَلِكَمَ وَصَّيْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قال: [أمير المؤمنين]
 علي [بن أبي طالب] والأئمة من ولد فاطمة [الزهراء] عليهم السلام هم صراطه [صراط الله]

١. بصائر الدرجات ١/ ١٦٠، ح ٣٢١.

٢. تفسير القمي ١/ ٣٢٦، ح ٣٢.

٣. تفسير العياشي ٢/ ١٢٧، ح ١٢٥.

٤. تفسير العياشي ٢/ ١٢٧، ح ١٢٦.

فمن أتاه سلك السبيل. ١

فرات قال: حدثني محمد بن الحسن بن إبراهيم معنعناً: عن أبي جعفر [عليه السلام] قال: حدثنا أبو برزة قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال - وأشار بيده إلى علي ابن أبي طالب [عليه السلام]: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾^٢ فقال رجل: أليس إنما يعني الله فضل هذا الصراط على ما سواه؟ فقال النبي ﷺ: هذا جوابك يا فلان: أما قولك: فضل الاسلام! على ما سواه كذلك، وأما قول الله: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾^٤ فاني قلت لربي مقبل^٥ عن غزوة تبوك الأولى: اللهم اني جعلت علياً بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة له من بعدي، فصدق كلامي وأنجز وعدي، واذكر علياً بالقلب! كما ذكر هارون، فانك قد ذكرت اسمي في القرآن. فقرأ آية فأنزل تصديق قولي فرسخ جسده من أهل هذه القبلة وتكذيب المشركين حيث [ب: حتى. ر: حين] شكوا في منزل علي^٦ فنزل: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ وهو^٧ جالس عندي فاقبلوا نصيحتته واسمعوا^٨ قوله، فانه من يسبني يسبه^٩ الله ومن سب علياً فقد سبني. ١٠

فرات قال: حدثني جعفر بن محمد الفرازي معنعناً: عن أبي مالك الأسدي

١. تفسير فرات الكوفي / ١٣٧، ح ١٦٣.

٢. نسخة بدل: + ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ إلى آخر الآية.

٣. نسخة بدل: رسول الله.

٤. سورة الحجر / ٤١.

٥. نسخة بدل: مقبلاً.

٦. نسخة بدل: بن أبي طالب [عليه السلام].

٧. نسخة بدل: هذا.

٨. نسخة بدل: واقبلوا.

٩. نسخة بدل: يسب.

١٠. تفسير فرات الكوفي / ١٣٧، ح ١٦٤.

قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾^١ قال: فبسط أبو جعفر عليه السلام يده اليسار! ثم دور فيها يده اليمنى ثم قال: نحن صراطه المستقيم فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله يمينا وشمالا - ثم خط بيده - ٢.

خبر المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط. فقال: هو الطريق إلى معرفة الله تعالى، وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة. وأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم. ٣.

خبر أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾^٤ سألت الله أن يجعلها لعلي عليه السلام ففعل. ٤.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ

وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ بَلِقَاءَ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾

«لما كان ما ذكره ووصى به من كليات الشرائع تكاليف مشرعة عامة لجميع ما أوتي الأنبياء من الدين، وهي أمور كلية مجملة صحح ذلك الالتفات إلى بيان أنه تعالى

١. نسخة بدل: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ إلى آخر الآية.

٢. تفسير فرات الكوفي / ١٣٧، ح ١٦٥.

٣. معاني الأخبار / ٣٢، ح ١.

٤. المناقب لابن شهر آشوب ٣ / ٧٢.

بعد ما شرعها للجميع إجمالاً فصلها حيث اقتضت تفصيلها لموسى عليه السلام أولاً فيما أنزل عليه من الكتاب، وللنبي ﷺ ثانياً فيما أنزله عليه من كتاب مبارك^١.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب، عطفت ما بعدها على ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾^٢.

﴿ءَاتَيْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿مُوسَى﴾ مفعول به أول. وهو ﴿مُوسَى﴾ النبي كلیم الله سلام الله عليه وعلى نبينا محمد

وآله.

﴿أَلَكْتَبَ﴾ مفعول به ثان. «ال» للعهد والمراد به التوراة.

﴿تَمَامًا﴾ حال من ﴿أَلَكْتَبَ﴾ أو مفعول لأجله، أي متمماً لما عندهم من كتب

أنبياءهم الماضين، وهذا الوصف الأول للتوراة.

﴿عَلَى الَّذِي﴾ حرف جر واسم موصول في محل جرٍّ، متعلق بـ ﴿ءَاتَيْنَا﴾، والمراد

بـ ﴿الَّذِي﴾ الجنس.

﴿أَحْسَنَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» «أي الذي اتّصف بالإحسان»^٣

يعني «إنزال الكتاب لتتم به نقيصة الذين أحسنوا من بني إسرائيل في العمل بهذه

الشرائع الكلية العامة»^٤.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿تَفْصِيلاً﴾ معطوف على ﴿تَمَامًا﴾ ووصف ثانٍ للتوراة. «أي بياناً مفصلاً لكلّ

شيء مما يحتاج إليه بنو إسرائيل في أمور دينهم، وصلاح دنياهم، ونقاء نفوسهم، ومن

١. الميزان ٧/ ٣٨١.

٢. سورة الأنعام / ١٥١.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ١٣١.

٤. الميزان ٧/ ٣٨٢.

ينتفع به غيرهم»^١.

﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بمصدر ﴿تَفْصِيلاً﴾. «مما يحتاج إليه بنو إسرائيل أو ينتفع به غيرهم»^٢.

﴿وَهُدًى﴾ معطوف على ﴿تَمَامًا﴾، وصف ثالث للتوراة.

﴿وَرَحْمَةً﴾ معطوف على ﴿تَمَامًا﴾، وصف رابع للتوراة.

وهذان الوصفان «يدلان على عظمة شأنه من حيث الهداية، وكونه سبباً من أسباب الرحمة، ينعم بها الذين اهتدوا به، فليس من العقل أن يترك مثل هذا الكتاب الإلهي، فلا يغفل عنه ولا يرغب إلى غيره، فإن بالهداية والرحمة يحيى الإنسان حياة مطمئنة سعيدة، وفيه التأكيد على الترغيب بالرجوع إليه»^٣.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل وإسمه. تأكيد والضمير يعود إلى بني إسرائيل.

﴿بَلِقَاءٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿رَبِّهِمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿لَعَلَّهُمْ﴾.


وفي الجملة الأخيرة «إشارة إلى أن بني إسرائيل كانوا يتناقلون أو يستنكفون عن الإيمان بلقاء الله واليوم الآخر، ومما يؤيده أن التوراة الحاضرة التي يذكر القرآن أنها محرّفة لا يوجد فيها ذكر من البعث يوم القيامة»^٤.

١. مواهب الرحمن ١٤ / ٤٦٧.

٢. الميزان ٧ / ٣٨٣.

٣. مواهب الرحمن ١٤ / ٤٦٧.

٤. الميزان ٧ / ٣٨٣.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ 

وفي هذه الآية بين أن ﴿هَذَا كِتَابٌ﴾ القرآن يشارك كتاب موسى النبي ﷺ مع زيادة وهي ﴿مُبَارَكٌ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾^١.

﴿هَذَا﴾ اسم إشارة، مبتدأ، إشارة إلى القرآن الكريم.

﴿كِتَابٌ﴾ خبر، التوصيف بـ﴿كِتَابٌ﴾ لإيجاد المشابهة مع كتاب موسى فهذا القرآن جميع ما ذكره للتوراة من قوله: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾^٢ وهذه الأوصاف الأربعة موجودة في القرآن الكريم بوصف أتم وأكمل.

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. فهو من الكتب السماوية النازلة من الله سبحانه على أنبيائه ورُسُلِهِ ﷺ. بل هو آخر كتاب سماوي أنزله على خاتم أنبيائه ورسله محمد المصطفى ﷺ.

﴿مُبَارَكٌ﴾ صفة لـ﴿كِتَابٌ﴾. وهذا الوصف الخامس من اختصاصات القرآن الكريم. «البركة: ثبوت الخير بزيادته ونموه وأصله الثبوت»^٣ و﴿مُبَارَكٌ﴾: «كثير الخير في جميع شؤونه»^٤.

﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿آتَّبِعُوهُ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. فرع الأمر باتِّباعه على كونه الكتاب

١. سورة الأنعام / ١٥٤.

٢. سورة الأنعام / ١٥٤.

٣. التبيان / ٤ / ٣٢٢.

٤. مواهب الرحمن / ١٤ / ٤٦٨.

مُنزلاً من الله ومباركاً. والأمر عام يشمل الكافرين والمشركين والمسلمين والمؤمنين.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿اتَّقُوا﴾ معطوف على ﴿اتَّبِعُوا﴾^١. وتتبعية هذا الكتاب والعمل به يصير التابع
والعامل متقياً. كما مرّ في الآية السابقة أنّ التعقل يوجب التذكّر وهو يوجب التقوى.
أو «أمر منه تعالى باتقاء معاصيه وتجنب مخالفة كتابه»^١.
﴿لَعَلَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿تُرْحَمُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله، في محلّ رفع خبر
﴿لَعَلَّكُمْ﴾.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: «أي لكي ترحموا، وإنّا قال ﴿اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ مع أنّهم
إذا اتّقوا رحموا لا محالة لأمرين:

احدهما: اتّقوا على رجاء الرحمة، لأنّكم لا تدرون بها توافون في الآخرة.
الثاني: اتّقوا لترحموا، ومعناه ليكن الغرض بالتّقوى منكم طلب ما عند الله من
الرحمة والثواب»^٢.

﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا

وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾

معناها «إنّا أنزلنا القرآن كراهة أن تقولوا: إنّ الكتاب الإلهي المفصّل لشرائعه
إنّما انزل على طائفتين من قبلنا هم اليهود والنصارى وإنّا كنّا غافلين عن دراستهم

١. التبيان ٤/ ٣٢٣.

٢. التبيان ٤/ ٣٢٣.

وتلاوتهم، ولا بأس علينا مع الغفلة»^١.

﴿أَنْ﴾ حرف مصدرى ناصب.

﴿تَقُولُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله والخطاب لمشركي العرب، «والمصدر المنسبك من ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ مجرور بإضافة مفعول من أجله محذوف والتقدير: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾^٢ كراهية القول»^٣. ف«العامل في «أَنْ» قوله ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾»^٤ ومعناه كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا»^٥.

بعبارة أخرى: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ في موضع التعليل لفعل ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ علي تقدير لام التعليل محذوفة على ما هو معروف من حذفها مع «أَنْ». والتقدير: لأن تقولوا، أي لقولكم ذلك في المستقبل، أي لملاحظة قولكم وتوقع وقوعه، فالقول باعث على إنزال الكتاب»^٦.

﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر. ﴿أُنزِلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول.

﴿الْكِتَابِ﴾ نائب فاعله. «ال» للجنس والمراد به الكتب السماوية النازلة على

الأنبياء كاللتوراة والإنجيل والزبور.

﴿عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أُنزِلَ﴾ والمراد بهما اليهود والنصارى.

الطائفة: الجماعة الكثيرة من الناس.

﴿مِنْ قَبْلِنَا﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿طَائِفَتَيْنِ﴾ ومضاف إليه.

﴿مِنْ﴾ هنا بيان، والضمير المضاف إليه يعود إلى مشركي العرب.

١. الميزان ٧/ ٣٨٣.

٢. سورة الأنعام / ١٥٥.

٣. التفسير الكاشف ٣/ ٢٨٦.

٤. التبيان ٤/ ٣٢٣.

٥. الميزان ٧/ ٣٨٣.

٦. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ١٣٣.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقلية مهملة عن العمل.
 ﴿كُنَّا﴾ فعل ماض ناقص واسمه. والضمير يعود إلى مشركي العرب.
 ﴿عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿غَفْلِينَ﴾. أي دراسة كتبهم. الدراسة: التعليم.

﴿لَ﴾ فارقة بين ﴿إِنْ﴾ المخففة و ﴿إِنْ﴾ النافية. وهي هنا «لام» الإبتداء.
 ﴿غَفْلِينَ﴾ خبر ﴿كُنَّا﴾. «الغفلة: السهو الحاصل من عدم التفطن، أي لم ننتبه بما احتوت عليه كتبهم فنقتدي بهديها، فكان مجيء القرآن منبها لهم للهدى الكامل ومُغْنِيًا عن دراسة كتبهم»^١.

وحاصل «المعنى يا معشر العرب لقد أنزلنا القرآن بلسانكم، وعلى رجل منكم وفيكم، لئلا تعتذروا عن شرككم بأنه لم ينزل كتاب من السماء بلسانكم، وإنما نزل على اليهود والنصارى، ونحن كنا غافلين عن دراسة كتابهم وتعاليمه لا ندرى ما فيه، لأن لسانهم غير لساننا»^٢.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَن أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنَّا آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾

«هذه الآية عطف على ما قبلها والتقدير: انا أنزلنا القرآن المبارك لئلا يقولوا: أنه ما أنزل علينا الكتاب، كما أنزل على من قبلنا، أو يقولوا: لو أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم في المبادرة إلى قبوله والتمسك به، كما يقول القائل: لو أتيت بدليل لقبلة

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧ / ١٣٥.

٢. التفسير الكاشف ٣ / ٢٨٧.

منك. ومثل هذا يستبق إلى النفس»^١.

﴿أَوْ﴾ عاطفة. ﴿تَقُولُوا﴾ معطوف على ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ في الآية السابقة.

﴿لَوْ﴾ شرطية غير جازمة.

﴿أَنَا﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، والضمير يعود إلى مشركي العرب.

﴿أُنزِلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول.

﴿عَلَيْنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أُنزِلَ﴾. ﴿أَلِكْتَبِ﴾ نائب فاعل.

جملة ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا أَلِكْتَبِ﴾ في محل رفع خبر ﴿أَنَا﴾.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿كُنَّا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿أَهْدَى﴾ خبر ﴿كُنَّا﴾، بمعنى أرشد وأسرع اهتداءً.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَهْدَى﴾. أي من الذين ﴿أُنزِلَ﴾ إليهم

﴿أَلِكْتَبِ﴾ ﴿مِنْ قَبْلِنَا﴾^٢.

﴿فَ﴾ تفریع على مقالتي مشركي العرب المنقولتان بـ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾^٣ و ﴿أَوْ

تَقُولُوا﴾.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿جَاءَكُمْ﴾ فعل ماض ومفعول به. والضمير يعود إلى مشركي العرب.

﴿بَيْنَهُمْ﴾ فاعل. «قد بدل ﴿أَلِكْتَبِ﴾ [بـ] ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ليدلّ به على ظهور حجّته

ووضوح دلّالته بحيث لا يبقى عذرٌ لمعتذر ولا علةٌ لمعتلّ»^٤. البيّنة: ما به البيان

وظهور الحق والمراد بها هنا القرآن الكريم.

١. التبيان ٤/٣٢٤.

٢. سورة الأنعام/١٥٦.

٣. سورة الأنعام/١٥٦.

٤. الميزان ٧/٣٨٣، مع اختلاف واصلاح.

- ﴿مَنْ رَبِّكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بصفة محذوفة من ﴿بَيِّنَةٌ﴾ .
- ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿هُدًى﴾ معطوف على ﴿بَيِّنَةٌ﴾ .
- ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿رَحْمَةً﴾ معطوف على ﴿بَيِّنَةٌ﴾ .
- ﴿فَ﴾ تفریع. ﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، مبتدأ. استفهام إنكاري. أي لا أحد....
- ﴿أَظْلَمُ﴾ خبر.
- ﴿مِمَّنْ﴾ «مِنْ» حرف جر و «مَنْ» موصولة، جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَظْلَمُ﴾ .
- ﴿كَذَّبَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو».
- ﴿بِقَايَتِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿كَذَّبَ﴾ . ﴿وَ﴾ عاطفة.
- ﴿صَدَفَ﴾ معطوف على ﴿كَذَّبَ﴾ ، ﴿صَدَفَ﴾ : أعرض وصره غيره.
- ﴿عَنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿صَدَفَ﴾ ، والضمير عائد إلى ﴿بَيِّنَةٌ﴾ .
- ﴿سَ﴾ حرف استقبال قريب.
- ﴿نَجَزَى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن».
- ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مفعول به أول. ﴿يَصْدِفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.
- ﴿عَنْ آيَاتِنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿يَصْدِفُونَ﴾ .
- ﴿سُوءَ﴾ مفعول به ثانٍ لـ ﴿سَنَجْزِي﴾ .
- ﴿الْعَذَابِ﴾ مضاف إليه. إضافة الصفة إلى الموصوف، ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ : أشدّ
- ﴿الْعَذَابِ﴾ وأقواه.
- ﴿بِ﴾ للسببية. ﴿مَا﴾ مصدرية.
- ﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه، يفيد هنا الاستمرار.
- ﴿يَصْدِفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿كَانُوا﴾ .
- أي: بسبب صدقهم وإعراضهم عن آيات الله إعراضاً مستمراً، ﴿سَنَجْزِي﴾
- ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ .

رواية

قال الصدوق: حدثنا محمد بن عصام - رضي الله عنه - قال: حدثنا محمد بن يعقوب الكليني قال: حدثنا القاسم بن العلاء قال: حدثني إسماعيل بن علي القزويني قال: حدثني علي بن - إسماعيل، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار قال: دخل حيان السراج على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقال له: يا حيان ما يقول أصحابك في محمد ابن الحنفية؟ قال: يقولون: إنه حي يرزق، فقال الصادق عليه السلام: حدثني أبي عليه السلام أنه كان فيمن عاده في مرضه وفيمن غمضه وأدخله حفرة وزوج نساءه وقسم ميراثه، فقال: يا أبا عبدالله إنما مثل محمد ابن الحنفية في هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم شبه أمره للناس، فقال الصادق عليه السلام: شبه أمره على أوليائه أو على أعدائه؟ قال: بل على أعدائه، فقال: أتزعم أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عدو عمه محمد ابن الحنفية؟ فقال: لا، فقال الصادق عليه السلام: يا حيان إنكم صدقتم عن آيات الله، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾.

وقال الصادق عليه السلام: «ما مات محمد ابن الحنفية حتى أقر لعلي بن - الحسين عليه السلام، وكانت وفاة محمد ابن الحنفية سنة أربع وثمانين من الهجرة. ١
قال الصدوق: كان حيان السراج الراوي لهذا الحديث من الكيسانية. ٢
أقول: رجال السند كلهم ثقات إلا إسماعيل بن علي القزويني لأنه مهمل والسند به يصير ضعيفاً وحيان السراج كيسانياً متعصباً.

١. كمال الدين / ٣٦.

٢. كمال الدين / ٣٥.

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾

تهديد ووعيد شديد لمن استنكف عن الهداية الإلهية من المشركين. و ﴿ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ ١ .
﴿ هَلْ ﴾ استفهام إنكاري.
﴿ يَنْظُرُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله والضمير الفاعلي يعود إلى « هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم » ٢ . ﴿ يَنْظُرُونَ ﴾ : ﴿ يَنْتَظِرُونَ ﴾ ٣ .
﴿ إِلَّا ﴾ أداة حصر والقصر إضافي. ﴿ أَنْ ﴾ حرف مصدرى ناصب.
﴿ تَأْتِيَهُمْ ﴾ فعل مضارع منصوب ومفعول به.
﴿ الْمَلَائِكَةُ ﴾ فاعل. « لقبض أرواحهم » ٤ أو نزول العذاب عليهم بواسطة ﴿ الْمَلَائِكَةُ ﴾ .
﴿ أَوْ ﴾ عاطفة. ﴿ يَأْتِيَ ﴾ فعل مضارع.
﴿ رَبُّكَ ﴾ فاعل ومضاف إليه. والمراد بإتيان الرب لقاءه في يوم القيامة وهو يوم انكشاف التام لتوحيد الرب ﴿ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ ٥ .
﴿ أَوْ ﴾ عاطفة.

١. سورة الأنعام / ١٥٧ .

٢. التبيان / ٤ / ٣٢٦ .

٣. سورة يونس / ١٠٢ .

٤. التبيان / ٤ / ٣٢٦ .

٥. سورة غافر / ١٦ .

﴿يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ والمراد بها العلامات الدالة على القيامة وبعض
أشراط الساعة.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب على الظرفية متعلق بـ﴿لَا يَنْفَعُ﴾ الآتي.

﴿يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ مرّ. ﴿لَا يَنْفَعُ﴾ فعل مضارع منفي.

﴿نَفْسًا﴾ مفعول به.

﴿إِيْمَنُهَا﴾ فاعل ومضاف إليه، يعني: الإيمان عند مجيء هذه العلامات
والأشراط لا يجدي شيئاً.

﴿لَمْ تَكُنْ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم بـ﴿لَمْ﴾ واسمها ضمير مستتر «هي»

يعود إلى ﴿نَفْسًا﴾.

﴿ءَامَنَتْ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هي»، خبر ﴿لَمْ تَكُنْ﴾.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿ءَامَنَتْ﴾، ﴿قَبْلُ﴾ مبني على الضم لانقطاعه

عن الاضافة.

﴿أَوْ﴾ عاطفة. ﴿كَسَبَتْ﴾ معطوف على ﴿ءَامَنَتْ﴾.

﴿فِي إِيْمَنُهَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ﴿كَسَبَتْ﴾.

﴿حَيْرًا﴾ مفعول به. والمراد به العمل الصالح.

﴿قُلْ﴾ خطاب للنبيِّ الأعظم ﷺ . ﴿أَنْتَظِرُونَ﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿إِنَّا﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. ﴿مُنْتَظِرُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّا﴾.

«ومعنى الآية: البحث على المبادرة إلى الإيمان قبل الحال التي لا تقبل فيها التوبة

وهي ظهور الآيات التي تقدم ذكرها وفي ذلك غاية التهديد»^١.

الروايات

خبر عبدالله بن سليمان العامري عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: ما زالت الأرض والله فيها حجّة يعرف الحلال والحرام، ويدعو إلى سبيل الله، ولا ينقطع الحجّة من الأرض إلا أربعين يوماً قبل يوم القيامة، فإذا رفعت الحجّة اغلق باب التوبة، ولم ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ أن ترفع الحجّة، وأولئك شرار من خلق الله، وهم الذين تقوم عليهم القيامة. ١

ورواه الطبري في دلائل الإمامة. ٢.

صحيحة أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا حَرِيرًا ﴾ قال: نزلت «أو اكتسبت» ﴿فِي إِيْمَانِهَا حَرِيرًا ﴾ قُلِ أَنْتَظِرُونَ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ قال: إذا طلعت الشمس من مغربها، فكلّ من آمن في ذلك اليوم لا ينفعه إيمانه. ٣

خبر هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ [يعني في الميثاق] أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا حَرِيرًا ﴾ قال: الإقرار بالأنبياء والأوصياء وأمير المؤمنين عليه السلام خاصّة، قال: لا ينفع إيمانها لأئمتها سلبت. ٤

عن مسعدة بن صدقة، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ الناس يُوشِكُون أن يَنْقَطِعَ بهم العمل، ويُسَدَّ عليهم باب التوبة، ف ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا حَرِيرًا ﴾. ٥

١. المحاسن ١/٣٦٨، ح ٨٠٢.

٢. دلائل الإمامة / ٤٣٣، رقم ٣٩٩.

٣. تفسير القمي ١/٣٢٨، ح ٣٣.

٤. الكافي ٢/٤٠٤، ح ٨١ (١/٤٢٨).

٥. تفسير العياشي ٢/١٢٧، ح ١٢٧.

عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾.

قال: طلوع الشمس من المغرب، وخروج الدابة والدجال، والرجل يكون مُصِرًّا، ولم يعمل على الإيمان، ثم تحيُّ الآيات فلا ينفعه إيمانه. ١
عن حفص بن غياث، عن جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: سأل رجل أبي عليه السلام عن حروب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان السائل من محبينا.

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: إن الله بعث محمداً ﷺ بخمسة أسياف، ثلاثة منها شاهرة لا تُعمد إلا أن توضع الحرب أوزارها، ولن تضع الحرب أوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها، أمن الناس كلهم في ذلك اليوم، فيومئذٍ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾. ٢
عن عمرو بن شمر، عن أحدهما عليهما السلام، في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾، قال: المؤمن، حالت المعاصي بينه وبين إيمانه، كثرة ذنوبه وقلة حسناته، فلم يكسب في إيمانه خيراً. ٣

خبر أبي بصير قال: قال الصادق عليه السلام جعفر بن محمد عليهما السلام في قول الله ﻋﻠﻴﻬﻢ ﺍﻟﺴﻼﻡ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ يعني خروج القائم المنتظر منّا، ثم قال عليه السلام: يا أبابصير طوبى لشيعتنا قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته، والمطيعين له في ظهوره، أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ٤

١. تفسير العياشي ٢/١٢٨، ح ١٢٨.
٢. تفسير العياشي ٢/١٢٨، ح ١٢٩.
٣. تفسير العياشي ٢/١٢٨، ح ١٣٠.
٤. كمال الدين وتمام النعمة / ٣٥٧، ح ٥٤.

صحيحة علي بن رثاب عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: في قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَيْدِي رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ فقال: الآيات هم الأئمة، والآية المنتظرة هو القائم عليه السلام، فيومئذ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ قيامه بالسيف وإن آمنت بمن تقدمه من آباءه عليهم السلام. ١.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ

يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

الآية الشريفة تبينت «أعظم ما حلَّ بالدين الإلهي، بعد أن كان الصراط المستقيم الذي لا خلاف ولا اختلاف فيه، وقد أمرنا بإتباعه ونهينا عن إتباع السبل فتفرق عن سبيله، ومضمونه لا يختص بقوم معينين أو زمان خاص، وإن كان اللفظ في صورة الماضي، فإنه لبيان حقيقة واقعية اجتماعية بعد إعراض الإنسان عن تعاليم السماء، وإتباع الدين الحق القويم، وفيه التذكير بهذه الأمة لئلا يقعوا في ما وقعت الأمم السابقة من الاختلاف في الدين والتفرق عن كلمة الحق» ٢.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿فَرَّقُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. «قرأ حمزة والكسائي «فارقوا» بألف، وهو المروي عن علي عليه السلام الباقر «فَرَّقُوا» بلا ألف مع تشديد الراء. والمعنيان متقاربان، لأنَّ القراءتين يؤلان إلى شيء واحد، لان جميع ذلك مخالف لما يوجبه دينهم، فهم بتفريقه من جهة إنكار بعضهم بعضاً على جهالة فيه مخالفون له، وهم بخروجهم عنه إلى غيره

١. كمال الدين وتمام النعمة / ١٨.

٢. مواهب الرحمن / ١٤ / ٤٨٨.

مفارقون له مخالفون. وقيل في المعنيين هذه الآية أربعة أقوال:

أحدها: قال مجاهد: هم اليهود، لأنهم كانوا يبالون عبدة الأوثان على المسلمين.

الثاني: قال قتادة: هم اليهود والنصارى، لأن بعض النصارى يكفر بعضاً

وكذلك اليهود.

الثالث: قال الحسن هم جميع المشركين، لأنهم جميعاً هذه الصفة.

الرابع: قال أبو جعفر عليه السلام: هم أهل الضلالة والبدع من هذه الأمة. وهو قول

أبي هريرة والمروزي عن عائشة.

حذرهم الله تعالى من تفرق الكلمة ودعاهم إلى الاجتماع على ما تقوم عليه

الحجة»^١.

﴿ دِينَهُمْ ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿ وَ ﴾ عاطفة.

﴿ كَانُوا ﴾ معطوف على ﴿ فَرَّقُوا ﴾، فعل ماض ناقص واسمه.

﴿ شَيْعًا ﴾ خبر ﴿ كَانُوا ﴾. «الشيعة: جمع واحدتها الشيعة، ومعناها الفرقة»^٢.

ف«الشيعة: الفرقة التي يبالى بعضهم بعضاً على أمر واحد مع اختلافهم في غيره»^٣.

﴿ لَسْتُ ﴾ فعل ماض ناقص واسمه، والضمير الخطاب للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿ مِنْهُمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿ لَسْتُ ﴾. فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم برئ ﴿ مِنْهُمْ ﴾.

﴿ فِي شَيْءٍ ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿ لَسْتُ ﴾. «شَيْءٍ» اسم جنس بمعنى

موجود فنفيه يفيد نفي جميع ما يوجد من الاتصال»^٤.

جملة ﴿ لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ في محل رفع خبر ﴿ إِنَّ ﴾.

١. التبيان ٤/٣٢٨.

٢. التفسير الكاشف ٣/٢٨٨.

٣. التبيان ٤/٣٢٩.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/١٤٣.

﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر. كافة مكفوفة. ﴿أَمْرُهُمْ﴾ مبتدأ ومضاف إليه.
﴿إِلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر المبتدأ. أي هو يتولى ﴿أَمْرُهُمْ﴾، تهديد
صريح وتعليل للنفي المذكور سابقاً.
﴿ثُمَّ﴾ للترتيب.
﴿يُنَبِّئُهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، ﴿يُنَبِّئُهُمْ﴾:
«يخبرهم بأفعالهم ويجازيهم عليها»^١ ﴿يُنَبِّئُهُمْ﴾: يعاقبهم.
﴿بِمَا﴾ حرف جرّ و ﴿مَا﴾ موصولة في محلّ جرّ، جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُنَبِّئُهُمْ﴾.
﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
﴿يَفْعَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿كَانُوا﴾.

روايتان

معتبرة المعلى بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ
وَكَانُوا شِيَعًا﴾ قال: فارق القوم - والله - دينهم.^٢
عن كليب الصيدواي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾، ثم قال: كان علي عليه السلام يقرأها: «فارقوا دينهم»، ثم قال: فارق
والله القوم دينهم.^٣

تأويل

قال القمي: فارقوا أمير المؤمنين عليه السلام وصاروا أحزاباً.^٤

١. التبيان ٤/ ٣٢٩.

٢. تفسير القمي ١/ ٣٢٨، ح ٣٤.

٣. تفسير العياشي ٢/ ١٢٩، ح ١٣١.

٤. تفسير القمي ١/ ٣٢٨.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ

فَلَا تُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ 

الآية الشريفة «تكشف عن منة إلهية يمتن بها على عباده أنه يجازي الحسنة بعشر أمثالها، ولا يجازي السيئة إلا بمثلها أي يحسب الحسنة عشرة والسيئة واحدة ولا يظلم في الإيفاء فلا ينقص من تلك ولا يزيد في هذه، إن أمكن أن يزيد في جزاء الحسنة فيزيد على العشر كما يدل عليه قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^١ وأمکن أن يعفو عن السيئة فلا يحسب حق المثل الواحد»^٢.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ، وجملتنا فعل الشرط وجوابه خبره.
﴿جَاءَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو»، في محلّ جزم لأنه فعل الشرط.
﴿بِالْحَسَنَةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَاءَ﴾، والباء للمصاحبة. والمراد ﴿بِالْحَسَنَةِ﴾
العقائد الصحيحة والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر مقدم.
﴿عَشْرُ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿مِثْلَهَا﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.

بل من باب التفضّل يمكن أن يحاسب أكثر من عشر كما مرّ قبل الشروع بمعنى الآية وكما في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾^٣ وكما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

١. سورة البقرة / ٢٦١.

٢. الميزان ٧ / ٣٩٠.

٣. سورة البقرة / ٢٤٥.

وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ معطوفة على ﴿مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾، والمراد ﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾ جميع ما

نهى عنه الشرع على نحو التحريم.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿لَا تُجْزَى﴾ فعل مضارع مجهول منفي ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. ﴿مِثْلَهَا﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿وَ﴾ حالية.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ، الضمير يعود إلى ﴿مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ اظهاراً للعدل أو إلى

الفريقين دلالة على عدم حصول الظلم عليهم مطلقاً لا من الله ولا من غيره.

﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ فعل مضارع مجهول منفي ونائب فاعله، خبر.

الروايات

صحيححة زرارة قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام وأنا جالس عن قول الله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ يجري لهؤلاء ممن لا يعرف منهم هذا الأمر؟ فقال: لا إننا هذه للمؤمنين خاصة، قلت له: أصلحك الله أرأيت من صام وصلى واجتنب المحارم وحسن ورعه ممن لا يعرف ولا ينصب؟ فقال: إن الله يدخل أولئك الجنة برحمته.^٢

صحيححة الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن الصوم في الحضر فقال: ثلاثة أيام في كل شهر: الخميس من جمعة والأربعاء من جمعة والخميس من جمعة أخرى وقال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: صيام شهر الصبر^٣ وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن

١. سورة التغابن / ١٧.

٢. المحاسن ١/ ٢٥٧، ح ٤٩١.

٣. في الوافي ١١ / ٤٥: «شهر الصبر: شهر رمضان».

ببلايل ١ الصدور وصيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر، إن الله ﷻ يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ٢.

خبر أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الصيام في الشهر كيف هو؟ قال: ثلاث في الشهر في كل عشر يوم إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾. [ثلاثة أيام في الشهر صوم الدهر]. ٣.

خبر نجم بن حطيم عن أبي جعفر عليه السلام قال: من نوى الصوم ثم دخل على أخيه فسأله أن يفطر عنده فليفطر وليدخل عليه السرور فإنه يحتسب له بذلك اليوم عشرة أيام وهو قول الله ﷻ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ٤.

صحيحة هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما يقول: ويل لمن غلبت آحاده أعشاره. فقلت له: وكيف هذا؟ فقال: أما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ فالحسنة الواحدة إذا عملها كتبت له عشرًا، والسيئة الواحدة إذا عملها كتبت له واحدة فنعوذ بالله ممن يرتكب في يوم واحد عشر سيئات ولا تكون له حسنة واحدة فتغلب حسناته سيئاته. ٥.

خبر زيد بن علي عليه السلام قال: سألت أبي سيّد العابدين عليه السلام فقلت له: يا أبا خبرني

١. في الوافي ٤٥/١١: «بلايل». وقال الخليل: «البَلْبَلَة: وسواس الهموم في الصدر، وهو البَلْبَال، والجمع: البلايل. وغيره: البلبلة والبلايل والبَلْبَال: شدة الهم، والوسواس في الصدور، وحديث النفس، فأما البَلْبَال بالكسر فمصدر». وقال الزبيدي: «هو جمع بالبال، والظهر من سياقه أنه كعُلابط؛ فإنه لو كان بالفتح لقال: الجمع: بلايل، فتأمل». راجع: ترتيب كتاب العين ١/١٩١؛ لسان العرب ٦٩/١١؛ تاج العروس ٧/٢٣٥ (بلل).

٢. الكافي ٧/٤٥٢، ح ٦ (٤/٩٢).

٣. الكافي ٧/٤٥٣، ح ٧ (٤/٩٣).

٤. الكافي ٧/٦٠٣، ح ٢ (٤/١٥٠).

٥. معاني الأخبار / ٢٤٨.

عن جدنا رسول الله ﷺ لما عرج به إلى السماء وأمره ربّه ﷻ بخمسين صلاة كيف لم يسأله التخفيف عن أمته حتى قال له موسى بن عمران عليه السلام ارجع إلى ربك فسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك؟ فقال عليه السلام: يا بني، إن رسول الله ﷺ كان لا يقترح على ربّه ﷻ ولا يراجعه في شيء يأمره به، فلما سأله موسى عليه السلام ذلك وصار شفيحاً لأمته إليه لم يجز له ردّ شفاعته أخيه موسى عليه السلام فرجع إلى ربّه ﷻ فسأله التخفيف إلى أن ردها إلى خمس صلوات.

قال: فقلت: يا أبة فلم لم يرجع إلى ربّه ﷻ ولم يسأله التخفيف بعد خمس صلوات فقال: يا بني أراد ﷺ أن يحصل لأمته التخفيف مع أجر خمسين صلاة لقول الله ﷻ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ألا ترى أنه ﷺ لما هبط إلى الأرض نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام، ويقول: إنها خمس بخمسين ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^١.

قال: فقلت له يا أبة أليس الله تعالى ذكره لا يوصف بمكان؟ فقال: بلى، تعالى الله عن ذلك، فقلت فما معنى قول موسى عليه السلام لرسول الله ﷺ: ارجع إلى ربك؟ فقال: معناه معنى قول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾^٢ ومعنى قول موسى عليه السلام: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾^٣ ومعنى قوله ﷻ: ﴿فَقُرُؤًا إِلَىٰ اللَّهِ﴾^٤ يعني حجوا إلى بيت الله، يا بني إن الكعبة بيت الله فمن حج بيت الله فقد قصد إلى الله، والمساجد بيوت الله، فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه، والمصلي مادام في صلاته فهو واقف بين يدي الله جل جلاله، وأهل موقف عرفات وقوف بين يدي الله ﷻ

١. سورة ق / ٢٩.

٢. سورة صافات / ٩٩.

٣. سورة طه / ٨٤.

٤. سورة ذاريات / ٥١.

وإنَّ لله تبارك وتعالى بقاعاً في سماواته، فمن عرج به إليها فقد عرج به إليه ألا تسمع ﷺ يقول: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾^١ ويقول ﷺ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^٢.

حسنة بكر بن محمد عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الناس في الجمعة على ثلاث منازل: رجل شهدها بانصات وسكون قبل الإمام ذلك كفارة لذنوبه من الجمعة إلى الجمعة الثانية وزيادة ثلاثة أيام، لقول الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾؛ ورجل شهدها بغطاء وقلق، فذلك حظّه؛ ورجل شهدها والإمام يخطب وقام يصلي، فقد أخطأ السنّة، وذلك ممّن إذا سأل الله تعالى إن شاء أعطاه، وإن شاء حرّمه.^٦

عن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: من صام ثلاثة أيام في الشهر، فقليل له: أنت صائم الشهر كله؟ فقال: نعم، فقد صدق، لأنّه تعالى قال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾.^٧

عن زرارة ومُهران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، قالوا: سألهما عن قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أهي لضعفاء المسلمين؟ قال: لا، ولكنّها للمؤمنين، وإنه لحقّ على الله تعالى أن يرحمهم.^٨

١. سورة المعارج / ٤.

٢. سورة فاطر / ١٠.

٣. التوحيد / ١٧٦، ح ٨.

٤. بالفارسية: بانگ و فرياد كردن.

٥. انزعج واضطراب؛ بالفارسية: بی آرام شدن، جنیدن.

٦. أمالي الشيخ الطوسي / ٤٣٠، المجلس الخامس عشر، ح ١٩، رقم ٩٦٢.

٧. تفسير العياشي ٢ / ١٢٩، ح ١٣٢.

٨. تفسير العياشي ٢ / ١٢٩، ح ١٣٣.

عن بعض أصحابنا، عن أحمد بن محمد، قال: سألتُه كيف يصنع في الصوم صوم السنّة؟ فقال: صوم ثلاثة أيام في الشهر: خميس من عشر، وأربعاء من عشر، وخميس من عشر، الأربعاء بين خمسين، إن الله تعالى يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلِهَا﴾ ثلاثة أيام في الشهر صوم دهر. ١

عن علي بن عمّار، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلِهَا﴾ من ذلك صيام ثلاثة أيام من كلّ شهر. ٢

قال محمد بن عيسى: في رواية سُديف، عن محمد بن علي عليه السلام - وما رأيت محمدياً مثله قطّ - : الحسنه التي عنى الله ولايتنا أهل البيت، والسيئة عداوتنا أهل البيت. ٣

عن زُرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إن الله تبارك وتعالى جعل لآدم عليه السلام ثلاث خصال في ذريته: جعل لهم أن من همّ منهم بحسنة ولم يعملها كتّبت له حسنة، ومن همّ بحسنة فعملها كتّبت له بها عشر حسنة، ومن همّ بالسيئة ولم يعملها لا تكتّبت عليه، ومن عملها كتّبت عليه سيئة واحدة، وجعل لهم التوبة حتى يبلغ النفس حنجرة الرجل.

فقال إبليس: يا ربّ، جعلت لآدم ثلاث خصال، فاجعل لي مثل ما جعلت له. فقال: قد جعلت لك لا يولد له مولود إلا ولد لك مثله، وجعلت لك أن تجري منهم مجرى الدم في العروق، وجعلت لك أن جعلت صدورهم أوطاناً ومساكن لك. فقال إبليس: يا ربّ حسبي. ٤

١. تفسير العياشي ٢/ ١٣٠، ح ١٣٥.

٢. تفسير العياشي ٢/ ١٣٠، ح ١٣٦.

٣. تفسير العياشي ٢/ ١٣٠، ح ١٣٧.

٤. تفسير العياشي ٢/ ١٣٠، ح ١٣٩.

عن زُرارة، عنه عليه السلام ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، قال: من ذكرهما فلعنهما كُلَّ غَدَاةٍ، كَتَبَ اللهُ لَهُ سَبْعِينَ حَسَنَةً، ومحا عنه عشر سيئات، ورَفَعَ له عشر درجات. ١.

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ الْبُرْهَانِ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة بمنزلة خلاصة غرض رسول الله ﷺ من دعوته في سورة الأنعام وأن النبي الأعظم ﷺ متلبس بما يدعو إليه «وفيها خلاصة الحجج التي أقيمت فيها لإبطال عقيدة الشرك» ٢.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله. خطاباً لأشرف خلقه الرسول الأعظم ﷺ.

﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل ونون الوقاية واسمه.

﴿هَدَيْتَنِي﴾ فعل ماض ونون الوقاية ومفعول به، خبر ﴿إِنِّي﴾.

﴿رَبِّي﴾ فاعل ومضاف إليه. والضمائر يعود إلى الرسول الخاتم ﷺ.

﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿هَدَيْتَنِي﴾، والمناسبة بين الهداية والصراط

تامة لأن حقيقة الهداية التعريف بالطريق.

﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ نعت لـ ﴿صِرَاطٍ﴾.

﴿دِينًا﴾ بدل من ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ على المحلّ، لأن كل مجرور لفظاً منصوب

محلاً والمعنى ﴿هَدَيْتَنِي﴾ صراطاً مستقيماً. أو حال من ﴿صِرَاطٍ﴾ لأنه نكرة موصوفة.

والدين: السير التي يتبعها الناس.

١. تفسير العياشي ٢/ ١٣١، ح ١٤٠.

٢. الميزان ٧/ ٣٩٣.

﴿قِيَمًا﴾ صفة لـ ﴿دِينًا﴾. القيم للمبالغة في القيام بالأمر. «فيستعار القيام للكفاية بما يحتاج إليه والوفاء بما فيه صلاح للمقوم عليه»^١.

﴿مِلَّةً﴾ بدل من ﴿دِينًا﴾ أو عطف بيان على ﴿دِينًا﴾ أو حال من ﴿دِينًا﴾ أو من ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. الملة: الدين.

قال الراغب الاصفهاني: «الملة كالدين وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء لِيَتَوَصَّلُوا بِهِ إِلَى جِوَارِ اللَّهِ...»^٢.

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ مضاف إليه.

﴿حَنِيفًا﴾ حال من ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، الحنيف: المائل عن الأديان الباطلة إلى دين الحق،

المجانِب للباطل فهو بمعنى المهتدي.

﴿و﴾ حالية. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير مستتر «هو».

﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿كَانَ﴾.

وجملة ﴿مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ حال ثان من ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾.

يأمر الله سبحانه إبراهيم «أن يخبرهم بأن ربّه الذي يدعو إليه هداه بهداية إلهية إلى صراط مستقيم وسبيل واضح قيّم على سالكيه لا تخلف فيه ولا اختلاف ديناً قائماً على مصالح الدنيا والآخرة أحسن القيام - لكونه مبنياً على الفطرة - ملة إبراهيم حنيفاً مائلاً عن التطرف بالشرك إلى اعتدال التوحيد وما كان من المشركين»^٣.

والحاصل: «إنّ المستفاد من الآيات المباركات والروايات الشريفة هو أنّ الدين

الذي دعا الأنبياء إليه دين واحد وهو الإسلام، والاختلاف إنّما هو في الجهات

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٤٨/٧.

٢. معجم مفردات الفاظ القرآن / ٤٩١.

٣. الميزان ٣٩٣/٧.

الثانوية والفرعية، ولا يوجد بينهم اختلاف في الأصول المرتبطة بالمعارف والأخلاق، والاختلاف - كما قلنا - إنما هو في الجهات الثانوية والتكميلية والتطبيقية. ودين الإسلام أكمل الأديان»^١.

الروايات

صحیحة عبدالله بن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى ﴿حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾^٢ قال: خالصاً مخلصاً لا يشوبه شيء^٣.
خبر عباد بن زياد قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا عبّاد ما على ملة إبراهيم أحد غيركم، وما يقبل الله إلا منكم، ولا يغفر الذنوب إلا لكم^٤.
صحیحة أخرى لعبدالله بن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ قال: خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان^٥.
عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام: ما أبقت الحنيفية شيئاً حتى إنّ منها قصّ الشارب والأظفار، والأخذ من الشارب، والحِتان^٦.
عن جابر الجعفي، عن محمد بن علي عليه السلام، قال: ما من أحدٍ من هذه الأمة يدين بدين إبراهيم عليه السلام غيرنا وشيعتنا^٧.
عن طلحة بن زيد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال:

١. الاستصحاب / ٥٧٩، تقريرات آية الله السيّد علي السيستاني مدّله بقلم العلامة الحجة السيّد محمد علي الرباني رحمته الله.
٢. سورة آل عمران / ٦٧.
٣. المحاسن / ١ / ٣٩١، ح ٨٧٣.
٤. المحاسن / ١ / ٢٤٤، ح ٤٥١.
٥. الكافي / ٣ / ٤٤، ح ١ (١٥ / ٢).
٦. تفسير العياشي / ٢ / ١٣٢، ح ١٤٣.
٧. تفسير العياشي / ٢ / ١٣٢، ح ١٤٤.

قال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بعث خليله بالحنيفة، وأمره بأخذ الشارب، وقص الأظفار، وتنف الإبط، وحلق العانة، والحتان.^١

عن عمران بن ميثم، قال: سمعتُ الحسين بن عليّ صلوات الله عليه، يقول: ما أحدٌ على ملّة إبراهيم عليه السلام إلا نحن وشيعتنا، وسائر الناس منها براء.^٢
خبر علي بن عبيد الله بإسناده عن رسول الله ﷺ في حديث: ... يا أبا الحسن، وأنت وارث علمي، والمبين لأمتي ما اختلفت فيه من بعدي، من أحبك لدينك وأخذ بسبيلك فهو ممن هُدي إلى صراط مستقيم، ومن رغب عن هواك وأبغضك لقي الله يوم القيامة لا خلاق له.^٣

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الغديرية: ... أتدرون ما سبيل الله ومن سبيله ومن صراط الله ومن طريقه؟ أنا صراط الله الذي من لم يسلكه بطاعة الله فيه هوى به إلى النار وأنا سبيله الذي نصبني للإتباع بعد نبيّة ﷺ. أنا قسم الجنّة والنار وأنا حجة الله على الفجار ونور الأنوار، الخطبة.^٤

خبر جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله جعل علياً وزوجته وأبنا [ه] حجج الله على خلقه وهم أبواب العلم في أمتي من اهتدى بهم هدي إلى صراط مستقيم.^٥

المتبقي من الحنيفة

قال القمي: الحنيفة العشر التي جاء بها إبراهيم عليه السلام: خمسة في الرأس، وخمسة

١. تفسير العياشي ٢/١٣٢، ح ١٤٥.

٢. تفسير العياشي ٢/١٣٢، ح ١٤٦.

٣. أمالي الطوسي، المجلس السابع عشر ح ٤٦/٤٩٢، رقم ١٠٧٧.

٤. مصباح المتهدد / ٥٥٨، للشيخ الطوسي عليه السلام.

٥. شواهد التنزيل / ٥٨/١، ح ٨٩، للحاكم الحسكاني من العامة الطبعة الأولى.

في البدن؛

فأمّا التي في الرأس: فطمّ الشعر^١، وأخذُ الشارب، وإعفاء اللّحي، والسواك،
والحلال.

وأما التي في البدن: فالغسل من الجنابة، والطهور بالماء، وتقليم الأظفار،
وحلق الشعر من البدن، والختان؛ فهذه لم تنسخ إلى يوم القيامة^٢.
رواها الطبرسي^٣ عن الصادق عليه السلام ونقل الشيخ الحر عن الطبرسي في وسائل الشيعة^٤. ولذا
قلتُ: «يمكن نسبة الرواية إلى المعصوم عليه السلام»^٥.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

بعد الفراغ من التوحيد ونفي الشرك تصل النوبة إلى الإخلاص في العبادة
والآية تشير إليه.

﴿قُلْ﴾ استئناف بمنزلة التفرّيع على ﴿قُلْ﴾ في أول الآية السابقة.

﴿إِنَّ﴾ تأكيد للإهتمام بالخبر ولتحقيقه.

﴿صَلَاتِي﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ ومضاف إليه. اختصاص الصلاة بالذكر من بين

العبادات لمزيد العناية بها منه تعالى.

﴿وَ﴾ الواوات كلها عاطفة.

١. طمّ الشعر: جزّه أو قصّه. (مجمع البحرين: ٦/١٠٧).

٢. تفسير القمي ٢/٥٦١.

٣. مجمع البيان ١/٢٠٠، ذيل آية ١٢٤ من سورة البقرة.

٤. وسائل الشيعة ٢/١١٧، ح ٥، الباب ٦٧ من أبواب آداب الحمام.

٥. الآراء الفقهية ٢/٤٦.

﴿نُسِكِي﴾ النسك: مطلق العبادة وعطف ﴿نُسِكِي﴾ على ﴿صَلَاتِي﴾ من باب عطف العام على الخاص. الناسك: العابد، وكثر استعمال النسك في الحج أو الذبح تقرباً إلى الله تعالى.

﴿وَمَحْيَايَ﴾ مصدرٌ ميميٌّ بمعنى الحياة أي حياتي بجميع ما لها من الشؤون من الأعمال والأفعال والتروك والأوصاف والأخلاق وغيرها كلها... .

﴿وَمَمَاتِي﴾ مصدرٌ ميميٌّ بمعنى الموت أي موتي بجميع ما يعود إليّ من أمر الموت وما يمكن أن أستفيد منه بعده وما يعود إليه وما يعود إليّ من أسبابه وحالاته ومقدماته الرجعة إلى حال الحياة كلها... . أو أنّ «المحيا والممات هنا كناية عن الثبات والاستمرار»^١.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور، في محلّ رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. إظهار للإخلاص العبادي أو إنشاءه. واللام للملك أو للتعليل أي لأجل الله.

﴿رَبِّ﴾ نعت أو بدل من «الله»، إشارة «إلى سبب استحقاقه أن يكون عمل مخلوقاته له لا لغيره»^٢.

﴿الْعَالَمِينَ﴾ مضاف إليه.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُ^ص وَبَدَلِكُ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾

«توضيح وتأکید لما تضمنته الآية السابقة من التوحيد والإخلاص...
ومحمد ﷺ أول المسلمين من أمته بطبيعة الحال لأنه صاحب الدعوة»^٣.

١. التفسير الكاشف ٣/ ٢٩٣.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧/ ١٥١.

٣. التفسير الكاشف ٣/ ٢٩٣.

﴿لَا﴾ نافية للجنس تعمل عمل «ان». ﴿شَرِيكَ﴾ اسم ﴿لَا﴾.
﴿لَهُ﴾ جار ومجرور، خبر ﴿لَا﴾. واللام للملك.
جملة ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ حال من اسم الجلالة في الآية السابقة ومعناه «لا يستحق
العبادة سواه»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بِذَلِكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أُمِرْتُ﴾. والاشارة إلى قوله: ﴿إِنَّ صَلَاتِي
وَنُسُكِي...﴾^٢.

﴿أُمِرْتُ﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَنَا﴾ مبتدأ. ﴿أَوَّلُ﴾ خبره.

﴿أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ مضاف إليه. يعني أن رسول الله ﷺ ﴿أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ في الإسلام
الخاص أي الشريعة المحمدية كما مر في الفوق أو أنه ﷺ ﴿أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ رتبة في
الإسلام العام الذي هودين الله كما مر في الآية ما قبل السابق.

﴿قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَدْعَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا
تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^٣

«أمر الله نبيه أن يخاطب هؤلاء الكفار، ويقول على وجه الإنكار لفعالهم...»^٣.

﴿قُلْ﴾ استئناف جديد، يتنزل منزلة النتيجة لما قبله.

﴿أُ﴾ استفهام إنكار على المشركين وتوبيخ.

١. التبيان ٤/٣٣٦.

٢. سورة الأنعام / ١٦٢.

٣. التبيان ٤/٣٣٦.

﴿ غَيْرَ ﴾ مفعول به أوّل، قدم المفعول على فعله لأنّه المقصود من الإنكار.
﴿ اللَّهُ ﴾ مضاف إليه.

﴿ أُنْفِيَ ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا». ﴿ أُنْفِيَ ﴾ تتضمن معنى «أَتَّخِذُ» وهي تتعدى إلى مفعولين.

﴿ رَبًّا ﴾ مفعول به ثان. أي ﴿ رَبًّا ﴾ معبوداً.

﴿ وَ ﴾ حالية، وما بعدها جملة حالية تعليل للإنكار. ﴿ هُوَ ﴾ مبتدأ.

﴿ رَبُّ ﴾ خبره. ﴿ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.

إلى هنا في الآية الشريفة أوّل حجة أقامها الله سبحانه على المشركين وهي: إذا كان الله تعالى ربّ الكل شيء وكان كل شيء مربوباً له فحيثئذ فلا ربّ غيره يصلح أن يعبد على الإطلاق. وهذه الحجة عليهم من طريق إبداء الحلقة وبتأيتها.

﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ لَا تَكْسِبُ ﴾ فعل مضارع منفي، أي لا يكون جزاء عمل... .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ فاعل ومضاف إليه. ﴿ إِلَّا ﴾ أداة استثناء.

﴿ عَلَيْهَا ﴾ جار ومجرور متعلّق بفعل محذوف أي يراجع ﴿ عَلَيْهَا ﴾.

﴿ وَ ﴾ عاطفة، وما بعدها تكملة لمعنى قبله.

﴿ لَا تَزِرُ ﴾ فعل مضارع منفي، أي لا تحمّل.

﴿ وَازِرَةٌ ﴾ فاعل. أي حاملة، صفة لموصوف محذوف تقديره نفس ﴿ وَازِرَةٌ ﴾.

﴿ وَزَرَ ﴾ مفعول به. الوزر: الحمل وهو الثقل الذي يحمله المرء على ظهره والمراد

به هنا الذنب لأنّه ثقيل على نفس المؤمن.

﴿ أُخْرَى ﴾ مضاف إليه، ومفاد جملتنا ﴿ لَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ

وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى ﴾ هو مفاد قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۗ ۱

﴿ ثُمَّ ﴾ للترتيب الرتبي. ﴿ إِلَى رَبِّكُمْ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. خبر مقدم.

﴿مَرَّجِعُكُمْ﴾ مبتدأ مؤخر ومضاف إليه. ﴿ذُ﴾ تفرعية.
 ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، أي يخبركم لأنَّ
 التنبئة بمعنى الإخبار.

﴿بِمَا﴾ جار ومجروره ﴿مَا﴾ موصولة متعلِّق بـ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾.
 ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
 ﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور متعلِّق بـ﴿تَحْتَلِفُونَ﴾.
 ﴿تَحْتَلِفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل نصب خبر ﴿كُنْتُمْ﴾. وجملة ﴿لَا تَكْسِبُ
 كُلُّ نَفْسٍ...﴾ إلى آخر الآية إقامة الحجة على المشركين من حيث المنتهى والمعاد
 وهي: «أَنَّ ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ لا تعمل عملاً ﴿وَلَا تَكْسِبُ﴾ شيئاً إلا حمل عليها ﴿وَلَا تَزُرُ
 وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ حتى يحمل ما اكتسبته نفس على غيرها ثم المرجع إلى الله وإليه الجزاء
 بالكشف عن حقائق أعمال العباد، وإذا كان لا يحيص عن الجزاء وهو المالك ليوم
 الدين فهو الذي تتعين عبادته لا غيره ممن لا يملك شيئاً»^١.

الروايات

صحيحه عبدالسلام بن صالح الهروي قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: يا بن
 رسول الله، ما تقول في حديث رُوي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا خرج القائم عليه السلام
 قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم؟» فقال عليه السلام: «هو كذلك»، فقلت: وقول
 الله تعالى: ﴿وَلَا تَزُرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾، ما معناه؟ قال: «صدق الله في جميع أقواله، ولكن
 ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بأفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان
 كمن أتاه، ولو أن رجلاً قُتل بالمشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند
 الله تعالى شريك القتال، وإنما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج؛ لرضاهم بفعال آبائهم». قال:

فقلت له: بأيّ شيء يبدأ القائم عليه السلام منكم إذا قام؟ قال: «يبدأ ببني شيبه فيقاطع أيديهم، لأنهم سُراق بيت الله صلى الله عليه وآله». ١.
رواها في علل الشرائع ٢.

خبر عبدالسلام بن صالح الهروي قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: «من قال بالجبر فلا تعطوه من الزكاة شيئاً، ولا تقبلوا له شهادة أبداً، إن الله تعالى لا يكلف نفساً إلّا وسعها ولا يحملها فوق طاقتها ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾». ٣.

خبر الأعمش، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال فيما وصف له من شرائع الدين: إن الله لا يكلف نفساً إلّا وسعها ولا يكلفها فوق طاقتها، وأفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، والله خالق كلّ شيء، ولا نقول بالجبر، ولا بالتفويض، ولا يأخذ الله صلى الله عليه وآله البريء بالسّقيم، ولا يعذب الله صلى الله عليه وآله الأطفال بذنوب الآباء، فإنه قال في محكم كتابه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ وقال صلى الله عليه وآله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾؛ والله صلى الله عليه وآله أن يعفو ويتفضل، وليس له صلى الله عليه وآله أن يظلم، ولا يفرض الله صلى الله عليه وآله على عباده طاعة من يعلم أنّه يغويهم ويضلّهم، ولا يختار لرسالته ولا يصطفي من عباده من يعلم أنّه يكفر به ويعبد الشيطان دونه، ولا يتخذ على خلقه حجّةً إلّا معصوماً، الحديث. ٥.


١. عيون أخبار الرضا عليه السلام / ١ / ٣٧١، ح ٢١٧.

٢. علل الشرائع / ٢٢٩، باب ١٦٤.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام / ١ / ١٩٠، ح ١٥٤.

٤. سورة النجم / ٣٩.

٥. الخصال / ٦٠٨، ح ٩؛ التوحيد / ٤٠٦، ح ٥.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾


ومفاد الآية الشريفة احتجاج ثالث على المشركين وهي الحجّة من طريق النشأة الدنيا وإجمالها: «أنّ هذا النظام العجيب الذي يحكم في معاشكم في الحياة الدنيا وهو مبني على خلافتكم في الأرض واختلاف شؤونكم بالكبر والصغر والقوة والضعف والذكورية والانوثية والغنى والفقر والرئاسة والمرؤسية والعلم والجهل وغيرها وإن كان نظاماً اعتبارياً لكنه ناشئ من عمل التكوين منته إليه فالله سبحانه هو ناظمه، وإنما فعل ذلك لامتحانكم وابتلائكم فهو الرب الذي يدبر أمر سعادتكم، ويوصل من أطاعه إلى سعادته المقدره له ويذر الظالمين فيها جثياً، فهو الذي يحقّ عبادته»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ. ﴿الَّذِي﴾ خبره.

﴿جَعَلَكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يعود إلى ﴿هُوَ﴾ ومفعول به أوّل، والضمير الخطاب يشمل جميع الناس من المؤمنين والكافرين ومنه يظهر أنّ الضمائر السابقة مثله.

﴿خَلَائِفَ﴾ مفعول به ثانٍ. ﴿خَلَائِفَ﴾ جمع خليفة وهو الذي يخلف من قبله.

﴿الْأَرْضِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿رَفَعَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿بَعْضَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿فَوْقَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ﴿رَفَعَ﴾.

﴿بَعْضٍ﴾ مضاف إليه.

﴿دَرَجَاتٍ﴾ مجرور بـ«إلى» محذوفة أو مفعول مطلق منصوب لأنّه ملحق بجمع

المؤنث السالم وعلامة نصبه الكسرة المنونة أو تمييز منصوب أو مفعول منصوب.
﴿ذَرَجَتْ﴾ استعارة لتفاوت النعم والمُعْطِيَات.

﴿آءِ﴾ للتعليل حرف جر.

﴿يَبْلُوكُمْ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿آءِ﴾ التعليل. وفاعله
ضمير مستتر «هو» ومفعول به. البلو والابتلاء: الاختبار.

﴿فِي مَا﴾ حرف جر ومجرور ﴿مَا﴾ موصولة، متعلق بـ ﴿يَبْلُوكُمْ﴾.

﴿ءَاتَانَكُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، الإيتاء: الإعطاء.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿رَبِّكَ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ ومضاف إليه.

﴿سَرِيعٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿الْعَقَابِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. ﴿آءِ﴾ لام المزحلقة، تأكيد.

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ خبرا ﴿إِنَّهُ﴾. وقد ختمت السورة بالمغفرة والرحمة.

وقد فرغت من تحرير هذه الأسطر في صبيحة يوم الجمعة السابع من ذي الحجة

الحرام ١٤٤٠ يوم ذكرى استشهاد الحجة الخامس الإمام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام

باقر علم الأولين والآخرين، في بلدتنا اصفهان والحمد لله أولاً وآخراً.

ونأمل الله أن يختتم أمورنا بالمغفرة والرحمة كما ختم هذه السورة ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ

رَّحِيمٌ﴾.

سُورَةُ الْاِيعْرَافِ

مَكِّيَّة

آياتها ٢٠٦

سورة الأعراف مكيّة بلاخلاف وهي من السبع الطوال في أوّل القرآن.

فضلها

عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: من قرأ سورة الأعراف في كلّ شهر، كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا يحزنون، فإن قرأها في كلّ جمعة كان ممّن لا يُحاسب يوم القيامة.

ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: أما إنّ فيها آياً محكمة، فلا تدعوا قراءتها وتلاوتها والقيام بها، فإنّها تشهد يوم القيامة لمن قرأها عند ربّه. ١
رواها نحوها الصدوق مسنداً في ثواب الأعمال. ٢

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من قرأ هذه السورة جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً، وكان لآدم رفيقاً، ومن كتبها بقاء ورد وزعفران وعلقها عليه لم يقربه سبع ولا عدو ما دامت عليه، بإذن الله تعالى. ٣

١. تفسير العياشي ٢/ ١٣٥، ح ١.

٢. ثواب الأعمال / ١٣٢.

٣. مصباح الكفعمي / ٤٣٩؛ خواص القرآن / ٢.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

مرّ في أوّل الحمد.

﴿الْمَصَّ﴾

مرّ في أوّل البقرة.

قال الشيخ: قد بيّنا في أوّل سورة البقرة اختلاف المفسرين في أوائل السور بالحروف المقطعة، وقلنا: ان الأقوى من ذلك قول من قال: انها أسماء للسور، وهو قول الحسن والبلخي والجبائي، وأكثر المحصلين. وروى عن ابن عباس أنه قال: هي اختصار من كلام لا يفهمه إلا النبي ﷺ. ١
وقال العلامة الطباطبائي: السورة مشتملة على معنى ما اشتملت عليه السور المفتحة: بـ ﴿الْمَ﴾ ٢ وسورة ﴿صَ﴾ ٣. ٤

رواية

صحيحة محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن حُيَّي بن أخطب وأخاه أبا ياسر بن أخطب ونفراً من اليهود من أهل نجران، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا له: ليس فيما تذكر فيما أنزل إليك ﴿الْمَ﴾؟ قال: بلى. قالوا: أتاك بها جبرئيل من عند الله؟ قال: نعم.

١. التبيان ٤/ ٣٤٠.

٢. سور: البقرة / ١؛ آل عمران / ١؛ العنكبوت / ١؛ الروم / ١؛ لقمان / ١؛ السجدة / ١.

٣. سورة ص / ١.

٤. تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن ٤/ ١٧٧.

قالوا: لقد بعث الله أنبياء قبلك، ما نعلم نبياً منهم أخبرنا ما مدّة ملكه! وما أكل أمته غيرك! قال ﷺ: فأقبل حُيَيُّ بن أخطب على أصحابه، فقال لهم:

الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فهذه إحدى وسبعون سنة؛ فعجب ممن يدخل في دينه، ومدّة ملكه، وأكل أمته إحدى وسبعون سنة!

قال ﷺ: ثمّ أقبل على رسول الله ﷺ فقال له: يا محمد، هل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قال: هاته. قال: ﴿الْمَصَّ﴾. قال: هذا أثقل وأطول، الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، فهذه مائة إحدى وستون سنة!

ثمّ قال لرسول الله ﷺ: هل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قال: هات. قال: ﴿الرَّاءِ﴾، قال: هذا أثقل وأطول، الألف واحد، واللام ثلاثون، والراء مائتان! فهل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قال: هات. قال: ﴿الْتَمْرَ﴾^٢ قال:

هذا أثقل وأطول، الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مائتان! ثمّ قال: فهل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قال: لقد إلتبس علينا أمرك، فما ندري ما أعطيت! [ثمّ] قاموا عنه، قال أبو ياسر حُيَيُّ أخيه:

وما يُدريك لعلّ محمّداً ﷺ قد جمع هذا كلّه وأكثر منه. فقال أبو جعفر ﷺ:

إنّ هذه الآيات أنزلت ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾^٣ وهي تجري في وجهه آخر على غير ما تأوّل به حُيَيُّ وأبو ياسر وأصحابه^٤.

١. سور: يونس / ١؛ هود / ١؛ يوسف / ١؛ إبراهيم / ١؛ الحجر / ١.

٢. سورة الرعد / ١.

٣. سورة آل عمران / ٧.

٤. تفسير القمي / ١ / ٣٣٠، ح ١.

﴿ كَتَبْتُ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ

لِتُنذِرَ بِهِ ۚ وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

ومعناها: هذا ﴿ كَتَبْتُ ﴾ مبارك يقص آيات الله أنزله إليك ربك ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ... ﴾ .

﴿ كَتَبْتُ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي هذا ﴿ كَتَبْتُ ﴾ . والتنكير هنا للتعظيم.

﴿ أَنْزَلَ ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو». أتى بالفعل المجهول أيضاً للتعظيم.

﴿ إِلَيْكَ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ أَنْزَلَ ﴾ . والخطاب للرسول الأعظم ﷺ .

والجملة ﴿ أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾ في محل رفع صفة لكتاب أو خبر له.

﴿ فَآءٌ ﴾ تفرعية . ﴿ لَا ﴾ ناهية .

﴿ يَكُنْ ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم بـ ﴿ لَا ﴾ ، أصله «يكون» حذفت واوه تخفيفاً

وتخلصاً من التقاء الساكنين .

﴿ فِي صَدْرِكَ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه . خبر ﴿ لَا يَكُنْ ﴾ المقدم .

﴿ حَرَجٌ ﴾ اسم ﴿ لَا يَكُنْ ﴾ المؤخر . ﴿ حَرَجٌ ﴾ : ضيق .

﴿ مِّنْهُ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ حَرَجٌ ﴾ . «من» للابتداء أي ﴿ حَرَجٌ ﴾ ينشأ ويسري

من تكذيب المكذبين به . و ﴿ حَرَجٌ ﴾ من إنكار إنزاله من الله .

﴿ لِ ﴾ لام التعليل .

﴿ تُنذِرَ ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل وفاعله ضمير

مستتر «أنت» . ﴿ لِتُنذِرَ ﴾ متعلق بـ ﴿ أَنْزَلَ ﴾ على معنى المفعول لأجله^١ . تقديره:

١ . تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ١٢ .

﴿أُنزِلَ﴾ لإندارك.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿لِتُنذِرَ﴾. والباء للاستعانة. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿ذَكَرَى﴾ معطوف على ﴿لِتُنذِرَ﴾ باعتبار انسباكه بمصدر فيكون في محل جر. ويجوز أن يكون في محل رفع بناءً على عطفه على ﴿كِتَابٌ﴾ في أول الآية. ويجوز أن يكون في محل نصب باضمار فعلها وتقديره: ذَكَرَ ﴿ذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. والمراد بـ﴿ذَكَرَى﴾: التذکر النافع أو أنه اسم بمعنى التذكير.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿ذَكَرَى﴾.

والحاصل: ﴿﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ الكتاب ﴿لِتُنذِرَ بِهِ﴾ الناس وهو ﴿ذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خاصة لأنهم يتذكرون بالآيات والمعارف الإلهية المذكورة فيها مقام ربهم فيزيد بذلك إيمانهم وتقرّبها أعينهم، وأما عامة الناس فإن هذا الكتاب يؤثر فيهم أثر الإنذار بما يشتمل عليه من ذكر سخط الله وعقابه للظالمين في الدار الآخرة، وفي الدنيا بعذاب الاستئصال كما تشرحه قصص الأمم السالفة»^١.

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ^٢

قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾

التفات من خطاب الرسول الأعظم ﷺ إلى خطاب المُنذرين حيث ذكر في الآية السابقة أنه ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ﴾ إليه لغرض الإنذار فشرع في المقصود وهو الإنذار. ﴿اتَّبِعُوا﴾ فعل أمر وفاعله. خطاب للمُنذرين المكلفين وأمر منه تعالى بأن يتبعوا.

﴿ مَا ﴾ موصولة، مفعول به.

﴿ أَنْزَلَ ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو». ﴿ مَا أَنْزَلَ ﴾ هو ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ وهو القرآن الكريم الأمر بالإيمان والعلم الصالح.
﴿ إِلَيْكُمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ أَنْزَلَ ﴾. و ﴿ أَنْزَلَ ﴾ إليهم بواسطة الرسول الأعظم ﷺ.

﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بحال محذوف من ﴿ مَا ﴾ تقديره: حال كونه منزلاً ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾. و ﴿ مِنْ ﴾ بيانية.
والمراد من أول الآية إلى هنا الأمر بالدخول تحت ولاية الله سبحانه بدليل ما بعده.

﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ لَا تَتَّبِعُوا ﴾ فعل نهي وفاعله.

﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿ لَا تَتَّبِعُوا ﴾ أو متعلق بمحذوف حالاً من ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾. ﴿ مِنْ ﴾ ابتدائية و ﴿ دُونَ ﴾ ظرف مكان للمجاوز المنفصل.

﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ مفعول به ﴿ لَا تَتَّبِعُوا ﴾.

﴿ قَلِيلًا ﴾ صفة لمفعول مطلق محذوف أي تذكروا ﴿ قَلِيلًا ﴾.

﴿ مَا ﴾ حرف زائد يؤكد معنى القلة أو مصدرية وتقديره: ﴿ قَلِيلًا ﴾ تَذَكَّرْكُمْ.

﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله. أصله تتذكرون حذفت إحدى التائين

للتخفيف. «تذكر معناه أخذ في التذكر شيئاً بعد شيءٍ مثل تفقه وتعلم»^١.

وحاصل «المعنى ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا ﴾ غيره تعالى - وهم كثيرون - فيكونوا لكم

﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ من دون الله ﴿ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾، ولو تذكرتم لدرتتم أن الله تعالى هو ربكم

لا رب لكم سواه فليس لكم ﴿مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾^١.

رواية

عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: قال الله: ﴿أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ففي اتباع ما جاءكم من الله الفوز العظيم، وفي تركه الخطأ المبين^٢.
من أظهر مصاديق اتباع ما أنزل الله ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام والدخول في ولايتهم عليهم السلام دخول في ولاية الله والخروج من ولايتهم خروج من ولاية الله والتفصيل يطلب من محله.

﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾

تذكير للمشركين بسنة الله الجارية فيهم «من الأمم الماضية إذ اتخذوا من دون الله أولياء فأهلكهم الله بعذاب أنزله إليهم ليلاً أو نهاراً فاعترفوا بظلمهم»^٣.
﴿وَ﴾ عاطفة. عطفت ما بعدها إلى على جملة ﴿لَا تَتَّبِعُوا﴾ في الآية السابقة.
﴿كَمْ﴾ اسم، مبتدأ. موضوعه للتكثير. تدخل في الخبر وتسمى الخبرية وإنما دخلها التكثير واستبهام العدد لكثرتة في غالب الأمر.
﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ حرف جر بيانية ومجروره متعلق بحال محذوف من ﴿كَمْ﴾ تقديره: عدد كثير حالة كونه من القرى.

١. الميزان ٨/٨.

٢. تفسير العياشي ٢/١٣٧، ح ٤.

٣. الميزان ٨/٩.

﴿أَهْلَكْنَهَا﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به، خبر ﴿كَمْ﴾، الإهلاك: الإفناء والاستئصال والمراد بإهلاك القرية إهلاك أهلها للإحاطة والشمول.

﴿فَ﴾ عاطفة. ﴿جَاءَهَا﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم.

﴿بَأْسُنَا﴾ فاعل ومضاف إليه. والمراد بالبأس هنا العذاب.

﴿بَيْنًا﴾ ظرف، مفعول فيه، أي في وقت البيات أي الليل أو حال أي بائتين.

﴿أَوْ﴾ عاطفة. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ.

﴿قَائِلُونَ﴾ خبر، أو ﴿هُمْ قَائِلُونَ﴾ معطوف على حال ﴿بَيْنًا﴾ فيكون معناه قائلين. ﴿قَائِلُونَ﴾ من القيلولة وهو النوم نصف النهار.

«إشارة إلى أخذ العذاب إياهم وهم أخذون في النوم آمنون مما كمن لهم من البأس الإلهي الشديد غافلون مغفلون»^١.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾

تتميم للتذكير الوارد في الآية السابقة «يبين أن الإنسان بوجدانه وسره يشاهد الظلم من نفسه إن اتخذ من دون الله أولياء بالشرك، وأن السنة الإلهية أن يأخذ منه الاعتراف بذلك ببأس العذاب إن لم يعترف به طوعاً ولم يخضع لمقام الربوبية فليعترف اختياراً وإلا فسيعترف اضطراراً»^٢

﴿فَ﴾ عاطفة للترتيب. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص.

﴿دَعْوُهُمْ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾ ومضاف إليه. الدعوى: اسم بمعنى الدعاء والدعاء

١. الميزان ٩ / ٨

٢. الميزان ٩ / ٨

هنا لرفع العذاب أي الإستغاثة إلى الله تعالى والضمير يعود إلى القرى التي يريد الله تعالى إهلاكها. ويمكن ان يكون «الدعوى» بمعنى الإدعاء أي انقطعت كل الدعوى التي كانوا يدعونها.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان بمعنى «حين». ﴿جَاءَهُمْ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدم.

﴿بِأَسْئَاتِهِمْ﴾ فاعل ومضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر.

﴿أَنْ قَالُوا﴾ بتأويل المصدر «قولهم» خبر ﴿كَانَ﴾.

﴿إِنَّا﴾ حرف مشبه بالفعل تأكيد واسمه. ابتداء مقول القول.

﴿كُنَّا﴾ فعل ماضٍ ناقص واسمه.

﴿ظَلَمِينَ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ والجملة ﴿كُنَّا ظَلَمِينَ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّا﴾.

يعني يعترفون بالظلم على أنفسهم ويقررون به عند معارضة عذاب الله واليقين

بنزوله عليهم أو حين يصلهم بعض العذاب.^١

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾

بدأ ببعض الأحوال الواردة حول الحياة الأخرى.

﴿فَ﴾ استئنافية. ﴿لَ﴾ تأكيد، لام القسم.

﴿نَسْأَلَنَّ﴾ فعل مضارع ونون التأكيد الثقيلة وفاعله ضمير مستتر «نحن».

«أقسم الله تعالى في هذه الآية إنه يسأل... وحقيقة السؤال طلب الجواب بأداته في

الكلام»^٢.

١. أي يعترفون بأنهم وأعمالهم علّة لنزول العذاب كما بالفارسية يضرب به الثمل: «خودم كردم كه

لعنت بر خودم باد».

٢. التبيان ٤/٤٨٨.

﴿الَّذِينَ﴾ مفعول به. ﴿أُرْسِلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول.
﴿إِلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أُرْسِلَ﴾. وهم أُمم الأنبياء أي الناس لإقامة
الحجة عليهم في استحقاق العقاب لأنهم خالفوا الرسل في الاعتقاد والعمل
والأخلاق. والمراد بسؤال الناس سؤال توبيخ وتقرير وتعنيف.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَنَسْأَلَنَّ﴾ معطوف على سابقة.
﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ مفعول به والمراد بهم أنبياء الله ﷺ. والمراد بسؤال الأنبياء توبيخ
للكفار وتقرير لهم أيضاً لا لتوبيخ المرسلين وتقريرهم.

رواية

روي عن النبي ﷺ أنه قال: إِنَّ اللَّهَ يَسْأَلُ كُلَّ أَحَدٍ بِكَلِمَةٍ لَهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ

ترجمان. ١

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَنْهُمْ بَعْلَمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾

لا يكتفى الله سبحانه بسؤال الأمم وسؤال الأنبياء بل يقص عليهم كل شيء
فعلوه وقالوه لأنه تعالى هو الشاهد للأعمال والأقوال وغير غائب لأنه بكل شيء
محيط.

﴿ف﴾ تفريعية وترتيبية. ﴿ل﴾ تأكيد وقسم.

﴿نَقُصَّنَّ﴾ فعل مضارع ونون التأكيد الثقيلة وفاعله ضمير مستتر «نحن» أي:

نخبرهم، القَصَّ: الإخبار، قَصَّ عليه: أخبره.

﴿عَنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿لَنَقُصَّنَّ﴾. أي: بتفاصيل أعمالهم فلا يقدر

أن يكذبوا في أمام الله تعالى.

يعني: «السائل على علم من أمر أعمالهم فإن المسؤول لا يؤمن أن يكذب لجلب النفع إلى نفسه ودفع الضرر عن نفسه في مثل هذا الموقف الصعب الهائل الذي يهدده بالهلاك الخالد والخسران المؤبد»^١.

﴿بِعَلْمٍ﴾ جار ومجرور في محل نصب لأنه حال من الضمير الفاعلي في ﴿لَتَقْصَنَّ﴾. أي عالين. وقد نكر ﴿بِعَلْمٍ﴾ «للاعتناء بشأنه وأنه علم لا يخطئ ولا يغلط»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿كُنَّا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿غَائِبِينَ﴾ خبر ﴿كُنَّا﴾. «الغائب: البعيد عن حضرة الشيء»^٣. تأكيد لعلم الله سبحانه بأحوالهم لأنه كان شاهداً غير غائب. ولا يخفى عليه شيء.

﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَ يَمِيزُ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

تخبر الآية عن توزين الأعمال في يوم القيامة ومن المعلوم إن تعيين مقادير كل شيء بحسبه.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على ﴿فَلَتَقْصَنَّ عَلَيْهِم بِعَلْمٍ﴾^٤.

﴿الْوِزْنُ﴾ مبتدأ. ظاهر الآية أن الأعمال الصالحة في يوم القيامة له وزن وثقل في ميزان أعمال عاملها. «والوزن في اللغة هو مقابلة أحد الشيئين بالآخر حتى يظهر

١. الميزان / ٨ / ١٠.

٢. الميزان / ٨ / ١٠.

٣. التبيان / ٤ / ٣٥١.

٤. سورة الأعراف / ٧.

مقداره وقد استعمل في غير ذلك تشبيهاً به^١.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مشتملة على «يوم» ظرف زمان متعلق بالخبر و «إذا» مضاف إليه.

والمراد به يوم القيامة. ويجوز أن يكون ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ خبر.

﴿الْحَقُّ﴾ خبر، ﴿الْحَقُّ﴾: ثابت وواقع. ويجوز أن يكون صفة للوزن بناء على

خبرية ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

﴿فَ﴾ تفرعية

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿ثَقُلْتَ﴾ فعل ماضٍ. فعل الشرط.

﴿مَوَازِينُهُ﴾ فاعله ومضاف إليه. جمع ميزان، يعني لكل أحد موازين كثيرة لأن

الحق في الأعمال المختلفة متعددة ومثلاً «حق الصلاة غير الحق في الزكاة والصيام

والحج وغيرها»^٢.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ ثان، ويمكن أن يكون ضمير فصل لا محل له.

﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ خبر ﴿هُمْ﴾. ﴿هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ خبر ﴿أُولَئِكَ﴾. وبناءً على فصلية

ضمير ﴿هُمْ﴾، ف﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ يصير خبر ﴿أُولَئِكَ﴾.

تنبيه

وقد بحثنا حول «الوزن» في دروسنا العقائدية جلسيتين في بحث المعاد مجلس

٨٠ و ٨١ فراجعهما إن شئت.

١. التبيان ٤/ ٣٥٢.

٢. الميزان ٨/ ١٢.

رواية

خبر أبي سالم راعي رسول الله ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خمس ما أثقلهنَّ في الميزان: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» والولد الصالح يتوفى لمسلم فيصبر ويحتسب.^١

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾

﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾

تتمة الآية السابقة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ﴾ معطوفة على نظيرها في الآية السابقة.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿خَسِرُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. «الخسران: ذهاب رأس المال»^٢.

﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ مفعول به. «ومن أعظم رأس المال النفس فإذا أهلك نفسه بسوء

عمله فقد خسر نفسه»^٣.

﴿بِ﴾ للسببية.

﴿مَا﴾ مصدرية تسبب وما بعدها بمصدر مجرور متعلقاً بـ ﴿خَسِرُوا﴾ أي ﴿خَسِرُوا﴾

أَنْفُسَهُمْ بسبب ظلمهم.

ويجوز ﴿مَا﴾ موصولة و ﴿بِمَا﴾ متعلق بـ ﴿خَسِرُوا﴾.

١. الخصال ١/٢٦٧، ح ١، باب الخمسة.

٢. التبيان ٤/٣٥٣.

٣. التبيان ٤/٣٥٣.

﴿كَأْتُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿بِقَائِنَتَنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿يَظْلِمُونَ﴾.

﴿يَظْلِمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿كَأْتُوا﴾. والمراد بالظلم هنا تكذيب

آيات الله مطلقاً في الأعمال والاعتقاد والأخلاق.

ولذا قال القمي: «بالأئمة يجحدون»^١.

رواية

صحيحة محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنَّ الخير ثقل على أهل الدنيا على قدر ثقله في موازينهم يوم القيامة، وإنَّ الشرَّ خفَّ على أهل الدنيا على قدر خفَّته في موازينهم يوم القيامة.^٢

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ 

تذكير ببعض نعم الله سبحانه على الإنسان.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾^٣.

﴿لَ﴾ للقسم والتأكيد. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿مَكَّنَّاكُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. «التمكين اعطاء ما يصح معه

الفعل مع ارتفاع المنع، لأنَّ الفعل كما يحتاج إلى القدرة فقد يحتاج إلى آلة وإلى سبب، كما

١. تفسير القمي ١ / ٣٣١.

٢. الخصال / ١٧، ح ٦١.

٣. سورة الأعراف / ٣.

يحتاج إلى رفع المنع، فالتمكين عبارة عن حصول جميع ذلك^١. والتمكين بمعنى الإقدار والتسليط.

﴿ فِي الْأَرْضِ جَارٍ وَمَجْرورٍ مَتَعَلِّقٍ بِـ مَكَّنَّكُمْ ﴾ . ﴿ وَ عَاطِفَةٍ .

﴿ جَعَلْنَا مَعْطُوفٍ عَلَى مَكَّنَّكُمْ ﴾ .

﴿ لَكُمْ ﴾ جَارٍ وَمَجْرورٍ مَتَعَلِّقٍ بِمَفْعُولٍ ﴿ جَعَلْنَا ﴾ الثاني، والضمير يعود إلى جميع

الناس.

﴿ فِيهَا ﴾ جَارٍ وَمَجْرورٍ مَتَعَلِّقٍ بِـ ﴿ جَعَلْنَا ﴾ . والضمير يعود إلى ﴿ الْأَرْضِ ﴾ .

﴿ مَعِيشَ ﴾ مَفْعُولٍ بِهِ أَوَّلُ ﴿ جَعَلْنَا ﴾ . ﴿ مَعِيشَ ﴾ : « جمع معيشة: وهي ما يعاش

به من مطعم أو مشرب أو نحوهما^٢. « مشتقة من العيش وهو الحياة وأصل المعيشة

اسم مصدر عاش... سمي به الشيء الذي يحصل به العيش، تسمية للشيء باسم

سببه^٣.

﴿ قَلِيلًا ﴾ صِفَةٌ لِمَفْعُولٍ مَطْلُوقٍ مَحْذُوفٍ أَي شُكْرًا ﴿ قَلِيلًا ﴾ .

﴿ مَا ﴾ حَرْفٌ لِتَأْكِيدِ الْقَلَّةِ .

﴿ تَشْكُرُونَ ﴾ فِعْلٌ مَضَارِعٌ وَفَاعِلُهُ . « الشكر: هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من

التعظيم^٤ .

١ . التبيان / ٤ / ٣٥٥ .

٢ . الميزان / ٨ / ١٩ .

٣ . تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور / ٨ / ٢٧ .

٤ . التبيان / ٤ / ٣٥٥ .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿١١﴾

تذكيراً ببدء خلقه آدم وما جرى بعدها.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾^١.

﴿لَمْ﴾ تأكيد. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق، تأكيد آخر.

﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. الخلق: إيجاد الشيء وإحداثه

وإبراز الشيء إلى الوجود. والخطاب لبني آدم وامتنان عليهم.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب.

﴿صَوَّرْنَاكُمْ﴾ معطوف على ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾. «التصوير: جعل الشيء صورة،

والصورة الشكل الذي يشكّل به الجسم»^٢.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب. ﴿قُلْنَا﴾ معطوف على ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾.

﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ﴿قُلْنَا﴾. «ال» للجنس. وما بعدها مقول

القول.

﴿اسْجُدُوا﴾ فعل أمر وفاعله. والظاهر من السجود هو ما يصطلح عليه في

الشريعة الغراء من السجود وهو وضع الجبهة على الأرض.

﴿لِآدَمَ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ﴿اسْجُدُوا﴾. آدم: هو أول بشر خلقه الله تعالى في

هذه النسبة الدنيوية ولكن في هذه المرحلة من الخلق. والمراد أنّ آدم يكون مسجوداً

إليه والسجدة لا يكون إلا الله تعالى. ولا محالة المسجود إليه يكرم ويحترم.

١. سورة الأعراف / ١٠.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٢٨ / ٨.

﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿سَجَدُوا﴾ فعل ماض وفاعله. أي وقع السجود منهم، لعدم امكان العصيان في شأن الملائكة كما مر.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء. والاستثناء هنا منقطع.

﴿إِبْلِيسَ﴾ مستثنى، وهو الشيطان الأكبر وكان من الجن لكن دخل في عداد ملائكة الله المقربين لأجل عبادته الكثيرة كما يظهر من الآيات والروايات.^١
 ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾ واسمها ضمير مستتر «هو».
 ﴿مِنَ السَّجِدِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿لَمْ يَكُنْ﴾.
 وجملة ﴿لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّجِدِينَ﴾ حال من ﴿إِبْلِيسَ﴾ وتأكيده للاستثناء.

روايتان

خبر أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ قال: أما ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ فنطفة، ثم علقه، ثم مضعة، ثم عظماً، ثم لحماً.
 وأما ﴿صَوَّرْنَاكُمْ﴾ فالعين والأنف والأذنين والفم واليدين والرجلين صور هذا ونحوه، ثم جعل الدميم والوسيم والجسيم والطويل والقصير وأشباه هذا.^٢
 عن جميل بن دراج، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سألتُه عن إبليس، أكان من الملائكة، وهل كان يلي من أمر السماء شيئاً؟ قال: إنه لم يكن من الملائكة، ولم يكن يلي من أمر السماء شيئاً، كان من الجن، وكان مع الملائكة، وكانت الملائكة، تراه أنه منها، وكان الله يعلم أنه ليس منها، فلما أمر الملائكة بالسجود كان منه الذي كان.^٣
 وللعلامة المجلسي رحمته الله بيان في ذيل الحديث فراجع.

١. راجع في هذا المجال إلى «كتاب إبليس اللعين» للمؤلف.

٢. تفسير القمي ١/٣٣٢، ح ٢.

٣. تفسير العياشي ٣/٩٦، ح ٣٦.

٤. بحار الأنوار ٦٠/٢١٨، ح ٥٥.

﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ

وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾

حكاية خطاب الله لإبليس اللعين حين امتنع من السجود لأبينا آدم عليه السلام ويظهر منها أن أم المعاصي هو التكبر.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير «هو» يعود إلى الله تعالى.

﴿مَا﴾ استفهام انكاري مشوب بتوبيخ. بمعنى: «أي شيء».

﴿مَنَّكَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» وضمير الخطاب مفعول به.

﴿إِلَّا﴾ مشتملة من «أن» مصدرية ناصبة و «لا» نافية زائدة هنا جاءت للتأكيد.

﴿تَسْجُدَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ«أن» وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً

لإبليس. أي: ﴿مَا مَنَّكَ﴾ أن ﴿تَسْجُدَ﴾. والشاهد عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ يَتْلِي مِثْلَ

مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي﴾^١.

ولكن إن قلنا بأن ﴿مَنَّكَ﴾ متضمنة معنى حملك أو دعاك يكون تأويل الكلام

هكذا: ما حملك أو دعاك على أن لا تسجد وصار مانعاً لك؟! فلا تكون «لا» زائدة.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان بمعنى «حين» متعلق بـ﴿تَسْجُدَ﴾.

﴿أَمَرْتُكَ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. ويظهر منه أن كل شيء أمر الله تعالى

به لا بد أن يطاع ويمكن أن يكون عبادة وطاعة لله تعالى لأنه بأمره.

﴿قَالَ﴾ جواب إبليس اللعين في مقابل سؤال الله تعالى عنه ولا يخفى أن هذا

الجواب منه ليس إلا مغالطة واضحة.

﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ مبتدأ وخبر. كل «المعاصي ترجع بحسب التحليل إلى دعوى الإنيّة

ومنازعة الله سبحانه في كبريائه، وله رداء الكبرياء لا شريك له فيه، فليس لعبد مخلوق أن يعتمد على ذاته ويقول: أنا قبال الإنيّة الإلهية التي عنت له الوجود، وخضعت له الرقاب، وخشعت له الأصوات، وذل له كل شيء.

ولو لم تنجذب نفسه إلى نفسه، ولم يحتبس نظره في مشاهدة إنيته لم يتقيد باستقلال ذاته، وشاهد الإله القيوم فوقه فذلت له إنيته ذلة تنفي عنه كل استقلال وكبرياء فخضع للأمر الإلهي، وطاوعته نفسه في الايتهار والامتثال^١.

﴿مَنْهُ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿خَيْرٌ﴾ والضمير يعود إلى آدم.

﴿خَلَقْتَنِي﴾ فعل ماضٍ وفاعله ونون الوقاية ومفعول به. حال من ﴿أَنَا﴾ أو

عطف بيان لجملة ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾.

﴿مِنْ نَّارٍ﴾ جار ومجرور متعلّق بالضمير المفعولي في ﴿خَلَقْتَنِي﴾ أي حال كوني

مخلوقاً ﴿مِنْ نَّارٍ﴾ و ﴿مِنْ﴾ هنا بيانيٌّ.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ معطوفة على ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ﴾. والطين: التراب المختلط

بالماء.

إبليس يرى فضيلة النار على الطين وبهذه الفضيلة التوهمية بنى مغالطته في

جواب سؤال الربّ جلّت عظمته.

الروايات

صحيح حماد بن عيسى عن بعض أصحابه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لأبي حنيفة:

ويحك إنّ أول من قاس إبليس، لما أمره بالسجود لآدم قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ

مِنْ طِينٍ﴾^٢.

١. الميزان ٨/ ٢٤.

٢. المحاسن ١/ ٣٣٤، ح ٨٠.

خبر مِيَّاح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ إبليس قاس نفسه بآدم، فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ فلو قاس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالنار، كان ذلك أكثر نوراً وضياءً من النار.^١

رواه الكليني في الكافي.^٢

خبر عيسى بن عبدالله القرشي قال: دخل أبو حنيفة على أبي عبدالله عليه السلام فقال له: يا أبا حنيفة! بلغني أنك تقيس؟ قال: نعم قال: لا تقس فإنَّ أول من قاس إبليس حين قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، فقاس ما بين النار والطين، ولو قاس نورية آدم بنورية النار عرف فضل ما بين النورين، وصفاء أحدهما على الآخر.^٣

رواه الصدوق مفصلاً ف علل الشرائع.^٤

صحيحة داود بن فرقد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ الملائكة كانوا يحسبون أنَّ إبليس منهم وكان في علم الله أنَّه ليس منهم، فاستخرج ما في نفسه بالحمية والغضب فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.^٥

رواها العياشي في تفسيره.^٦

خبر ابن أبي ليلى قال: دخلت أنا والنعمان [أبو حنيفة] على جعفر بن محمد فرحب بنا وقال: يا بن أبي ليلى من هذا الرجل؟ قلت: جعلت فداك هذا رجل من أهل الكوفة له رأي ونظر ونقاد، قال: فلعله الذي يقيس الأشياء برأيه، ثم قال له: يا نعمان هل تحسن تقيس رأسك؟ قال: لا، قال: فما أراك تحسن تقيس شيئاً ولا تهتدي إلا من

١. المحاسن ١/ ٣٣٤، ح ٨١.

٢. الكافي ١/ ١٤٧، ح ١٨ (١/ ٥٨).

٣. الكافي ١/ ١٤٨، ح ٢٠ (١/ ٥٨).

٤. علل الشرائع/ ٨٦، ح ١، باب ٨١.

٥. الكافي ٣/ ٧٥١، ح ٦ (٢/ ٣٠٨).

٦. تفسير العياشي ٢/ ١٣٧، ح ٥.

عند غيرك فهل عرفت مما الملوحة في العينين، والمرارة في الأذنين، والبرودة في المنخرين، والعدوبة في الفم؟ قال: لا، قال: فهل عرفت كلمة أو لها كفر وآخرها إيمان؟ قال: لا، قال: ابن أبي ليلى، فقلت: جعلت فداك لا تدعنا في عمى مما وصفت لنا، قال: نعم حدثني أبي عن آبائه، ان رسول الله ﷺ قال: ان الله تبارك وتعالى خلق عيني ابن آدم على شحمتين، فجعل فيها الملوحة ولو لا ذلك لذابتا ولم يقع فيهما شيء من القذى إلا أذاهما، والملوحة تلفظ ما يقع في العينين من القذى وجعل المرارة في الأذنين حجاباً للدماغ فليس من دابة تقع في الأذنين إلا التمسست الخروج، ولو لا ذلك لوصلت إلى الدماغ، وجعل البرودة في المنخرين حجاباً للدماغ، ولو لا ذلك لساك الدماغ، وجعل الله العدوبة في الفم مناً من الله على ابن آدم ليجد لذة الطعام والشراب، وأما كلمة أولها كفر وآخرها إيمان فقول: لا إله إلا الله، أولها كفر وآخرها إيمان. ثم قال: يا نعمان إياك والقياس فإن أبي حدثني، عن آبائه، ان رسول الله ﷺ قال: من قاس شيئاً من الدين برأيه قرنه الله مع إبليس في النار، فإنه أول من قاس حين قال: ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾، فدعوا الرأي والقياس، وما قال قوم ليس له في دين الله برهان فان دين الله لم يوضع بالآراء والمقاييس.^١

خبر أبي زهير بن شبيب بن أنس عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه غلام من كندة فاستفتاه في مسألة، فافتاه فيها، فعرفت الغلام والمسألة فقدمت الكوفة، فدخلت على أبي حنيفة فإذا ذاك الغلام بعينه يستفتيه في تلك المسألة بعينها، فافتاه فيها بخلاف ما أفتاه أبو عبد الله عليه السلام فقامت إليه فقلت ويلك يا أبا حنيفة انى كنت العام حاجاً فاتيت أبا عبد الله عليه السلام مسلماً عليه فوجدت هذا الغلام يستفتيه في هذه المسألة بعينها فافتاه بخلاف ما أفتيته، فقال وما يعلم جعفر بن محمد أنا أعلم منه، أنا لقيت الرجال وسمعت من أفواهمهم، وجعفر بن

١. علل الشرائع / ٨٨، ح ٤.

محمد صحفى أخذ العلم من الكتب! فقلت في نفسي والله لأحجن ولو حبواً. قال فكنت في طلب حجة، فجاءتني حجة فحججت، فاتيت أبا عبدالله عليه السلام فحكيت له الكلام فضحك ثم قال: أما في قوله إنى رجل صحفى فقد صدق قرأت صحف آبائي إبراهيم وموسى، فقلت ومن له بمثل تلك الصحف، قال فما لبثت ان طرق الباب طارق وكان عنده جماعة من أصحابه فقال الغلام انظر من ذا فرجع الغلام فقال أبوحنيفة، قال ادخله فدخل فسلم على أبي عبدالله عليه السلام فرد عليه ثم قال: أصلحك الله اتأذن لي في القعود؟ فاقبل على أصحابه يحدثهم ولم يلتفت إليه ثم قال الثانية والثالثة فلم يلتفت إليه فجلس أبوحنيفة من غير إذنه، فلما علم أنه قد جلس التفت إليه فقال: اين أبوحنيفة؟ فقيل هو ذا أصلحك الله، فقال: أنت فقيه أهل العراق؟ قال: نعم، قال: فيها تفتيهم؟ قال: بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال: يا أباحنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته وتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: نعم، قال: يا أباحنيفة لقد إدعيت علماً، ويملك ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويملك ولا هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا صلى الله عليه وسلم ما ورثك الله من كتابه حرفاً فإن كنت كما تقول ولست كما تقول فأخبرني عن قول الله صلى الله عليه وسلم ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِينَ﴾^١ أين ذلك من الأرض؟ قال: أحسبه ما بين مكة والمدينة، فالتفت أبو عبدالله عليه السلام إلى أصحابه فقال: تعلمون ان الناس يقطع عليهم بين المدينة ومكة فتوخذ أموالهم ولا يؤمنون على أنفسهم ويقتلون؟ قالوا: نعم، قال: فسكت أبوحنيفة، فقال: يا أباحنيفة اخبرني عن قول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾^٢ أين ذلك من الأرض؟ قال: الكعبة قال أفتعلم إن الحجاج بن يوسف حين وضع المنجنيق على ابن الزبير في الكعبة فقتله كان آمناً فيها؟ قال: فسكت، ثم قال له يا أباحنيفة: إذا ورد عليك شيء ليس في كتاب الله ولم


١. سورة سبأ/ ١٨.

٢. سورة آل عمران / ٩٧.

تأت به الآثار والسنة كيف تصنع؟ فقال: أصلحك الله: أقيس وأعمل فيه برأيي، قال يا أباحنيفة: إنَّ أوَّل من قاس إبليس الملعون قاس على ربِّنا تبارك وتعالى فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ فسكت أبوحنيفة، فقال يا أباحنيفة: ايما أرجس البول أو الجناية؟ فقال: البول، فقال: فما بال الناس يغتسلون من الجنابة ولا يغتسلون من البول؟ فسكت، فقال: يا أباحنيفة أيِّمًا أفضل الصلاة أم الصوم؟ قال الصلاة، قال: فما بال الحايض تقضي صومها ولا تقضي صلاتها؟ فسكت، فقال يا أباحنيفة: أخبرني عن رجل كانت له أم ولد وله منها ابنة وكانت له حرة لا تلد فزارت الصبية بنت أم الولد أباهما، فقام الرجل بعد فراغه من صلاة الفجر، فواقع أهله التي لا تلد وخرج إلى الحمام فأرادت الحرة أن تكيده أم الولد وابنتها عند الرجل فقامت إليها بحرارة ذلك الماء فوقعت عليها وهي نائمة، فعالجتها كما يعالج الرجل المرأة، فعلقت، أيّ شيء عندك فيها؟ قال: لا والله ما عندي فيها شيء، فقال يا أباحنيفة: أخبرني عن رجل كانت له جارية فزوجها من مملوك له وغاب المملوك، فولد له من أهله مولود وولد للمملوك مولود من أم ولد له فسقط البيت على الجاريتين ومات المولى، من الوارث؟ فقال جعلت فداك: لا والله ما عندي فيها شيء، فقال أبوحنيفة: أصلحك الله ان عندنا قومًا بالكوفة يزعمون انك تأمرهم بالبراءة من فلان وفلان وفلان فقال: ويملك يا أباحنيفة لم يكن هذا، معاذ الله. فقال أصلحك الله: إنهم يعظمون الأمر فيهما، قال: فما تأمرني؟ قال: تكتب إليهم، قال: بماذا؟ قال: تسألهم الكفّ عنهما، قال: لا يطيعوني، قال: بلى أصلحك الله إذا كنت أنت الكاتب وأنا الرسول أطاعوني، قال يا أباحنيفة ابيت إلا جهلاً كم بيني وبين الكوفة من الفراسخ؟ قال أصلحك الله ما لا يحصى فقال: كم بيني وبينك؟ قال: لا شيء، قال: أنت دخلت علي في منزلي فاستأذنت في الجلوس ثلاث مرات فلم آذن لك، فجلست بغير إذني خلافاً عليّ كيف يطيعوني أولئك وهم هناك وأنا هاهنا؟ قال: فقبل رأسه وخرج وهو

يقول: أعلم الناس ولم نره عند عالم، فقال أبو بكر الحضرمي جعلت فداك الجواب في المسألتين الأوليين؟ فقال: يا أبا بكر ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِينَ﴾^١، فقال: مع قائمنا أهل البيت، وأما قوله ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾^٢. فمن بايعه ودخل معه ومسح على يده ودخل في عقد أصحابه كان آمناً.^٣

خبر محمد بن عمار قال جعفر بن محمد عليه السلام ان أمر الله تعالى ذكره لا يحمل على المقاييس ومن حمل أمر الله على المقاييس هلك واهلك ان أول معصية ظهرت للانانية عن إبليس اللعين حين أمر الله تعالى ذكره ملائكته بالسجود لآدم، فسجدوا وأبى إبليس اللعين أن يسجد، فقال عليه السلام ﴿مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ فكان أول كفره قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ ثم قياسه بقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾، فطرده الله عليه السلام عن جواره، ولعنه وسماه رجياً وأقسم بعزته لا يقيس أحد في دينه إلا قرنه مع عدوه إبليس في أسفل درك من النار.^٤

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ 

حكاية قول الله لإبليس وأمره إياه أن يهبط من المنزلة المعنوية التي هو فيها من القرب إلى الله تعالى.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يعود إلى الله تعالى.

١. سورة سبأ/ ١٨.

٢. سورة آل عمران/ ٩٧.

٣. علل الشرائع/ ٨٩، ح ٥.

٤. علل الشرائع/ ٦٢، ح ١، باب ٥٤.

﴿فَ﴾ عاطفة لترتيب الأمر بالهبوط على جواب إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^١. «والفاء دالة على أن أمره بالهبوط مسبب عن جوابه»^٢.

﴿أَهْبِطْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً لإبليس اللعين. الهبوط: النزول دفعة واحدة ومن دون طي المراحل وهو الانحدار.

﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَهْبِطْ﴾، والضمير يعود إلى المنزلة والمكانة المعنوية التي كان إبليس فيها بسبب عباداته الطويلة الكثيرة. فيكون الهبوط هنا «هبوطاً معنوياً لا نزولاً من مكان جسماني إلى مكان آخر»^٣.

﴿فَ﴾ للسببية والتفريعية. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع تام بمعنى «يصح». ﴿مَا يَكُونُ﴾: ليس.

﴿لَكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَكُونُ﴾ والخطاب لإبليس.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تَتَكَبَّرُ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «أنت». «التكبر: إظهار كبر النفس على جميع الأشياء فهو في صفة العباد ذمٌّ وفي صفة الله مدحٌ»^٤. «التكبر هو أخذ الإنسان مثلاً الكبر لنفسه وظهوره به على غيره فإن الكبر والصغر من الأمور الإضافية، ويستعمل في المعاني غالباً فإذا أظهر الإنسان بقولٍ أو فعلٍ أنه أكبر من غيره شرفاً أو جاهاً أو نحو ذلك فقد تكبر عليه وعده صغيراً، وإذ كان لا شرف ولا كرامة لشيء على شيء إلا ما شرفه الله وكرمه كان التكبر صفة مذمومة في غيره تعالى على الإطلاق إذ ليس لما سواه تعالى إلا الفقر والمذلة في أنفسهم من غير فرق بين شيء

١. سورة الأعراف / ١٢.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ٣٤.

٣. الميزان ٨ / ٣٠.

٤. التبيان ٤ / ٣٦٠.

وشيء ولا كرامة إلا بالله ومن قبله، فليس لأحد من دون الله أن يتكبر على أحد، وإنما هو صفة خاصة بالله سبحانه فهو الكبير المتعال على الإطلاق فمن التكبر ما هو حق محمود وهو الذي لله عز اسمه أو ينتهي إليه بوجهه كالتكبر على أعداء الله الذي هو في الحقيقة اعتزاز بالله، ومنه ما هو باطل مذموم وهو الذي يوجد عند غيره بدعوى الكبر لنفسه لا بالحق»^١.

﴿ فِيهَا ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ تَتَكَبَّر ﴾ . والضمير يعود إلى ما يعود ﴿ مِنْهَا ﴾ .

﴿ فَ ﴾ تفرعية . ﴿ أَخْرَج ﴾ معطوف على ﴿ فَأَهْط ﴾ وتفسير وتأکید له .

﴿ إِنَّكَ ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، تأكيد .

﴿ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴾ جار ومجرور في محل رفع خبر ﴿ إِنَّكَ ﴾ . ﴿ الصَّغِيرِينَ ﴾ : جمع

صاغر: الذليل، من الصغار: الهوان والذلة.

والحاصل: «فتنزل عن منزلتك حيث لم تسجد لما ﴿ أَمَرْتُكَ ﴾^٢ فإن هذه المنزلة

منزلة التذلل والانقياد لي فما يحق لك ﴿ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴾ أهل

الهوان، وإنما أخذ بالصغار ليقابل به التكبر»^٣.

رواية

خبر محمد بن مسلم بن عبيدالله الزهري قال: سئل علي بن الحسين عليه السلام أي

الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما من عمل بعد معرفة الله ﷻ ومعرفة رسوله ﷺ

أفضل من بغض الدنيا فإن لذلك لشعباً كثيرةً وللمعاصي شعب فأول ما عصى الله به

الكبر، معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين، ثم الحرص وهي معصية

آدم وحواء عليهما السلام حين قال الله ﷻ لهما: ﴿ كَلَّا مِنْهَا رَعَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ

١. الميزان / ٨ / ٢٩ .

٢. سورة الأعراف / ١٢ .

٣. الميزان / ٨ / ٣٠ .

الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ^١ فأخذنا ما لا حاجة بهما إليه، فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه، ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حبُّ النساء وحبُّ الدنيا وحبُّ الرئاسة وحبُّ الرّاحة وحبُّ الكلام وحبُّ العلوّ والثروة، فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهنّ في حب الدنيا فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حبُّ الدنيا رأس كلِّ خطيئة والدنيا دُنياً إنِ دنیا بلاغ و دنیا ملعونة.^٢

وللعلامة المجلسي^٣ بيان في ذيل الحديث.

لأجل الروايات الواردة حول «التكبر» راجع كتابي «موسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام)»^٤ إن شئت.

﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

«حكاية عن إبليس أنه سأل الله تعالى أن ينظره»^٥.

﴿ قَالَ ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يعود إلى إبليس اللعين وما بعده مقول القول.

﴿ أَنْظِرْنِي ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً إلى الله تعالى ونون الوقاية ومفعول به. «الانظار: الإمهال إلى مدّة فيها النظر في الأمر طال أم قصر.

١. سورة البقرة / ٣٥.

٢. الكافي ٣ / ٧٧٠، ح ٨ (٢ / ٣١٦).

٣. بحار الأنوار ٧٠ / ٢٠.

٤. موسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام) ٢ / ٢٣٠.

٥. التبيان ٤ / ٣٦١.

والانظار والامهال والتأخير والتأجيل نظائر في اللغة وبينها فرق...^١. طلب إبليس الإنظار من الله اعتماداً على عباداته الكثيرة الطويلة السابقة وجزاءً عليها.

﴿إِلَى يَوْمٍ جَارٍ وَمَجْرورٍ مَتَعَلِّقٍ بِـ﴾ أَنْظِرْنِي﴾.

﴿يُبْعَثُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله. أي يُحْشَرُونَ. يوم

البعث: يوم القيامة.

«استمهاله إلى يوم البعث يدل على أنه كان من همهم أن يديم على إغواء هذا النوع في الدنيا وفي البرزخ جميعاً حتى تقوم القيامة فلم يجبه الله سبحانه إلى ما استدعاه بل لعله أجابه إلى ذلك إلى آخر الدنيا دون البرزخ فلا سلطان له في البرزخ سلطان الإغواء والوسوسة»^٢.

الروايات

خبر علي بن عطية قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن إبليس عبد الله في السماء سبعة آلاف سنة في ركعتين فأعطاه الله ما أعطاه ثواباً له بعبادته^٣.

وبالإسناد قال: قلت بأبي عبد الله عليه السلام: حدثني كيف قال الله تعالى لإبليس ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ^٤؟ قال: لشيء كان تقدم شكره عليه، قلت: وما هو؟ قال: ركعتان ركعهما في السماء في ألفي سنة أو في أربعة آلاف سنة^٥.

العياشي رفعه عن الحسن بن عطية قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن إبليس عبد الله في السماء الرابعة في ركعتين ستة آلاف سنة، وكان إنظار الله إياه إلى يوم

١. التبيان / ٤ / ٣٦١.

٢. الميزان / ٨ / ٣٠.

٣. علل الشرائع / ٥٢٥ / ح ٢.

٤. سورتا: الحجر / (٣٧ و ٣٨)؛ ص / (٨١ و ٨٢).

٥. علل الشرائع / ٥٢٥ / ح ١.

الوقت المعلوم بما سبق من تلك العبادة.^١
ويمكن رفع التنافي بين الأزمنة بإمكان وقوع الجميع منه لعنة الله عليه.

﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾

اجابة الله تعالى إلى ما التمس منه إبليس اللعين على نحو الإجمال لا التفصيل.
﴿ قَالَ ﴾ الضمير الفاعلي يعود إلى الله وما بعدها جواب الله تعالى لإبليس من طلب الانظار.

﴿ إِنَّكَ ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. والضمير الخطاب يعود إلى إبليس.
﴿ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ جار ومجرور خبر ﴿ إِنَّكَ ﴾.

في هذه الآية لم يذكر الله غاية انظار اللعين ولكن في سورتي الحجر^٢ وص^٣ قال تعالى غايته: ﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾. ثم هل المراد من ﴿ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ آخر الدنيا أم غيره؟ يعني هل المراد منه «يوم ينفخ في الصور نفخة واحدة فيموت إبليس ما بين النفخة الأولى والثانية»^٤؛ أو أنه يضرب عنقه بعد ظهور القائم^٥ كما في بعض الروايات؟^٥ الظاهر هو الثاني والله العالم.

١. تفسير العياشي ٢/٤٢٨، ح ١٣.

٢. سورة الحجر / ٣٨.

٣. سورة ص / ٨١.

٤. علل الشرائع / ٤٠٢، ح ٢.

٥. راجع كتاب إبليس اللعين / ١٣٥، ح ١٦٦ و ١٦٧، للمؤلف.

﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

«قطع إبليس عهداً على نفسه انه سينتقم لمأساته^١ من هذا المخلوق الذي كان السبب لطرده من رحمة الله إلى لعنته، ويبيّن نوع هذا الانتقام بأنه سيقعد على الطريق المؤدية إلى الله وطاعته، ويصد عنها آدم وذريته»^٢.

﴿قَالَ﴾ بيان مقالة إبليس اللعين وعهده. ﴿فَ﴾ للترتيب والتسبيب.

﴿بِ﴾ للسببية أو بمعنى «مع» أو بمعنى القسم وقد أخطأ صاحب الميزان^٣

الأخير.

﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ فعل ماضٍ وفاعله ونون الوقاية ومفعول به. أي بسبب اغوائك

إيائي. الاغواء: إلقاء في الغي وهو الضلال والهلاك والخيبة.

نسب إبليس اغوائه إلى الله تعالى مدعيًا الجبر في مقابل الاختيار فراراً من عقاب

الله تعالى ومن مسئولية أعماله.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب قسم محذوف أو تأكيد.

﴿أَقْعُدَنَّ﴾ فعل مضارع ونون التأكيد الثقيلة وفاعله ضمير مستتر «انا». بمعنى

أجلسن، والمراد بالعقود هنا كناية عن جلوسه والتزامه والترصد لعابري الصراط

المستقيم ليخرجهم منه أو ليصد عنه.

﴿لَهُمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾. اللام للأجل الضمير يعود إلى بني

آدم.

١. جمع مأس: الفاجعة، المضیعة، الضایعة.

٢. التفسير الكاشف ٣/ ٣٠٨.


٣. الميزان ٨/ ٣١.

﴿صِرَاطَكَ﴾ مفعول به ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى الله تعالى.
﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾ نعت لـ ﴿صِرَاطٍ﴾.

رواية

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الصراط الذي قال إبليس ﴿لَأَقْعُدَنَّ هُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * ثُمَّ لَا تَبْنِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ الآية وهو علي عليه السلام. ١.

﴿ثُمَّ لَا تَبْنِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ

وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ 

بيان لما يصنعه إبليس بني آدم «وقد كمن لهم قاعداً على الصراط المستقيم، وهو أنه يأتيهم من كل: جانب من جوانبهم الأربعة»^٢. وحيث «كان الصراط المستقيم الذي كمن لهم قاعداً عليه أمراً معنوياً كانت الجهات التي يأتيهم منها معنوية لا حسية»^٣.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الرتبي. ﴿لَ﴾ تأكيد.

﴿أَتَيْنَهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا» ونون التأكيد الثقيلة ومفعول به. وعد لعنه الله أن يأتي بني آدم.

﴿مِنْ بَيْنِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَأَتَيْنَهُمْ﴾.

﴿أَيْدِيهِمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. الظاهر أن المراد ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ «ما

١. تفسير العياشي ٢/ ١٣٧، ح ٦.

٢. الميزان ٨/ ٣١.

٣. الميزان ٨/ ٣١.

يستقبلهم من الحوادث أيام حياتهم مما يتعلق به الآمال والأمانى من الأمور التي تهواه النفوس وتستلذه الطباع، ومما يكرهه الإنسان ويخاف نزوله به كالفقر يخاف منه لو أنفق المال في سبيل الله أو ذم الناس ولومهم لو ورد سبيلاً من سبيل الخير والثواب»^١.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ معطوف على ﴿مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾. ولعلّ «المراد بخلفهم ناحية الأولاد والأعقاب فلإنسان فيمن يخلفه بعده من الأولاد آمال وأمانى ومخاوف ومكاره فإنه يخيل إليه أنه يبقى ببقائهم فيسره ما يسرههم ويسوءه ما يسوءهم فيجمع المال من حلاله وحرامه لأجلهم، ويعدهم ما استطاع من قوة فيهلك نفسه في سبيل حياتهم»^٢.

﴿وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ﴾ معطوف على ما قبله ولعلّ «المراد باليمين وهو الجانب القوي الميمون من الإنسان ناحية سعادتهم وهو الدين وإتيانه من جانب اليمين أن يزين لهم المبالغة في بعض الأمور الدينية، والتكلف بما لم يأمرهم به الله وهو الذي يسميه الله تعالى باتباع خطوات الشيطان»^٣.

﴿وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ﴾ معطوف. ولعلّ «المراد بالشمال خلاف اليمين، وإتيانه منه أن يزين لهم الفحشاء والمنكر ويدعوهم إلى ارتكاب المعاصي واقتراف الذنوب واتباع الأهواء»^٤.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿لَا تَجِدُ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر «أنت» مخاطباً لله تعالى.

١. الميزان ٨ / ٣١.

٢. الميزان ٨ / ٣١.

٣. الميزان ٨ / ٣٢.

٤. الميزان ٨ / ٣٢.

﴿ أَكْثَرَهُمْ ﴾ مفعول به أوّل ومضاف إليه. ﴿ شَكَرِيْنَ ﴾ مفعول به ثان. وجملته ﴿ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَكَرِيْنَ ﴾ هي نتيجة ما فعله إبليس ببني آدم. «والشاكرون هم الذين استقرت فيهم صفة الشكر على الإطلاق فلا يمسون نعمة إلا يشكر أي بأن يستعملوها ويتصرفوا فيها قولاً أو فعلاً على نحو يظهر به أنها من عند ربهم المنعم بها عليهم فلا يقبلون على شيء - أعم من أنفسهم وغيرهم - إلا وهم على ذكر من ربهم قبل أن يمسوه ومعه وبعده، وأنه مملوك له تعالى طلقاً ليس له من الأمر شيء فذكرهم ربهم على هذه الوتيرة ينسيهم ذكر غيره إلا بالله، و ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾^١.

فلو أُعطيَ اللفظ حق معناه لكان الشاكرون هم المخلصين، واستثناء إبليس الشاكرين أو المخلصين من شمول إغوائه وإضلاله جري منه على حقيقة الأمر اضطراراً ولم يأت به جزافاً أو امتناعاً على بني آدم أو رحمة أو لغير ذلك»^٢.

روايتان

صحيححة زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قوله ﴿ لَا قُعْدَنَ لَهُمْ صِرَاطَكَ اَلْمُسْتَقِيمَ ﴾ * ثُمَّ لَا تَبْنِيَهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَكَرِيْنَ ﴾ فقال أبو جعفر عليه السلام: يا زرارة إنما صمد لك ولأصحابك، فأما الآخرين فقد فرغ منهم^٣.

صمد: قصد وعمد. رواها الكليني^٤ بسند صحيح والعياشي^٥ مرسلًا.

١. سورة أحزاب / ٤.

٢. الميزان ٨ / ٣٣.

٣. المحاسن / ٢٧٤، ح ١٤٠.

٤. الكافي ١٥ / ٣٤٩، ح ١١٨ (١٤٥ / ٨).

٥. تفسير العياشي ٢ / ١٣٧، ح ٧.

قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿ثُمَّ لَا تَبِيتُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ معناه أهوّن عليهم أمر الآخرة ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ وأفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ بتحبيب اللذات إليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم.^١

﴿قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

أعاد الله أمر بالخروج من المنزل التي كان إبليس فيها تأكيداً للأمرين السابقين:
﴿فَأَهْبِطْ مِنْهَا... فَأَخْرَجْ...﴾^٢.

﴿قَالَ﴾ بيان أمر الله سبحانه.

﴿أَخْرَجَ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت». خطاباً لإبليس اللعين.

﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَخْرَجَ﴾ والضمير يعود إلى المنزل التي كان

إبليس فيه كما مر.

﴿مَذْمُومًا﴾ حال، «اسم مفعول من ذأمه - مهموزاً - إذا عابه وذمّه ذاماً وقد

تسهل همزة ذام فتصير ألفاً فيقال ذام ولا تسهل في بقية تصاريفه»^٣.

﴿مَدْحُورًا﴾ حال، اسم «مفعول من دحره إذا أبعد وأقصاه»^٤ «فالدحر: الدفع

على وجه الهوان والإذلان... وقيل: الدحر: الطرد»^٥.

١. التبيان ٤/ ٣٦٥.

٢. سورة الأعراف / ١٣.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/ ٤٠.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/ ٤٠.

٥. التبيان ٤/ ٣٦٦.

﴿لَ﴾ الابتدائية أو للقسم.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ. وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿تَبِعَكَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. في محل جزم فعل

الشرط.

﴿مِنْهُمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بحال محذوف مِنْ ﴿مَنْ﴾ تقديره: حال كونه

﴿مِنْهُمْ﴾. «من» بيانيٌّ والضمير يعود إلى بني آدم.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب قسم محذوف.

﴿أَمْلَأَنَّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا» ونون التأكيد الثقيلة، جواب

القسم وسادة مسد جواب الشرط.

﴿جَهَنَّمَ﴾ مفعول به، ممنوع من الصرف للمعرفة والتأنيث.

﴿مِنْكُمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أَمْلَأَنَّ﴾. «من» تبعيضيٌّ ويفيد بعض ﴿مَنْ﴾

﴿تَبِعَكَ﴾ لا جميعهم، والضمير يعود إلى إبليس اللعين وَمَنْ تبعه مِنْ بني آدم وغلب

الخطاب على الغيبة لأنَّ الفرد الموجود من هذا العموم هو إبليس المخاطب في هذا

الكلام.

﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد معنوي لضمير ﴿كُمْ﴾، ولا تنافي «مِنْ» التبعيضية و ﴿أَجْمَعِينَ﴾

لأنَّ الأخير تأكيد للبعض، لأنَّ هذا البعض يدخلون ﴿جَهَنَّمَ﴾ ﴿أَجْمَعِينَ﴾ ولأنَّ «العرب

قد تجري العموم في مثل هذا على المجموع دون الجمع»^١.

رواية

موثقة ميسر قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: كيف أصحابك؟ فقلت:

جعلت فداك لنحن عندهم أشرُّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا،

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ٤٠.

قال: وكان متكئاً فاستوى جالساً، ثم قال: كيف قلت؟ قلت: والله لنحن عندهم أشرُّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا فقال: أما والله لا تدخل النار منكم إثنان لا والله ولا واحد، والله إنكم الذين قال الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ * أَخَذْنَا لَهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ * إِنَّ ذَلِكَ لَحَقُّ تَخَاصُمِ أَهْلِ النَّارِ﴾^١ ثم قال: طلبوكم والله في النار فما وجدوا منكم أحداً.^٢

﴿وَيَتَقَادِمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ

الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

حكاية خطاب الله تعالى لآدم النبي وأمره إياه أن يسكن الجنة هو وزوجته

حواء.

قد مرّ نظيرها في سورة البقرة الآية ٣٥ فراجعها.

وأقول إجمالاً:

﴿وَ﴾ عاطفة. عطف على قوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ في الآية السابقة.

﴿يَتَقَادِمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ﴾ الخطاب لآدم وألحق به زوجته في الحكم.

﴿الْجَنَّةِ﴾ والمراد بالجنة إحدى جنات الدنيا لا جنة الخلد.

﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ توسعة في إباحة التصرف إلا ما استثني، فالأمر

إرشادي.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ استثناء من الأمر الإرشادي فيكون نهيًا إرشاديًا.

١. سورة ص / (٦٤-٦٢).

٢. الكافي ١٥/١٩٥، ح ٣٢ (٧٨/٨).


وقد مرّ معنى الشجرة في سورة البقرة فلا نعيد.

﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ والمراد بالظلم هنا الظلم على النفس دون معصية الخالق لأن الأمر للإرشاد والنهي تابع له. وتفصيل الكلام في سورة البقرة فراجعها.

رواية

عن موسى بن محمد بن علي عن أخيه أبي الحسن الثالث عليه السلام، قال: الشجرة التي نهى الله آدم وزوجته ان يأكلا منها شجرة الحسد، عهد إليهما ان لا ينظرا إلى من فضّل الله عليه وعلى خلائقه بعين الحسد^١، ولم يجد الله له عزماً^٢.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا

نَهَيْتُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ 

بيان قصة اغواء إبليس آدم وحواء.

﴿فَ﴾ عطف على النهي الإرشادي الوارد في الآية السابقة ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ...﴾.

﴿وَسْوَسَ﴾ فعل ماضٍ. «الوسوسة: الكلام الخفي الذي لا يسمعه إلا المداني للمتكلّم»^٣. أو «الدعاء إلى أمر بضرب خفي كالمهمة والخشخشة»^٤. «وقد يكون المراد بها هنا ما يجده الإنسان في نفسه من الخواطر الضارة»^٥.

١. الحسد: أحد نقائص ومعايب بني آدم.

٢. تفسير العياشي ٢/١٣٨، ح ٨.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/٤٤٤.

٤. التبيان ٤/٣٦٨.

٥. التفسير الكاشف ٣/٣١١.

﴿هُمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿وَسَّوَسَ﴾. ﴿وَسَّوَسَ هُمَا﴾: أو همها.
 ﴿الشَّيْطَانُ﴾ فاعل ﴿وَسَّوَسَ﴾. والمراد به هنا «إبليس».
 ﴿لِ﴾ لام العاقبة.

﴿يُبْدِي﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد «لام» العاقبة وفاعله ضمير مستتر «هو» يعود إلى ﴿الشَّيْطَانُ﴾، «الإبداء: الإظهار، وهو جعل الشيء على صفة ما يصح أن يدرك، وضده الاخفاء وكل شيء أزيل عنه الساتر فقد أبدى»^١.
 ﴿هُمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُبْدِي﴾. ﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.
 ﴿وُورِي﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله «هو». ضمير مستتر.
 «المواراة: جعل الشيء وراء ما يستره ومثله المساترة وضده المكاشفة»^٢.

﴿عَنْهُمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿وُورِي﴾.
 ﴿مِنْ سَوَاءٍ تَهُمَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. السوءة: العورة «وكل ما قبح اظهاره سواء»^٣. متابعة إبليس يوجب اظهار المعاييب والنقائص في جميع الموارد.
 ﴿وَقَالَ﴾ معطوف على ﴿وَسَّوَسَ﴾. ﴿مَا﴾ نافية.
 ﴿نَهْنُكُمَا﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم. ﴿رَبُّكُمَا﴾ فاعل ومضاف إليه.
 ﴿عَنْ هَذِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نَهْنُكُمَا﴾. ﴿الشَّجَرَةَ﴾ بدل ﴿هَذِهِ﴾.
 ﴿إِلَّا﴾ حرف تحقيق بعد النفي، ﴿مَا﴾ و ﴿إِلَّا﴾ يفيد الحصر.
 ﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة. ﴿تَكُونَا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «ان» واسمه.
 ﴿مَلَكَيْنِ﴾ خبر ﴿تَكُونَا﴾. ﴿أَوْ﴾ عاطفة.
 ﴿تَكُونَا مِنْ الْخَلْدَيْنِ﴾ معطوفة على ﴿أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾.

١. التبيان ٤/٣٦٩.

٢. التبيان ٤/٣٦٩.

٣. التبيان ٤/٣٦٩.

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ﴿٢١﴾

تتمة القصة وفيها «أخبر الله تعالى في هذه الآية إن إبليس حلف، لأدم وحواء إنه لهما ناصح في دعائهما إلى تناول من الشجرة ولذلك تأكدت الشبهة عندهما، وظنا أن أحداً لا يقدم على اليمين بالله إلا صادقاً، فكان ذلك داعياً لهما إلى تناول الشجرة»^١.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿قَاسَمَهُمَا﴾ معطوف على ﴿وَسَوَّسَ﴾ و ﴿قَالَ﴾. فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يعود إلى ﴿الشَّيْطَانُ﴾ ومفعول به. أي أقسم لهما.
﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل تأكيد واسمه.

﴿لَكُمَا﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿النَّاصِحِينَ﴾. ﴿لَ﴾ المرحلقة، تأكيد.
﴿مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ من «بياني» جارٍ ومجرور متعلق بخبر ﴿إِنِّي﴾. ﴿الشَّيْطَانُ﴾ أظهر النصح لهما وأبطن الغدر وهذه هي وسوسة إبليس في إغوائه بني آدم.

الروايات

صحيححة ابن أبي عمير عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءً لَّهُمَا﴾^٢ قال: كانت سوءاتهما لا تبدو لهما، فبدت، يعني كانت داخلية.^٣
الرواية مرسله ببعض أصحابنا ونحوها مرسله مسعدة بن صدقة الآتية.

روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أخرج آدم من الجنة، نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم! أليس الله خلقك بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته وزوجك حواء أمته، وأسكنك الجنة، وأباحها لك، ونهاك مشافهة أن لا تأكل من هذه

١. التبيان / ٤ / ٣٧١.

٢. سورة الأعراف / ٢٢.

٣. تفسير القمي / ١ / ٣٣٣، ح ٤.

الشجرة، فأكلت منها وعصيت الله؟! فقال آدم ﷺ: يا جبرئيل! إن إبليس حلف لي بالله أنه لي ناصح! فما ظننت أن أحداً من خلق الله يحلف بالله كاذباً.^١

عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله ﷺ، رفعه إلى النبي ﷺ: أن موسى ﷺ سأل ربه أن يجمع بينه وبين أبيه آدم ﷺ حيث عرج إلى السماء في أمر الصلاة ففعل، فقال له موسى ﷺ: يا آدم، أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأباح لك جنّته، وأسكنك جواره، وكلمك قبلاً ثمّ هناك عن شجرة واحدة فلم تصبر عنها حتى اهبطت إلى الأرض بسببها فلم تستطع ان تضبط نفسك عنها حتى أغراك إبليس فأطعته؟ فأنت الذي أخرجتنا من الجنة بمعصيتك؟

فقال له آدم: ارفق بابيك - أي بُني - محنة ما لقي في أمر هذه الشجرة، يا بُني إن عدوي أتاني من وجه المكر والحديعة، فحلف لي بالله أنه في مشورته عليّ لمن الناصحين، وذلك أنه قال لي مُستنصِحاً: أيّ لشأنك يا آدم لمغموم؟ قلت: وكيف؟ قال: قد كنتُ أنستُ بك وبقربك مني وأنت تُخرج مما أنت فيه إلى ما ستكرهه. فقلت له: وما الحيلة؟ فقال إن الحيلة هو ذا هو معك، أفلا أدلك على شجرة الخلد ومُلك لا يبلى؟ فكُلا منها أنت وزوجك فتصيرا معي في الجنة أبداً من الخالدين، وحلف لي بالله كاذباً أنه لمن الناصحين، ولم أظنّ - يا موسى - أن أحداً يحلف بالله كاذباً، فوثقتُ بيمينه، فهذا عُذري، فأخبرني يا بُني هل تجد فيما أنزل الله إليك أن خطيئتي كائنة من قبل ان أخلق؟ قال له موسى: بدهرٍ طويل.

قال رسول الله ﷺ: فحجّ آدم موسى، قال ذلك ثلاثاً.^٢

١. تفسير القمي ١/٣٣٣، ح ٣.

٢. تفسير العياشي ٢/١٣٨، ح ١٠.

﴿فَدَلَّنُهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا مَخَصَصَانِ
عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ

لَكُمْ إِنَّا الشَّيْطَانُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

تمتة قصة اغواء إبليس آدم وحواء.

﴿فَ﴾ تفریع على جملة: ﴿فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾^١.

﴿دَلَّنُهُمَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. ﴿دَلَّنُهُمَا﴾: استنزلهما وحطهما، استعارة «حال من يطلب شيئاً في مظنته فلا يجده بحال من يُدَلِّي دَلَّوهُ أَوْ رَجَلِيهِ فِي الْبَثْرِ لَيْسْتَقِي مِنْ مَائِهَا فَلَا يَجِدُ فِيهَا مَاءً» فيقال: دَلَّى فلان^٢.

﴿بِ﴾ للملابسة أي ﴿دَلَّنُهُمَا﴾ ملابساً للغرور واستيلائه.

﴿غُرُورٍ﴾ «الغرور: إظهار النصح مع إبطان الغش»^٣، الخداع بالباطل.

﴿فَ﴾ حرف عطف للترتيب.

﴿لَمَّا﴾ اسم شرط غير جازم بمعنى «حين» متعلق بالجواب والجملة بعدها في

محل جر لوقوعها بعد الظرف.

﴿ذَاقَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. فعل الشرط. الذوق: إدراك طعم المأكول أو

المشروب باللسان ويحصل عند ابتدائها.

﴿الشَّجَرَةَ﴾ مفعول به. وقد مرَّ المراد بها في سورة البقرة الآية ٣٥.

﴿بَدَتْ﴾ فعل ماضٍ، جواب الشرط. ﴿بَدَتْ﴾: ظهرت.

﴿هُمَا﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿بَدَتْ﴾.

١. سورة الأعراف / ٢٠.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٤٧/٨.

٣. التبيان ٤/٣٧٢.

﴿سَوَاءٌ لَّهُمَا﴾ فاعل ومضاف إليه. ﴿سَوَاءٌ لَّهُمَا﴾: معانيهما ونقائصهما وعوراتهما.
﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿طَفِقًا﴾ معطوف على ﴿ذَاقًا﴾، ﴿طَفِقًا﴾ شَرَعًا وَأَخْذًا و«قد يكون ذلك بأول الفعل وقد يكون بالقصد إلى الفعل»^١. والفعل من اخوات كان والضمير اسمه.
﴿تَخَصَّفَانِ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿طَفِقًا﴾. ﴿تَخَصَّفَانِ﴾: جعلًا يلصقان ويقطعان ورقة على ورقة، الخصف: الضم والجمع ومنه خصف النعل.
﴿عَلَيْهِمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تَخَصَّفَانِ﴾. والضمير يعود إلى ﴿سَوَاءٌ لَّهُمَا﴾.
﴿مِنْ﴾ بيانية لمفعول محذوف تقديره: ﴿تَخَصَّفَانِ﴾ خِصْفًا ﴿مِنْ﴾.
﴿وَرَقِي﴾ مجرور بـ﴿مِنْ﴾. ﴿الْجَنَّةِ﴾ مضاف إليه.

وحاصل المعنى إلى هنا: حين ﴿ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ ظهرت لكل واحد منهما نقائصه ومعايبه ونقائص ومعايب صاحبه فخجلا وشعرا بالحاجة إلى سترها فشرعا يجمعان ﴿مِنْ وَرَقِي الْجَنَّةِ﴾ لاستتار النقائص والمعايب.
﴿وَ﴾ عطف على جواب ﴿لَمَّا﴾ وهو ﴿بَدَتْ﴾.

﴿نَادَيْتُهُمَا﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم. النداء: أصله ارتفاع الصوت ومجاز في طلب الاقبال. وفيه «دلالة على أنهما عند توجه هذا الخطاب كانا في مقام البعد من ربهما لأنَّ النداء هو الدعاء من بعد، وكذا من الشجرة بدليل قوله: ﴿تَلَكُّمَا الشَّجَرَةَ﴾ بخلاف قوله عند أول ورودهما الجنة: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^٢٣.
﴿رَبُّهُمَا﴾ فاعل مؤخر ومضاف إليه.

﴿أَ﴾ استفهام للتقرير والتوبيخ. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

١. التبيان ٤/ ٣٧٢.

٢. سورة الأعراف / ١٩.

٣. الميزان ٨/ ٣٥.

﴿أَنْهَكُمَا﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا» ومفعول به.
﴿عَنْ تِلْكَمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَنْهَكُمَا﴾. ﴿تِلْكَمَا﴾: مركبة من «تي» اسم
إشارة للمفردة المؤنثة مبني على السكون واطراف إليه لام البعد بعد حرف الياء منه
والضمير التثنية للمخاطب.
﴿الشَّجَرَةَ﴾ بدل من ﴿تِلْكَمَا﴾.
﴿وَأَقْلَ لَكُمْ﴾ معطوف على ﴿أَنْهَكُمَا﴾، وما بعدها مقول القول ومبالغة في
التوبيخ.

﴿إِنَّ﴾ تأكيد. ﴿الشَّيْطَانَ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.
﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿إِنَّ﴾.
﴿عَدُوٌّ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿مُبِينٌ﴾ نعت بـ﴿عَدُوٌّ﴾.

رواية

عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله الله: ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰهُمَا﴾ قال:
كانت سَوَاتِمَهُمَا لا تبدو لهما فَبَدَتْ، يعني كانت من داخل. ١
أي المعاييب والنقائص برزت وظهرت من الداخل وقد مرت الرواية ذيل الآية السابقة من
تفسير القمي.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

«حكاية عما قال آدم وحواء عليهما السلام لما عاتبهما الله ووبخهما على ارتكابهما ما نهاهما
عنه، وإخبار عن اعترافهما على أنفسهما» ٢.

١. تفسير العياشي ٢/ ١٤٠، ح ١٢.

٢. التبيان ٤/ ٣٧٤.

﴿قَالَ﴾ حكاية مقالة آدم وحواء عليهما السلام بعد اغواء إبليس لهما.
﴿رَبَّنَا﴾ منادى ومضاف إليه. اعتراف بالربوبية فراراً من البُعد الحاصل من متابعة الشيطان.

﴿ظَالِمًا﴾ فعل ماض وفاعله. والمراد بالظلم هنا الظلم بالنفس كما يأتي. و«الظالم اسم ذم في أكثر التعارف، وظلم قد يستعمل في غير المستحق للعقاب والدم»^١.
﴿أَنْفُسَنَا﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿وَ﴾ استثنائية.
﴿إِنْ﴾ شرطية. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.
﴿تَغْفِرْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَمْ﴾ وفاعله ضمير مستتر «أنت»، فعل الشرط.
﴿لَنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿لَمْ تَغْفِرْ﴾.
﴿وَتَرَحَّمْنَا﴾ معطوف على ﴿لَمْ تَغْفِرْ﴾ والضمير المتصل مفعول به.
﴿لَا﴾ لام القسم، تأكيد.

﴿نَكُونَنَّ﴾ فعل مضارع ناقص ونون التأكيد الثقيلة واسمه ضمير مستتر «نحن». جواب الشرط.

﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿لَنَكُونَنَّ﴾.
هذه المقالة «نهاية التذلل والابتهال، ولذلك لم يسألاً شيئاً وإنما ذكرا حاجتهما إلى المغفرة والرحمة وتهديد الخسران الدائم المطلق لهما حتى يشاء الله ما يشاء»^٢.

رواية

عن عبدالله بن سنان قال: سئل أبو عبدالله عليه السلام - وأنا حاضرٌ - كم لبث آدم وزوجه في الجنة حتى أخرجتهما منها خطيئتهما؟
فقال: إن الله تبارك وتعالى نفخ في آدم رُوحه بعد زوال الشمس من يوم

١. التبيان ٤/ ٣٧٤.

٢. الميزان ٨/ ٣٥.

الجمعة، ثم برأ زوجته من أسفل أضلاعه، ثم أسجد له ملائكته، وأسكنه جنته من يومه ذلك، فوالله ما استقرّ فيها إلا ستّ ساعات في يومه ذلك حتى عصى الله، فأخرجهما الله منها بعد غروب الشمس، وماباتا فيها وصيّراً بفناء الجنة حتى أصبحا، ف﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَ بُهْمًا﴾، ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ؟﴾ فاستحيا آدم من ربه وخضع، وقال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ واعترفنا بذنوبنا فاغفر لنا، قال الله لهما: اهبطا من سماواتي إلى الأرض، فإنه لا يجاورني في جنتي عاص، ولا في سماواتي. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: ان آدم لما أكل من الشجرة ذكر أنه ما نهاه الله عنها فنديم فذهب ليتنحى من الشجرة فأخذت الشجرة برأسه فجرته إليها، وقالت له: أفلا كان فرارك من قبل أن تأكل مني؟^٢

﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾

خطاب من الله ﷻ لآدم وحواء عليهما السلام وإبليس اللعين.

﴿قَالَ﴾ حكاية مقالة الرب.

﴿أَهْبِطُوا﴾ فعل أمر وفاعله. أمر تكويني بالهبوط وهو النزول بسرعة، خطاب لآدم وحواء وإبليس «في أوقات متفرقة لأن إبليس أمر بالهبوط حين امتنع من السجود وادم وحواء حين أكلا من الشجرة»^٣.

﴿بَعْضُكُمْ﴾ في موضع الحال من الضمير الفاعلي في ﴿أَهْبِطُوا﴾، ﴿بَعْضٍ﴾ مبتدأ و﴿عَدُوٌّ﴾ خبره. والمراد بـ﴿بَعْضُكُمْ﴾ إبليس وقبيله. كما قال الله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ

١. سورة الأعراف / ٢٢.

٢. تفسير العياشي ٢/ ١٣٩، ح ١١.

٣. التبيان ٤/ ٣٧٥.

مُبين^١ ١.

﴿لِبَعْضٍ﴾ جار ومجرور متعلق بالخبر. والمراد به آدم وحواء وذريتهما.

﴿عَدُوٌّ﴾ خبر مبتدأ ﴿بَعْضُكُمْ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على جملة ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور خبر مقدم.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾.

﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ مبتدأ مؤخر. مصدر ميمي والاستقرار هو المكث.

﴿وَمَتَّعٌ﴾ معطوف على ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾. «يطلق المتاع على ما يُتمتع به ويتنفع به من

الأشياء»^٢.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مَتَّعٌ﴾ «الحين: الوقت، قصيراً كان أو

طويلاً»^٣ أي إلى آخر الحياة.

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾

قضاء من الله يحكم على آدم وبنيه بالتعایش على الكرة الأرضية.

﴿قَالَ﴾ حُكْمٌ من الله تعالى على بني آدم.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَحْيَوْنَ﴾. والضمير عائد إلى ﴿الْأَرْضِ﴾^٤.

﴿تَحْيَوْنَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي تعيشون في الأرض.

١. سورة الأعراف / ٢٢.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ٥٤.

٣. التبيان ٤ / ٣٧٦.

٤. سورة الأعراف / ٢٤.

﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ معطوف على ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾.

﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ معطوف على ﴿فِيهَا تَمُوتُونَ﴾. وفعل المضارع مبني للمجهول، والخراج للبعث والنشور والمعاد. وفي ﴿مِنْهَا﴾ اياء إلى أن الجنة والنار ليستا على الكرة الأرضية. لأنه تعالى لم يقل و ﴿فِيهَا﴾ بل قال و ﴿مِنْهَا﴾ الدالة على بداية السير في العالم الآخرة والمعاد.

﴿يَبْنِيْٓءَ اٰدَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلٰىكُمْ لِبَاسًا يُوَارِيْ سَوْءَ تِكْمٍ وَّرِيْشًا ط وَّلِبَاسُ التَّقْوٰى



ذٰلِكَ حَيْرٌ ذٰلِكَ مِنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ﴾

«هذه الآية خطاب من الله تعالى لأهل كل زمان من المكلفين على ما يصح ويجوز من وصول ذلك إليهم، كما يوصي الإنسان لولده وولد ولده - وان نزلوا - بتقوى الله وإيثار طاعته، ويجوز خطاب المعلوم بمعنى أن يراد بالخطاب إذا كان المعلوم أنه سيوجد وتتكامل فيه شروط التكليف، ولا يجوز أن يراد من لا يوجد لأن ذلك عبث لا فائدة فيه»^١.

والآية بصدد ما انعم الله به على عباده من اللباس على اختلاف أنواعه من اللباس الجسد واللباس الدين والتقوى.

﴿يٰٓاٰدَمُ﴾ أداة نداء.

﴿بَنِيْٓءَ اٰدَمَ﴾ منادى ومضاف إليه. انتقال خطاب من آدم وزوجته إلى ذريتهما ونسلهما. وهذه أول الخطابات المصدرة بـ ﴿بَنِيْٓءَ اٰدَمَ﴾ ويأتي من بعدها اثنان آخران في آيتي الآتية والواحدة والثلاثين. من هذه السورة.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. ﴿أَنْزَلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلْنَا﴾، والضمير يعود إلى ﴿بَنِي آدَمَ﴾.

﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾: أعطيناكم أو خلقنا لكم.

﴿لِبَاسًا﴾ مفعول به مصدر «اللباس اسم لما يلبسه الإنسان أي يستتر به جزءاً من

جسده... ومصدر لَبَسَ اللُّبْسَ - بضم اللام -^١.

«واللباس كل ما يصلح للباس من ثوب أو غيره من نحو الدرع، وما يغشى به

البيت من نَطَع^٢ أو كسوة^٣».

وقد اطلق في القرآن الكريم اللباس على أمور:

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾^٤.

و ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾^٥.

و ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^٦.

و ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ^٧ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ

لَهُنَّ﴾^٧.

﴿يُورَى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿سَوَاءٌ تَكُمُ﴾ مفعول به ومضاف إليه. وقد مر معناه في الآية ٢٢.

﴿وَ﴾ عاطفة.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥٨/٨.

٢. پوست حيوان مفروش.

٣. التبيان ٤/٣٧٨.

٤. سورة الأنبياء / ٨٠.

٥. سورة النبأ / ١٠ و ١١.

٦. سورة النحل / ١١٢.

٧. سورة البقرة / ١٨٧.

﴿رِيثًا﴾ معطوف على ﴿لِبَاسًا﴾. الريش: «ما كان فاخرًا من اللباس والأثاث»^١، و «ما فيه الجمال»^٢. ولباس الزينة.

﴿وَ﴾ عاطفة، من عطف الجملة على الجملة.

﴿لِبَاسُ التَّقْوَى﴾ مبتدأ أول ومضاف إليه، «أطلق اللباس على ﴿التَّقْوَى﴾ لآثارها تقي صاحبها من عذاب الله كما يقي اللباس من الحر والبرد»^٣.

﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ ثان.

﴿خَيْرٌ﴾ خبر وجملة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ خبر المبتدأ الأول.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ، يعود إلى ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾.

﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، خبر.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. والضمير عائد إلى ﴿بَنِي آدَمَ﴾.

﴿يَذَكَّرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿لَعَلَّهُمْ﴾. أي «لكي يتفكروا فيها

ويؤمنوا بالله وبرسوله»^٤.

وبالجملة: «اللباس الذي اهتدى إليه الإنسان ليرفع به حاجته إلى موارد سواته التي يسوؤه ظهورها آية إلهية إن تأمله الإنسان وتبصر به تذكر أن له سوات باطنية تسوؤه إن ظهرت وهي رذائل النفس، وسترها عليه أوجب وألزم من ستر السوات الظاهرية بلباس الظاهر واللباس الذي يسترها ويرفع حاجة الإنسان الضرورية هو لباس التقوى الذي أمر الله به وبينه بلسان أنبيائه»^٥.

١. التفسير الكاشف ٣/ ٣١٥.

٢. التبيان ٤/ ٣٧٨.

٣. التفسير الكاشف ٣/ ٣١٦.

٤. التبيان ٤/ ٣٧٩.

٥. الميزان ٨/ ٧٠.

روايتان

في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِيْشًا﴾ فأما اللباس فالثياب التي يلبسون. وأما الرياش فالمتاع والمال، وأما لباس التقوى فالعفاف، لأن العفيف لا تبدو له عورة، وإن كان عارياً من الثياب، والفاجر بادي العورة وإن كان كاسياً من الثياب، يقول الله: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ يقول: العفاف خير.^١
عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام عن قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ ءَادَمَ﴾ قال: هي عامة.^٢

﴿يَبْنِيْ ءَادَمَ لَا يَفْتَنَنَّكُمْ الشَّيْطٰنُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهِمَا إِنَّهُ يَرِنَكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا

جَعَلْنَا الشَّيْطٰنَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

استنتاج من نقل قصة إبليس اللعين وآدم عليهما السلام لذرية آدم وتحذير لبي آدم من متابعته ومن ثم انكشاف سوءاتهم بنزع لباس التقوى الذي يلبسونه بفطرتهم الطاهرة وعقولهم الباطنة.

﴿يٰٓأٰدَمُ اٰدَاةَ النَّدَاةِ﴾

﴿بَنِيْ ءَادَمَ﴾ منادى ومضاف إليه، تكرار النداء لأجل التوجه التام والتنبيه عليه.

﴿لَا يَفْتَنَنَّكُمْ﴾ فعل نهي ونون التأكيد الثقيلة ومفعول به مقدم، والضمير

١. تفسير القمي ١/ ٣٣٤، ح ٥.

٢. تفسير العياشي ٢/ ١٤٠، ح ١٣.

عائد إلى ﴿بَنِي آدَمَ﴾. الفتنة: الاختبار والابتلاء.
 ﴿الشَّيْطَانُ﴾ فاعل. «افتنان ﴿الشَّيْطَانُ﴾ يكون بالدعاء إلى المعاصي من الجهة
 التي تميل إليها النفوس وما تشتهي»^١.
 ﴿كَ﴾ حرف جر للتشبيه بمعنى مثل.
 ﴿مَا﴾ مصدرية، جار ومجرور في موضع الصفة لمصدر محذوف هو مفعول
 مطلق لـ ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمْ﴾ تقديره: فتنة كإخراجه.
 ﴿أَخْرَجَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى ﴿الشَّيْطَانُ﴾. نسب
 الإخراج إلى ﴿الشَّيْطَانُ﴾ لما كان بإغوائه.
 ﴿أَبْوَيْكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. الأبوان: تثنية الأب والمراد بها الأب والأم
 على التغليب وإطلاق الأب على الجدّ شائع كقوله ﷺ: أنا ابن عبدالمطلب.^٢
 ﴿مِنَ الْجَنَّةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَخْرَجَ﴾. وقد مرّ المراد بـ ﴿الْجَنَّةِ﴾، «يعني
 أغوى ﴿أَبْوَيْكُمْ﴾ آدم وحواء حتّى خرجا ﴿مِنَ الْجَنَّةِ﴾»^٣.
 ﴿يَنْزَعُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى ﴿الشَّيْطَانُ﴾. حال من
 ﴿الشَّيْطَانُ﴾. «النزع: قلع الشيء من موضعه الذي هو ملابس له»^٤. تقديره: نازعاً،
 والتعبير بالفعل المضارع يدلّ على استمرار عمل ﴿الشَّيْطَانُ﴾.
 ﴿عَنْهُمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَنْزَعُ﴾.
 ﴿لِبَاسَهُمَا﴾ مفعول به ومضاف إليه. والمراد به ﴿لِبَاسُ التَّقْوَى﴾^٥ الساتر لجميع

١. التبيان / ٤ / ٣٨٠.

٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢ / ٣٤، للعيني، طبعة دارالكتب العلمية، ١٤٢١ق، بيروت.

٣. التبيان / ٤ / ٣٨٠.

٤. التبيان / ٤ / ٣٨٠.

٥. سورة الأعراف / ٢٦.

المعائب والنقائص.

﴿لِ﴾ حرف جر للتعليل.

﴿يُرِيهُمَا﴾ فعل مضارع منصوب بـ«أن» مضمرة وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به أول.

﴿سَوَاءٌ تَهْمًا﴾ مفعول به ثان ومضاف إليه. تقديره: نازعاً ﴿عَنْهَا لِبَاسَهُمَا﴾ لكي تبدو ﴿سَوَاءٌ تَهْمًا﴾ فيريها ويراهما غيرهما.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، الضمير يعود إلى ﴿الشَّيْطَانُ﴾ تأكيد للنهي.

﴿يَرِنُكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، خبر ﴿إِنَّهُ﴾.

﴿هُوَ﴾ تأكيد للضمير المستتر «هو» في ﴿يَرِنُكُمْ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿قَبِيلُهُ﴾ معطوف على ﴿هُوَ﴾ ومضاف إليه. القبيل: الجماعة كالقبيلة. وهم

أنصاره.

﴿مِنْ حَيْثُ﴾ حرف جر ومجروره محلاً متعلق بـ﴿يَرِنُكُمْ﴾. ﴿حَيْثُ﴾ مبني على

الضم.

﴿لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ فعل نفي وفاعله ومفعول به. «بيان لدقة مسلكه وخفاء سره دقة

لا يميزه حس الإنسان وخفاء لا يقع عليه شعوره فإنه لا يرى إلا نفسه من غير أن يشعر أن وراءه من يأمر بالشر ويهديه إلى الشقوة»^١.

﴿إِنَّا﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. تأكيد آخر للنهي.

﴿جَعَلْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. خبر ﴿إِنَّا﴾. ﴿الشَّيْطَانِ﴾ مفعول به أول.

﴿أَوْلِيَاءَ﴾ مفعول به ثان، أو حال من ﴿الشَّيْطَانِ﴾.

﴿لِلَّذِينَ﴾ جار ومجرور، محلاً متعلق بصفة محذوفة من ﴿أَوْلِيَاءَ﴾.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فعل نفي وفاعله.

وليست ولاية الشياطين «وتصرفهم في الإنسان إلا ولاية الفتنة والغرور فإذا افتتن واغتر بهم تصرفوا بها شاؤوا وكما أرادوا كما قال تعالى مخاطباً لإبليس: ﴿وَأَسْتَفْزِرْ مَنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ^١ وَمَا يَعْدهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ^٢ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا^٣﴾، وقال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ^٤﴾، وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ^٥﴾.

ومن الآيات بانضمامها إلى آيتنا المبحوث عنها يظهر أن لا ولاية لهم على المؤمنين وإن مسهم طائف منهم أحياناً، وأن لا سلطان له على المتوكلين من المؤمنين وهم الذي عدّهم الله عبداً له بقوله: ﴿عِبَادِي﴾ فلا ولاية له إلا على الذين ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٤.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ أَلَّهَ لَا

يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ^ط اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ بِالْفَحْشَاءِ الشَّنِيعَةَ مِنْ أفعال بني آدم، فذكر إتيان المشركين بالفحشاء واستنادهم في ذلك إلى عمل آبائهم وأمر الله سبحانه بها فأمر رسوله ﷺ أن يرد عليهم بأن الله لا يأمر بالفحشاء، ويذكرهم أن ذلك من القول على الله بغير علم والافتراء عليه﴾^٥.

١. سورة الإسراء / ٦٤ و ٦٥.

٢. سورة النحل / ٩٩.

٣. سورة الحجر / ٤٢.

٤. الميزان / ٨ / ٧١.

٥. الميزان / ٨ / ٧٢.

﴿وَ﴾ عطفت مابعدھا على قوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^١.
 ﴿إِذَا﴾ ظرف زمان، متضمن معنى الشرط، متعلق بجوابه.
 ﴿فَعَلُوا﴾ فعل ماض وفاعله. فعل الشرط. والضمير الفاعلي عائد إلى المشركين
 الذين كانوا يبدون سواتهم في طوافهم ويفعلون غيرها من الرذائل.
 ﴿فَنَحِشَتْ﴾ مفعول به. الفاحشة: المعصية الكبيرة وما عظم قبحه.
 ﴿قَالُوا﴾ جواب الشرط. استدلوا على أفعالهم الرذيلة وأعمالهم الخبيثة بأمرين
 واستندوا إليهما:

﴿وَجَدْنَا﴾ فعل ماض وفاعله.
 ﴿عَلَيْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿وَجَدْنَا﴾، والضمير عائد إلى ﴿فَنَحِشَتْ﴾.
 ﴿ءَابَاءَنَا﴾ مفعول به ومضاف إليه. الدليل الأول على الأفعال الفواحش هو
 فعل آبائهم وقد ردّ الله عليه بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا
 يَهْتَدُونَ﴾^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة، وما بعدها الدليل الثاني عليها. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.
 ﴿أَمَرْنَا﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. خبر.
 ﴿بِهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَمَرْنَا﴾. الدليل الثاني: هو ادعائهم أنّ الله يأمرهم
 بالفواحش.

﴿قُلْ﴾ خطاباً للرسول الأعظم ﷺ في جواب الدليل الثاني للمشركين.
 ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.
 ﴿لَا يَأْمُرُ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر «هو».
 ﴿بِالْفَحْشَاءِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿لَا يَأْمُرُ﴾. ﴿الْفَحْشَاءِ﴾: «اسم جامع

١. سورة الأعراف / ٢٧.

٢. سورة البقرة / ١٧٠.

للقبائح والسيئات»^١.

﴿أَ﴾ استفهام توبيخي. ﴿تَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَقُولُونَ﴾. ﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله.

الروايات

خبر محمد بن منصور قال: سألته عن قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ أَلَّاهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال فقال: هل رأيت أحداً زعم أن الله أمر بالزنا وشرب الخمر أو شيء من هذه المحارم؟ فقلت: لا، فقال: ما هذه الفاحشة التي يدعون أن الله أمرهم بها قلت: الله أعلم ووليّه، قال: فإنّ هذا في أئمة الجور، ادّعوا أن الله أمرهم بالانتهاج بقوم لم يأمرهم الله بالانتهاج بهم، فردّ الله ذلك عليهم فأخبر أنهم قد قالوا عليه الكذب وسمّى ذلك منهم فاحشة.^٢

رواه الصفار بسند صحيح في بصائر الدرجات^٣ والعياشي في تفسيره^٤ عن عبد صالح رضي الله عنه والنعمان في الغيبة^٥.


حسنة أبي بصير عن أبي عبد الله رضي الله عنه قال: من زعم أن الله يأمر بالفحشاء فقد كذب على الله ومن زعم أن الخير والشرّ إليه فقد كذب على الله.^٦

١. مجمع البيان ٤/٤١٠، ذيل آية ٢٩.
٢. الكافي ٢/٢٥٦، ح ٩ (١/٣٧٣).
٣. بصائر الدرجات ١/٨٠، ح ٤.
٤. تفسير العياشي ٢/١٤٠، ح ١٥.
٥. الغيبة ١٣٠/١٠، ح ١٠.
٦. الكافي ١/٣٨١، ح ٢ (١/١٥٦).

رواها العياشي في تفسيره^١. والقسم الأول «من زعم أن الله يأمر بالفحشاء» رد على القائلين بالجبر والقسم الثاني «ومن زعم أن الخير والشر إليه» رد على المفوضة والضمير في «إليه» يعود إلى فاعل الخير والشر.

عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام من زعم أن الله أمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أن الخير والشر بغير مشيئة منه فقد أخرج الله من سلطانه، ومن زعم أن المعاصي عملت بغير قوة الله فقد كذب على الله، ومن كذب على الله أدخله الله النار.^٢

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ 

بعد أن ينفي تعلق أمر الله بالفحشاء في الآية السابقة: ﴿قُلْ إِنْ أَلَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ قابله بما أمر الله به وهو القسط. ﴿قُلْ﴾ خطاباً للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم. ﴿أَمَرَ﴾ فعل ماضٍ. والأمر تشريعي. ﴿رَبِّي﴾ فاعل ومضاف إليه. في إضافة الرب إلى الضمير الذي يعود إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تنزيه له صلى الله عليه وآله وسلم وفخر.

﴿بِالْقِسْطِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَمَرَ﴾. القسط: «وهو العدل - في قول مجاهد والسدي وأكثر المفسرين - وأصله العدول، فإذا كان إلى جهة الحق، فهو عدل. ومنه قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^٣. وإذا كان إلى جهة الباطل، فهو جور، ومنه قوله ﴿وَأَمَّا

١. تفسير العياشي ٢/١٤١، ح ١٦.

٢. تفسير العياشي ٢/١٤٠، ح ١٤.

٣. سور: المائدة / ٤٢، الحجرات / ٩، الممتحنة / ٨.

أَلْقَسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿٢١﴾.

القسط: النصيب بالعدل كالسهام المفروضة في الإرث وغير المفروضة في غيره والمراد بالعدل هنا معناه الأعم «أي الفعل الوسط بين الإفراط والتفريط في الأشياء وهو الفضيلة مِنْ كُلِّ فَعْلٍ»^٣. و «اسم جامع لجميع الخيرات»^٤. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَقِيمُوا﴾ معطوف على ﴿أَمَرَ﴾ لأنَّ معناه ﴿أَقِسطُوا﴾^٥. ﴿أَقِيمُوا﴾: اشتغلوا بالعبادة وانقطعوا عن غيرها.

﴿وَجُوهَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. يعني أقام كل شخص وجهه. «الوجه: هو ما يتوجه به إلى الشيء وهو في حال تمام النفس الإنسانية واقامتها عندها إيجاد القيام بالأمر لها أي إيفاؤه والإتيان به كما ينبغي تاماً غير ناقص فيؤول معنى إقامة الوجه عند العبادة إلى الاشتغال بالعبادة والانقطاع عن غيرها»^٦. ﴿عِنْدَ﴾ ظرف مكان متعلِّق بـ ﴿أَقِيمُوا﴾.

﴿كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. المسجد: اسم لمكان السجود وزمانه وكثر استعماله في محلِّ عبادة المسلمين والآية يشمل الجميع يعني أقيموا عبادة ربكم في مكان سجدكم وزمانه وكل مسجد دخل عليك وقت الصلاة. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَدْعُوهُ﴾ معطوف على ﴿أَقِيمُوا﴾. والضمير المفعولي عائد إلى ﴿رَبِّي﴾. أمر

١. سورة الجن / ١٥.

٢. التبيان / ٤ / ٣٨٣.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور / ٨ / ٦٧.

٤. مجمع البيان / ٤ / ٤١٠.

٥. سورة الحجرات / ٩.

٦. الميزان / ٨ / ٧٣.

بالدعاء والتضرع والعبادة.

﴿مُخْلِصِينَ﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿أَدْعُوهُ﴾. أي في حال الإخلاص وهو «تمحيض الشيء من مخالطة غيره»^١ «وأصل الإخلاص إخراج كل شائب من الخبث»^٢.

﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿مُخْلِصِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ مفعول به لاسم الفاعل ﴿مُخْلِصِينَ﴾. «الذين بمعنى الطاعة من قولهم ذنبتُ لفلان أي أطعته»^٣.

﴿كَ﴾ اسم بمعنى «مثل» صفة لمحذوف أي ﴿تَعُودُونَ﴾ عوداً جديداً مثل بدئكم. ﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿بَدَأْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى ﴿رَبِّي﴾ ومفعول به. والضمير الخطاب عائد إلى المشركين الكافرين للحشر والنشر. البدأ: فعل الشيء أول مرة.

﴿تَعُودُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والعود: فعل الشيء ثاني مرة. أي ﴿تَعُودُونَ﴾ في يوم القيامة.

الروايات

عن أبي بصير عن أحدهما في قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال: هو إلى القبلة.^٤

عن الحسين بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦٨/٨.

٢. التبيان ٣٨٤/٤.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٦٩/٨.

٤. تفسير العياشي ١٤١/٢، ح ١٧.

كُلِّ مَسْجِدٍ ﴿١﴾ قال: يعني الأئمة.

عن زرارة وجران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام عن قوله: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال: مساجد محدثة، فأمرُوا أن يُقيموا وجوههم شطر المسجد الحرام.

أبو بصير عن أحدهما عليهما السلام ، قال: هو إلى القبلة ليس فيها عبادة الأوثان خالصاً مخلصاً.

صحيحة أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. قال: هذه القبلة أيضاً.

خبر محمد بن علي الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. قال: مساجد محدثة فامروا أن يقيموا وجوههم شطر المسجد الحرام.

الرواية معتبرة الاسناد على القول باعتبار أبي جميلة مفضل بن صالح وإلا ضعيف.

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: يحشرون عراة حفاة غرلاً، كما بدأنا أول خلق نعيده، وعداً علينا إنا كنا فاعلين.

الغرل: جمع الأغرل وهو الأكلف بالفارسية: ختنه نشده.

١. تفسير العياشي ٢/١٤١، ح ١٨.

٢. تفسير العياشي ٢/١٤١، ح ١٩.

٣. تفسير العياشي ٢/١٤١، ح ٢٠.

٤. التهذيب ٢/٤٣، ح ٢.

٥. التهذيب ٢/٤٣، ح ٤.

٦. التبيان ٤/٣٨٤؛ مجمع البيان ٤/٤١١.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ وَحَسَبُوا أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٢٠﴾

اشارة إلى انّ الناس كما يكونون في الدنيا على الفريقين هدى وضلالة وكذلك في الآخرة على الفريقين، وأهل الهدى هم أهل الجنة في الآخرة وأهل الضلالة هم أهل النار فيها. أعاذنا الله منها.

﴿فَرِيقًا﴾ مفعول به مقدم ﴿هَدَىٰ﴾ أو حال من الضمير الفاعلي في ﴿تَعُوذُونَ﴾^١ أي ترجعون إلى الله فريقين كما كنتم في البدأ فريقين. الفريق: جماعة انفصلت من جماعة وفيه إشعار بالمباينة.

﴿هَدَىٰ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» والضمير عائد إلى ﴿رَبِّي﴾^٢. في موضع الصفة لـ ﴿فَرِيقًا﴾ ومعناه الله يهدي ﴿فَرِيقًا﴾ بالهداية العامة أو الخاصة أو الأخص ولكنهم يريدون الهدى ويسلكون سبيلها على اختيارهم من دون إكراه وإخبار.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿فَرِيقًا﴾ معطوف على ﴿فَرِيقًا﴾ الأوّل للتقابل.
﴿حَقَّ﴾ فعل ماض أي ثبت. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿حَقَّ﴾.
﴿الضَّلَالَةُ﴾ فاعل. لأنهم يريدونها ويذهبون في مسيرتها على اختيارهم من دون اجبار واکراه. وجملة ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ صفة ﴿فَرِيقًا﴾.

﴿إِنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، تعليل للفريق الثاني.
﴿اتَّخَذُوا﴾ فعل ماض وفاعله. والاتخاذ دال على سوء الاختيار وعدم الاجبار.

١. سورة الأعراف / ٢٩.

٢. سورة الأعراف / ٢٩.

- ﴿الشَّيْطِينَ﴾ مفعول به أوّل.
 ﴿أُولِيَاءَ﴾ مفعول به ثانٍ. وجملة ﴿اتَّخَذُوا الشَّيْطِينَ أُولِيَاءَ﴾ خبر ﴿إِنَّهُمْ﴾.
 ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بصفة محذوفة من ﴿أُولِيَاءَ﴾.
 ﴿وَ﴾ حالية أو عاطفة عطفت مابعداها على ﴿اتَّخَذُوا﴾.
 ﴿تَحْسَبُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الحسبان والظن واحد.
 ﴿أَنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. تأكيد. ﴿مُهْتَدُونَ﴾ خبر ﴿أَنَّهُمْ﴾.

رواية

خبر أبي إسحاق الليثي عن الباقر عليه السلام في ذيل الآية الشريفة: ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطِينَ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني أئمة الجور دون أئمة الحق ﴿وَتَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^١.

﴿يَبْنِي ۖ آدَمَ خُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾

أمر الله بني آدم بالتزّين ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ وبالأكل والشرب على حسب احتياجهم الجسدي ونهاهم عن الإسراف وأعلن ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.
 ﴿يَبْنِي ۖ آدَمَ﴾ إعادة النداء للاهتمام بالمنادي. ﴿خُدُوا﴾ فعل أمر وفاعله.
 ﴿زِينَتَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿خُدُوا زِينَتَكُمْ﴾: تزينوا، «ويسمى ما يتزين به زينة كالثياب الجميلة والحلية ونحو ذلك»^٢.

١. علل الشرائع / ٦١٠، ح ٨١.

٢. التبيان / ٤ / ٣٨٦.

﴿عِنْدَ﴾ ظرف مكان لـ ﴿خُدُوا﴾.

﴿كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان والمراد به محلّ العبادة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ معطوفتان على ﴿خُدُوا﴾. أمران ارشاديان أو مولويان في مقام

توهم الحظر يدلّ على الإباحة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا تُسْرِفُوا﴾ فعل نهي وفاعله. نهيّ مولويّ. الاسراف: تجاوز الحد المتعارف في

الشيء أو «الخروج عن حدّ الاستواء في زيادة المقدار»^١.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، والضمير عائد إلى ﴿رَبِّي﴾^٢.

﴿لَا تُحِبُّ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر «هو». أي يبغض.

﴿الْمُسْرِفِينَ﴾ مفعول به، وجملة ﴿لَا تُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ خبر ﴿إِنَّهُ﴾.

الروايات

صحيححة ابن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿خُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ

مَسْجِدٍ﴾ قال: في العيدين والجمعة^٣.

رواها الشيخ^٤ أيضاً بسنده الصحيح.

صحيححة عبدالله بن المغيرة عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿خُدُوا زِينَتَكُمْ

عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال: من ذلك التَّمَشُّطُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ^٥.

١. التبيان ٤/٣٨٦.

٢. سورة الأعراف / ٢٩.

٣. الكافي ٦/٤٧٤، ح ٨ (٤٢٤/٣).

٤. التهذيب ٣/٢٤١، ح ٢٩.

٥. الكافي ١٣/١٣٢، ح ٧ (٤٨٩/٦).

رواها الصدوق في الفقيه^١ عن الرضا عليه السلام.

عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في قول الله: ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ قال: هي الثياب.^٢

عن الحسين بن مهران عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ قال: يعني الأئمة.^٣

عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: أترى الله أعطى من أعطى من كرامته عليه ومنع من منع من هوان به عليه؟ لا ولكن المال مال الله يضعه عند الرجل ودائع، وجوز لهم أن يأكلوا قصداً ويشربوا قصداً، ويلبسوا قصداً، وينكحوا قصداً، ويركبوا قصداً، ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين ويلموا به شعثهم، فمن فعل ذلك كان ما يأكل حلالاً ويشرب حلالاً، ويركب حلالاً، وينكح حلالاً، ومن عدا ذلك كان عليه حراماً ثم قال: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ أترى الله ائتمن رجلاً على مال خوّل له أن يشتري فرساً بعشرة آلاف درهم و يجزيه فرس بعشرين درهماً ويشتري جارية بألف دينار و يجزيه جارية بعشرين ديناراً وقال: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾.^٤

عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله: ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ قال: عشية عرفة.^٥

عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته: ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾

١. من لا يحضره الفقيه ١/ ١٢٨، ح ٣١٨.

٢. تفسير العياشي ٢/ ١٤١، ح ٢١.

٣. تفسير العياشي ٢/ ١٤٢، ح ٢٢.

٤. تفسير العياشي ٢/ ١٤٢، ح ٢٣.

٥. تفسير العياشي ٢/ ١٤٢، ح ٢٤.

قال: هو المشط عند كل صلوة فريضة ونافلة.^١

عن عمار النوفلي عن أبيه قال: سمعت أبا الحسن يقول: المشط يذهب بالوباء،

قال: وكان لأبي عبدالله مشط في المسجد يتمشط به إذا فرغ من صلاته.^٢

عن المحاملي عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ

عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال: الأردية في العيدين والجمعة.^٣

عن هارون بن خارجه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: من سأل الناس شيئاً وعنده ما

يقوته يومه فهو من المسرفين.^٤

عن خيثمة بن أبي خيثمة قال: كان الحسن بن علي عليه السلام إذا قام إلى الصلاة لبس

أجود ثيابه، فقيل له: يا بن رسول الله لم تلبس أجود ثيابك؟ فقال: إن الله تعالى جميل

يحبُّ الجمال، فأتجمل لربي، وهو يقول: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فأحبُّ أن

ألبس أجود ثيابي.^٥

الطوسي رفعه عن أبي جعفر عليه السلام في ذيل قوله تعالى: ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال: في

الجمعات والأعياد.^٦

قد ذكرت بعض الروايات الواردة في الزينة^٧ وبعض ما ورد في الإسراف^٨ في كتابي «موسوعة

أحاديث أهل البيت عليهم السلام» فراجع.

١. تفسير العياشي ٢/١٤٢، ح ٢٥.

٢. تفسير العياشي ٢/١٤٣، ح ٢٦.

٣. تفسير العياشي ٢/١٤٣، ح ٢٧.

٤. تفسير العياشي ٢/١٤٣، ح ٢٨.

٥. تفسير العياشي ٢/١٤٣، ح ٢٩.

٦. التبيان ٤/٣٨٦.

٧. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٤/٤٤٣.

٨. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١/٢٤٦.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۗ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ﴾
 كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

«لما أباح الله تعالى وحث على تناول الزينة في كل مسجد وندب إليه وأباح الأكل والشرب، ونهى عن الإسراف، وهناك قوم يجرمون كثيراً من الأشياء من هذا الجنس، قال الله تعالى منكرًا لذلك ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ ١.

﴿قُلْ﴾ فيه «دلالة على أنه كلام مسوق للردِّ والإنكار والمحاورة» ٢.
 ﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، مبتدأ، والاستفهام انكاريٌّ «ومعناه المبالغة في نفي التحريم وأنه من وساوس من الشيطان لا من وحي الرحمن» ٣.
 ﴿حَرَّمَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو»، خبر. ﴿زِينَةَ﴾ مفعول به.
 ﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه. ونفس الاضافة إلى ﴿اللَّهُ﴾ مشعرٌ بالحليَّة.
 ﴿الَّتِي﴾ اسم موصول، نعت لـ ﴿زِينَةَ﴾.
 ﴿أَخْرَجَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو». «الإخراج كناية عن الإظهار» ٤.

﴿لِعِبَادِهِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أَخْرَجَ﴾. في الحياة الدنيا. ﴿وَ﴾ عاطفة.

١. التبيان ٤/ ٣٨٧.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/ ٧٣.

٣. التفسير الكاشف ٣/ ٣٢١.

٤. الميزان ٨/ ٨٠.

﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ معطوف على ﴿زِينَةَ اللَّهِ﴾. الطيب هو «المُسْتَلَذُّ مِنَ الرِّزْقِ»^١ أو «الملائم للطبع»^٢. في أنواعها المختلفة من المطعم والمشرب والمنكح والملبس والمسكن. ﴿مِنَ الرِّزْقِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾. و ﴿الرِّزْقِ﴾ هو ما يأكله الإنسان أو يشربه أو يلبسه أو ينكحه أو يسكنه أو يركبه أو يرفع به سائر حوائجه حلالاً والحرام لا يدخل في الرزق بل يمنع منه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: كم مِنْ أَكَلَةٍ [من الحرام] مَنَعَتْ أَكَلَاتٍ [من الحلال].^٣

﴿قُلْ﴾ إعادة الأمر يدل على ما خص الله بالمؤمنين من عباده من الكرامة والمزية. ﴿هِيَ﴾ مبتدأ، عائد إلى ﴿زِينَةَ اللَّهِ﴾ و ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾.

﴿لِ﴾ حرف جر للاختصاص.

﴿لِلَّذِينَ﴾ مجروره، جار ومجرور متعلق بمحذوف، خبر لـ ﴿هِيَ﴾. تقديره: ﴿هِيَ﴾

مستقرة أو ثابتة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿فِي الْحَيَاةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ءَامَنُوا﴾. ﴿الْذُّنْيَا﴾ نعت لـ ﴿الْحَيَاةِ﴾.

﴿خَالِصَةً﴾ حال من مستقرة أو ثابتة المحذوف ويجوز رفعها على ان يكون خبراً

لـ ﴿هِيَ﴾ كما قرأها نافع وحده.^٤

﴿يَوْمَ﴾ ظرف زمان متعلق بـ ﴿خَالِصَةً﴾.

﴿الْقِيَمَةِ﴾ مضاف إليه. يعني الزينة ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ يختص ﴿لِلَّذِينَ

ءَامَنُوا﴾ ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾.

١. التبيان ٤/ ٣٨٨.

٢. الميزان ٨/ ٨٠.

٣. نهج البلاغة، الحكمة ١٦١.

٤. كما في التبيان ٤/ ٣٨٧.

﴿كَذَلِكَ﴾ مبتدأ. إشارة إلى هذا التفصيل الذي مرّ.

﴿نُفِصِلُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن». خبر.

﴿الْآيَاتِ﴾ مفعول به.

﴿لِقَوْمٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نُفِصِلُ﴾ واللام للعلّة.

﴿يَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، نعت ﴿لِقَوْمٍ﴾.

والجملة الأخيرة امتناناً من الله تعالى على أهل العلم بتفصيل هذا البيان وثناءً عليهم وكلّ عاقل يعلم معنى التفصيل ودلالته.

الروايات

صحیحة البنزطي عن الرضا عليه السلام قال لي: ما تقول في اللباس الخشن؟ فقلت: بلغني أن الحسن عليه السلام كان يلبس، وأن جعفر بن محمد عليه السلام كان يأخذ الثوب الجديد فيأمر به فيغمس في الماء.

فقال لي: البس وتجميل، فإن علي بن الحسين عليه السلام كان يلبس الجبة الخبز بخمسائة درهم، والمطرف الخبز بخمسين ديناراً، فيتشتى فيه فإذا خرج الشتاء باعه وتصدق بثمانه، وتلا هذه الآية ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^١.

رواها العياشي في تفسيره^٢.

صحیحة يحيى بن أبي العلاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس إلى ابن الكوّاء وأصحابه وعليه قميص رقيق وحلّة فلما نظروا إليه قالوا: يا ابن عباس أنت خيرنا في أنفسنا وأنت تلبس هذا اللباس؟ فقال: وهذا أول ما أخاصمكم فيه قل: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وقال:

١. قرب الإسناد / ٣٥٧، ح ١٢٧٧.

٢. تفسير العياشي ٢ / ١٤٥، ح ٣٤.

﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ ٢.١

خبر يوسف بن إبراهيم قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام وعليّ جبة خزّ وطيلسان خزّ فنظر إليّ فقلت: جعلت فداك عليّ جبة خزّ وطيلسان خزّ فما تقول فيه؟ فقال: وما بأس بالخزّ قلت: وسداة أبريسم، قال: وما بأس بأبريسم فقد أصيب الحسين عليه السلام وعليه جبة خزّ ثمّ قال: إنّ عبدالله بن عباس لما بعثه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الخوارج فوافقهم لبس أفضل ثيابه وتطيّب بأفضل طيبه وركب أفضل مراكبه فخرج فوافقهم فقالوا: يا ابن عباس بينا أنت أفضل الناس إذا أتيتنا في لباس الجبابرة ومراكبهم فتلا عليهم هذه الآية ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾. فالبس وتجمّل فإنّ الله جميل يحبّ الجمال وليكن من حلال. ٣.

ورواه العياشي في تفسيره. ٤.

مرفوعة محمد بن علي قال: مرّ سفيان الثوريّ في المسجد الحرام فرأى أبا عبدالله عليه السلام وعليه ثياب كثيرة القيمة حسان فقال: والله لآتيتّه ولأوبّخنه فدنا منه، فقال: يا ابن رسول الله ما لبس رسول الله صلى الله عليه وآله مثل هذا اللباس ولا عليّ عليه السلام ولا أحد من آبائك فقال له أبو عبدالله عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في زمان قتر مقترّ وكان يأخذ لقتره واقتداره وإنّ الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها فأحقّ أهلها بها أبرارها، ثمّ تلا ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ ونحن أحقّ من أخذ منها ما أعطاه الله غير أنّي يا ثوري ما ترى عليّ من ثوب إنّها ألبسه للناس ثمّ اجتذب يد سفيان فجرّها إليه ثمّ رفع الثوب الأعلى وأخرج ثوباً تحت ذلك على جلده غليظاً فقال: هذا ألبسه لنفسه وما رأيته للناس، ثمّ جذب ثوباً على سفيان أعلاه غليظ خشن

١. سورة الأعراف / ٣١.

٢. الكافي ١٣/١٦، ح ٦ (٤٤١/٦).

٣. الكافي ١٣/١٧، ح ٧ (٤٤٢/٦).

٤. تفسير العياشي ٢/١٤٤، ح ٣٢.

وداخل ذلك ثوب لَيْن فقال: لبست هذا الأعلى للناس ولبست هذا لنفسك تسرها. ١
 خبر ابن القداح قال: كان أبو عبد الله عليه السلام متكئاً عليّ - أو قال: علي أبي - فلقية
 عباد بن كثير البصريّ وعليه ثياب مروية حسان فقال: يا أبا عبد الله إنك من أهل بيت
 النبوة وكان أبوك وكان فما هذه الثياب المروية عليك فلو لبست دون هذه الثياب؟
 فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ويلك يا عباد ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ
 مِنَ الرِّزْقِ﴾ إِنَّ اللَّهَ عز وجل إذا أنعم على عبده نعمة أحبّ أن يراها عليه ليس بها بأس ويلك
 يا عباد إنّما أنا بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا تؤذني وكان عباد يلبس ثوبين قَطْرِيَيْنِ. ٢

خبر العباس بن هلال الشامي مولى أبي الحسن عليه السلام عنه قال: قلت له: جعلت
 فذاك ما أعجب إلى الناس من يأكل الجشب ويلبس الحشن ويتخشع، فقال: أما
 علمت أنّ يوسف عليه السلام نبيّ ابن نبيّ كان يلبس أقبية الديباج مزرورة بالذهب ويجلس
 في مجالس آل فرعون يحكم فلم يحتج الناس إلى لباسه وإنما احتاجوا إلى قسطه وإنما
 يحتاج من الإمام في أن إذا قال صدق وإذا وعد أنجز وإذا حكم عدل إنّ الله لا يحرم
 طعاماً ولا شرباً من حلال وإنما حرم الحرام قلّ أو كثر وقد قال الله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ
 زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾. ٣

رواه العياشي في تفسيره. ٤

خبر الوشاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعته يقول: كان عليّ بن
 الحسين عليه السلام يلبس في الشتاء الخزّ والمطرف الخزّ والقلنسوة الخزّ فيشتوفيه ويبيع
 المطرف في الصيف ويتصدّق بثمنه، ثم يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ

١. الكافي ١٣/١٨، ح ٨ (٤٤٢/٦).

٢. الكافي ١٣/٢١، ح ١٣ (٤٤٣/٦).

٣. الكافي ١٣/٤٧، ح ٥ (٤٥٣/٦).

٤. تفسير العياشي ٢/١٤٤، ح ٣٣.

وَالطَّيَّبَتِ مِنَ الرِّزْقِ^١.

رواه العياشي في تفسيره^٢.

خبر الحكم بن عتيبة قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وهو في بيت منجد وعليه قميص رطب وملحفة مصبوغة قد أثر الصبغ على عاتقه فجعلت أنظر إلى البيت وأنظر إلى هيئته فقال: يا حكم ما تقول في هذا؟ فقلت وما عسيت أن أقول وأنا أراه عليك وأما عندنا فإنما يفعله الشابُّ المرهق فقال لي: يا حكم ﴿مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيَّبَتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وهذا مما أخرج الله لعباده فأما هذا البيت الذي ترى فهو بيت المرأة وأنا قريب العهد بالعرس وبيتي البيت الذي تعرف^٣.

عن الحكم بن عتيبة، قال: رأيتُ أبا جعفر عليه السلام وعليه إزار أحمر، قال: فاحدثُ النظر إليه، فقال: يا أبا محمد، إن هذا ليس به بأس، ثم تلا: ﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيَّبَتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^٤.

وفي خبر عمر بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام، أنه كان يشتري الكساء الحزّ بخمسين ديناراً، فإذا صاف تصدّق به، لا يرى بذلك بأساً ويقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيَّبَتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^٥.

خبر أبي إسحاق الهمداني في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر حين ولّاه مصر وفيه: ... واعلموا يا عباد الله أنّ المتّقين حازوا عاجل الخير وآجله، شاركوا أهل الدّنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدّنيا في آخرتهم، أباحهم الله من الدنيا ما

١. الكافي ١٣/٤٠، ح ٤٠١/٦.

٢. تفسير العياشي ٢/١٤٤، ج ٣١.

٣. الكافي ١٣/٢٨، ح ١٤٦/٦.

٤. تفسير العياشي ٢/١٤٣، ح ٣٠.

٥. تفسير العياشي ٢/١٤٥، ح ٣٥.

كفاهم به وأغناهم، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. سكنوا الدنيا بأفضل ما سُكِنَتْ، وأكلوها بأفضل ما أكلت، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون، وشربوا من طيبات ما يشربون، ولبسوا من أفضل ما يلبسون، وسكنوا من أفضل ما يسكنون، وتزوجوا من أفضل ما يتزوجون، وركبوا من أفضل ما يركبون؛ أصابوا لذة الدنيا مع أهل الدنيا، وهم غداً جيران الله تعالى، يتمنون عليه فيعطيهما ما يتمنون، لا تُردُّ لهم دعوة، ولا يُنقص لهم نصيب من اللذة. فإلى هذا يا عباد الله يشقائق إليه من كان له عقل ويعمل له بتقوى الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يا عباد الله، إن اتقيتم وحفظتم نبيكم في أهل بيته، فقد عبدتموه بأفضل ما عُبد، وذكرتموه بأفضل ما ذُكر، وشكرتموه بأفضل ما سُكر، وأخذتم بأفضل الصبر والشكر، واجتهدتم أفضل الاجتهاد، وإن كان غيركم أطول منكم صلاةً، وأكثر منكم صياماً، فأنتم أتقى لله منه، وأنصح لأولي الأمر.١

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۖ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ

تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾



«كان القاء الخطاب بإباحة الزينة وطيبات الرزق داعياً لنفس السامع إلى أن يحصل على ما حرمه الله فألقى الله سبحانه في هذه الآية جماع القول في ذلك، ولا يشذ عما ذكره شيء من المحرمات الدينية، وهي تنقسم بوجه إلى قسمين: ما يرجع إلى

١. أمالي المفيد، المجلس الحادي والثلاثون، ح/٣/٢٦٠؛ أمالي الطوسي، المجلس الأول، ح/٣١/٢٤، رقم ٣١.

الأفعال وهي الثلاثة الأوّل، وما يرجع إلى الأقوال والاعتقادات وهو الأخيران، والقسم الأوّل منه ما يرجع إلى الناس وهو البغي بغير الحق، ومنه غيره وهو إما ذو قبح وشناعة فالفاحشة، وإما غيره فالإثم، والقسم الثاني إما شرك بالله أو افتراء على الله سبحانه»^١.

﴿قُلْ﴾ خطابٌ للرسول الأعظم ﷺ .

﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر دال على قصر إضافي هنا.

﴿حَرَّمَ رَبِّي﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومضاف إليه، وحيث كان المُشَرِّع في الشريعة

المقدسة الله نسب التحريم إلى الربّ.

﴿أَلْفَوَاحِشَ﴾ مفعول به، جمع فاحشة وهي المعصية التي بلغت حدّ القبح

والشناعة نحو الزنا واللواط والتهاك والتبرج والكذب والغيبة وغيرها من الكبائر.

﴿مَا﴾ موصولة، نعت لـ﴿أَلْفَوَاحِشَ﴾ أو بدل لها.

﴿ظَهَرَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿مِنْهَا﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بحال محذوفة من ﴿مَا﴾ تقديره: حال كونه ﴿مِنْهَا﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا بَطَّنَ﴾ معطوفة على ﴿مَا ظَهَرَ﴾.

﴿وَالْإِثْمَ﴾ معطوف على ﴿أَلْفَوَاحِشَ﴾. و «هو الذنب الذي يستعقب انحطاط

الإنسان في حياته وذلة وهواناً وسقوطاً كشرب الخمر الذي يستعقب للإنسان تهلكة

في جاهه وماله وعرضه ونفسه ونحو ذلك»^٢. والعطف من باب عطف العام على

الخاص لأنّ ﴿الْإِثْمَ﴾ أعمّ من الفاحشة.

﴿وَالْبَغْيَ﴾ معطوف على ﴿الْإِثْمَ﴾. و «هو طلب الإنسان ما ليس له بحق كأنواع

١. الميزان ٨ / ٨٦.

٢. الميزان ٨ / ٨٥.

الظلم والتعدي على الناس والاستيلاء غيرا لمشروع عليهم^١. من عطف الخاص على العام للاهتمام به.

﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ جار ومجروره ومضاف إليه. نعت لـ ﴿الْبَغْيِ﴾. من قبيل التوصيف باللازم لأن ﴿الْبَغْيِ﴾ لا يكون إلا ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَنَّ﴾ حرف مصدرية ناصبة.

﴿تُشْرِكُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. والشرك ضد التوحيد.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُشْرِكُوا﴾. ﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يُنزِلُ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُنزِلُ﴾. الباء للمصاحبة بمعنى معه. والضمير

صفة لـ ﴿سُلْطَنَاتِنَا﴾ وعائد إلى ﴿مَا﴾ ورابط للصلة.

﴿سُلْطَنَاتِنَا﴾ مفعول به. وهو الحججة والبرهان. معناه: ﴿مَا لَمْ يُنزِلْ﴾ حجة

مصاحبة له. وهذا التوصيف أيضاً من التوصيف باللازم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَنَّ﴾ حرف مصدرية ناصبة.

﴿تَقُولُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَقُولُوا﴾.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿تَعْمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والجملة الأخيرة تدل على حرمة الافتراء على

الله سبحانه ولا فرق بينه وبين الشرك بالله من حيث الحكم ولا رذيلة أقبح من القول بغير علم و «يدل على بطلان التقليد [في الاعتقادات وفعل الفواحش والقبايح]^٢، لأن

١. الميزان ٨ / ٨٥.

٢. كما مر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا...﴾، سورة الأعراف / ٢٨.

المقلد لا يعلم صحه ما قلده فيه»^١.

الروايات

خبر محمد بن منصور قال: سألت عبداً صالحاً عن قول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ قال: فقال: إن القرآن له ظهر وبطن فجميع ما حرّم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحلّ الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحقّ.^٢

وراه العياشي في تفسيره.^٣

خبر علي بن يقطين قال: سأل المهديّ أبا الحسن عليه السلام عن الخمر هل هي محرّمة في كتاب الله ﷻ فإنّ الناس إنّما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم لها فقال له أبو الحسن عليه السلام: بل هي محرّمة في كتاب الله ﷻ يا أمير المؤمنين، فقال له: في أيّ موضع هي محرّمة في كتاب الله جلّ اسمه يا أبا الحسن؟ فقال: قول الله ﷻ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ فأما قوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني الزنا المعلن ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهليّة وأما قوله ﷻ: ﴿وَمَا بَطَّنَ﴾ يعني ما نكح من الآباء لأنّ الناس كانوا قبل أن يبعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان للرجل زوجة ومات عنها تزوجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمّه فحرّم الله ﷻ ذلك، وأما الإثم فإنّها الخمر بعينها وقد قال الله ﷻ في موضع آخر: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾؛ فأما الإثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر وإثمها أكبر كما قال الله تعالى، قال: فقال المهديّ: يا عليّ

١. التبيان ٤/ ٣٩١.

٢. الكافي ٢/ ٢٥٧، ح ١٠ (١/ ٣٧٤).

٣. تفسير العياشي ٢/ ١٤٥، ح ٣٦.


٤. سورة البقرة/ ٢١٩.

ابن يقطين هذه والله فتوى هاشمية قال: قلت له: صدقت والله يا أمير المؤمنين الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت قال: فوالله ما صبر المهدي أن قال لي: صدقت يا رافضي.^١

ورواه العياشي في تفسيره.^٢

عن علي بن أبي حمزة قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من أحدٍ أغير من الله تبارك وتعالى، ومن أغير ممن حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن؟^٣

صحيحة أبي المقدم عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: ﴿أَفْوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ ما ظهر نكاح امرأة الأب وما بطن الزنى.^٤
قال أمير المؤمنين عليه السلام: من ترك قول لا أدري أصيبت مقاتله.^٥

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ 

إشارة إلى عمر الإنسانية العامة في الدنيا أو انذار ووعيد للمشركين المكذبين أو المقصود بالخبر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأُمَّته أو الكل، الظاهر أن الأخير أفضل ومطابق لعموم الآية الشريفة.
﴿و﴾ استثنافية.

١. الكافي ١٢/٧٠٠، ح ١ (٤٠٦/٦).

٢. تفسير العياشي ٢/١٤٦، ح ٣٨.

٣. تفسير العياشي ٢/١٤٦، ح ٣٧.

٤. التهذيب ٧/٤٧٢، ح ١٠٢.

٥. نهج البلاغة، الحكمة ٨٠.

- ﴿لِكَلِّ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم. تصريح بالعموم بلفظ ﴿كُلِّ﴾.
- ﴿أُمَّةٌ﴾ مضاف إليه. الأمة: الجماعة التي على مقصد واحد.
- ﴿أَجَلٌ﴾ مبتدأ مؤخر. الأجل: الوقت المضروب لانقضاء الإمهال ويُطلق على مدة الإمهال ويُطلق على الوقت المحدد به انتهاء الإمهال.
- ﴿فَ﴾ تفریع. ﴿إِذَا﴾ ظرف زمان للمستقبل، تتضمن معنى الشرط.
- ﴿جَاءَ﴾ فعل ماضٍ، فعل الشرط. ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه.
- ﴿لَا﴾ نافية.
- ﴿يَسْتَأْخِرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، جواب الشرط، الاستئخار: طلب التأخر.
- ﴿سَاعَةً﴾ ظرف زمان متعلق بـ ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾. والمراد بها هنا لحظة.
- ﴿وَ﴾ عاطفة.
- ﴿لَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ معطوف على ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾، ﴿لَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: لا يتقدمون يعني: لا يتجاوزون أجهلهم بتأخير ولا يتعجلونه بتقديم.

روايتان

صحيحة بكر بن محمد الأزدي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ﴿قُلْ إِنَّ أَلَمُوتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ - إلى قوله - : ﴿تَعْمَلُونَ﴾^١ قال: تعدّ السنين ثم تعدّ الشهور ثم تعدّ الأيام ثم تعدّ الساعات ثم تعدّ النفس ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^٢.

رواها الحميري بسند صحيح، في قرب الإسناد.^٣

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا

١. سورة الجمعة / ٨.

٢. الكافي ٥/٦٤٤، ح ٤٤٤ (٣/٢٦٢).

٣. قرب الإسناد / ٤١، ح ١٣١.

يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١﴾ قال: هو الذي يسمّى ملك الموت عز وجل.
 قد ذكرت الروايات الواردة حول الأجل في ذيل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۗ وَأَجَلٌ مُّسَمًّىٰ عِنْدَهُ ۗ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾^٢ في الجزء السابع^٣ من هذا الكتاب. فراجعه إن شئت كما بحثت عنها في دروسنا العقائدية^٤ حول المعاد والحمد لله.

﴿يَبْنَىٰٓءَ آدَمَ ۖ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ۗ آيَاتِي ۚ
 فَمَنْ أَتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^٥

الآية الشريفة «احدى الخطابات العامة المستخرجة من قصة الجنة المذكورة هاهنا وهي رابعها وآخرها يبين للناس التشريع الإلهي العام للدين باتباع الرسالة وطريق الوحي، والأصل المستخرج عنه هو مثل قوله في سورة طه: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۗ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۗ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْتَقِ﴾^٥، فبين أن اتيان الهدى منه انما يكون بطريق الرسالة»^٦.

﴿يَبْنَىٰٓءَ آدَمَ﴾ مرّ ثلاث مرات في هذه القصة والخطاب لجميع البشر لا لأمة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

﴿إِمَّا﴾ مركبة من كلمتين «إن» الشرطية و «ما» زائدة مؤكدة ولدخولها على «أن» دخلت النون الثقيلة في شرطها.

١. تفسير العياشي ٢/١٤٧، ح ٣٩.

٢. سورة الأنعام / ٢.

٣. أجود البيان في تفسير القرآن ٧/ (١٥٧-١٥٤).

٤. تسجيل صوت الدروس العقائدية موجود على سايتي Alnajafi.ir باللغة الفارسية على الإنترنت.

٥. سورة طه / ١٢٣.

٦. الميزان ٨/ ٨٦.

﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ فعل مضارع ونون التأكيد الثقيلة ومفعول به، في محل جزم لأنه فعل الشرط. والتأكيد يدل على أن الشرط محقق لا محالة.

﴿رُسُلٌ﴾ فاعل، لأنهم يأتين لكل أمة بلسانها وعلى مستوى عقولهم.

﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿رُسُلٌ﴾. أي رسل من أبناء جنس المرسلين إليهم لأن ذلك أكثر في التأثير وأبلغ في الحجة.

﴿يَقْضُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. القصص: وصل الحديث بالحديث، أي يتلون ويحكون ويؤمنون ويفصلون.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَقْضُونَ﴾.

﴿ءَايَاتِي﴾ مفعول به ومضاف إليه. والضمير عائد إلى الله تعالى.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم.

﴿اتَّقَى﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو»، في محل جزم فعل الشرط.

﴿اتَّقَى﴾ جميع معاصي الله واجتنبها.

﴿وَأَصْلَحَ﴾ معطوف على ﴿اتَّقَى﴾. ﴿أَصْلَحَ﴾ في فعل الصالحات.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب شرط ﴿مَنْ﴾. ﴿لَا﴾ نافية للجنس.

﴿خَوْفٌ﴾ اسم ﴿لَا﴾، «جيء باسمها مرفوعاً لأنَّ الرفع يساوي البناء على الفتح

في مثل هذا، لأنَّ الخوف من الأجناس المعنوية التي لا يتوهم في نفيها أن يكون المراد نفي الفرد الواحد، ولو فتح مثله لصحّ» ١.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور خبر ﴿لَا﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على ما قبلها. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ. ﴿تَحْزَنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ

هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾

«أخبر الله تعالى أن الذين كذبوا بحججه وبراهينه - ولم يصدقوه، واستكبروا عنها - إثم أصحاب النار الملائمون لها على وجه الخلود والتأييد»^١.
﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله تعالى: ﴿فَمَنْ آتَقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾ في الآية السابقة.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ، خبره ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.
﴿كَذَّبُوا﴾ فعل مضارع وفاعله. «التكذيب هو تنزيل الخبر على أنه كذب»^٢ وهو هنا الكفر.

﴿بِآيَاتِنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿كَذَّبُوا﴾. و «التكذيب بآيات الله كفر... فلذلك توعد على التكذيب بآيات الله بعقاب الأبد»^٣.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿اسْتَكْبَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله، معطوف على ﴿كَذَّبُوا﴾. «الاستكبار: طلب الترفع بالباطل»^٤ ومبالغة في التكبر «وهو أن يُعد المرء نفسه كبيراً أي عظيماً وما هو به»^٥.

﴿عَنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿اسْتَكْبَرُوا﴾، والضمير عائد إلى ﴿بِآيَاتِنَا﴾.

١. التبيان ٤/ ٣٩٣.

٢. التبيان ٤/ ٣٩٣.

٣. التبيان ٤/ ٣٩٤.

٤. التبيان ٤/ ٣٩٤.

٥. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/ ٨٥.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ. ﴿أَصْحَابُ﴾ خبر. أي ملازمون.
 ﴿النَّارِ﴾ مضاف إليه. ﴿هُمُ﴾ مبتدأ.
 ﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿خَالِدُونَ﴾.
 ﴿خَالِدُونَ﴾ خبر، ﴿هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ حال ﴿أَصْحَابِ النَّارِ﴾.
 والجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَإِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ ﴿٣٧﴾

تفريع على الخطاب العام السابق وبيان لما يستتبعه الكذب على الله وتكذيب آياته من سوء العاقبة وفذلكة لما سبق.

﴿فَ﴾ تفريع.

﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، مبتدأ، «صورته صورة الاستفهام والمراد به الأخبار عن عظم جرم مَنْ يفتري على الله كذباً أو يكذب بآيات الله»^١.
 ﴿أَظْلَمُ﴾ خبر. ﴿مِمَّنِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَظْلَمُ﴾.
 ﴿افْتَرَى﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو».
 ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿افْتَرَى﴾. ﴿كَذِبًا﴾ مفعول به.
 ﴿أَوْ﴾ عاطفة. ﴿كَذَّبَ﴾ معطوف على ﴿افْتَرَى﴾.
 ﴿بِآيَاتِهِ ۗ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿كَذَّبَ﴾.

يعني: «قد أبلغ الله دينه العام جميع أولاد آدم وأخبر بما أعده من الجزاء للأخذ به وتركه فمن أظلم ممن استنكف عن ذلك إما بافتراء الكذب على الله، ونسبة دين إليه، ووضع موضع ما أتى به الرسل من دين التوحيد، وقد أخبر الله أنهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغهم دينه، وإما بالتكذيب لآياته الدالة على وحدانيته وما يتبعه من الشرائع»^١.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم اشارة، مبتدأ، اشارة إلى المفترين والمكذبين.

﴿يَنَاهُهُمْ﴾ فعل مضارع ومفعول به مقدم. «النيل هو وصول النفع إلى العبد إذا

أطلق فإن قيد وقع على الضرر»^٢.

﴿نَصِيْبُهُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه، ﴿يَنَاهُهُمْ نَصِيْبُهُمْ﴾ خبر. والمراد بالنصيب: السهم

الذي يختص كل واحد منهم.

﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من نصيبهم تقديره: حال كونه

﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾. «والمراد بالكتاب ما قضي وكتب أن يصيب الإنسان من مقدرات الحياة

من عمر ومعيشة وغنى وصحة ومال وولد وغير ذلك، والدليل عليه»^٣.

﴿حَتَّىٰ﴾ «تفيد معنى الغاية ولا عمل لها هنا»^٤.

﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان متعلق بـ ﴿قَالُوا﴾. الآتي.

﴿جَاءَهُمْ﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم.

﴿رُسُلَنَا﴾ فاعل ومضاف إليه. وهم ملك الموت واتباعه وأعوانه.

﴿يَتَوَفَّوْهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعل ومفعول به. أي يأخذون أرواحهم وأنفسهم

١. الميزان / ٨ / ١١١.

٢. التبيان / ٤ / ٣٩٥.

٣. الميزان / ٨ / ١١٢.

٤. التفسير الكاشف / ٣ / ٣٢٤.

بالتمام والكمال.

﴿قَالُوا﴾ قال ملك الموت واتباعه لهم.

﴿أَيْنَ﴾ اسم استفهام، ظرف مكان، مبتدأ.

﴿مَا﴾ موصولة، خبر. ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿تَدْعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. يدل على الاستمرار والمراد بالدعاء هنا

العبادة.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بصفة محذوفة من مفعول

﴿تَدْعُونَ﴾ تقديره: من الآلهة الذين كنتم تدعونهم وحاصل سؤال ملائكة الموت: «أين

ما كنتم تدعون من دون الله من الشركاء الذين كنتم تدعون أنهم شركاء الله فيكم

وشفعاؤكم عنده؟»^١ ومن هنا ظهر أن المراد بالافتراء الكذب على الله تعالى هو الشرك

بالله باتخاذ آلهة دون الله. وان كان الافتراء الكذب يعم كل بدعة في الدين اصولاً

وفروعاً.

﴿قَالُوا﴾ جواب المفترين المكذبين.

﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾ أي ضلّ مَنْ كُنَّا ندعوه ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿عَنَّا﴾.

﴿وَشَهِدُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ يعني أقر الكفار ﴿عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ

كَانُوا﴾ جاحدين بالله وكافرين لنعمه بعبادتهم الأنداد والأصنام ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

أو «بمعايينة حقيقة الأمر أن غير الله سبحانه لا ينفع ولا يضر شيئاً، وقد أخطأوا

في نسبة ذلك إلى أوليائهم»^٢.

١. الميزان ٨/ ١١٢.

٢. الميزان ٨/ ١١٢.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبْنَاهُمْ لِأَوْلَانِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ

﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

«هذا حكاية عن قول الله تعالى للكفار يوم القيامة وأمره لهم بالدخول في جملة الأمم الذين تبعوا من قبلهم من جملة الجن والإنس وهم في النار»^١.

﴿قَالَ﴾ والقائل ذات الحق والمخاطبون بعض الكفار.

﴿ادْخُلُوا﴾ أمر ببعض الكفار.

﴿فِي أُمَمٍ﴾ أي «ادْخُلُوا فِي» جملة أو مع «أُمَمٍ». ﴿فِي﴾ للظرفية المجازية.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. ﴿خَلَتْ﴾ أي مضت وانقرضت.

﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني حالهم كحال الأمم المكذبين قبلهم وهذا تذكير لهم بما حاق بالسابقين.

﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ حرف جر بياني ومجروره ومعطوف. يدل على أن الجن أيضاً كالإنس مكلف بالشريعة ويقسمون إلى المؤمنين والكافرين.

﴿فِي النَّارِ﴾ تصريح بأنهم في عذاب النار.

﴿كُلَّمَا﴾ ظرفية زمانية و «ما» هنا بمعنى وقت.

﴿دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ من الكافرين المكذبين، «أُمَّةٌ» نكرة وقعت في حيز العموم الأزماني تفيد العموم.

﴿لَعَنَتْ﴾ اللعن: هو الإبعاد من الرحمة ومن كل خير.

﴿أُخْتَبَا﴾ يعني مثلها في دينها. يعني: يلعن كل من يدخل النار من تقدم عليه في

الدخول.

﴿حَتَّى﴾ ابتدائية. ﴿إِذَا﴾ ظرفية زمانية.

﴿أَدَارَكُوا﴾ أي تداركوا وتلاحقوا، ادرك بعضهم بعضاً واجتمعوا.

﴿فِيهَا﴾ أي في النار. ﴿جَمِيعًا﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿أَدَارَكُوا﴾.

﴿قَالَتْ أَخْرَجْنَهُمْ﴾ بحسب الرتبة أو الزمان، يعني الفرقة المتأخرة التابعة.

﴿لِأَوْلَادِهِمْ﴾ اللام للتعليل، للامة المتقدمة المتبوعة وهم رؤساء الضلال وأئمة

الكفر.

﴿رَبَّنَا﴾ منادى منصوب بأداة نداء محذوفة. وإقرار بالربوبية.

﴿هَتُؤُلَاءِ﴾ إشارة إلى رؤسائهم وأئمتهم.

﴿أَضَلُّونَا﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. عن طريق الحق وأغورنا.

﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿عَاتِبِهِمْ﴾ دعاء من المرؤوسين والمأمومين والمتبوعين على الفرقة الأولى. أي

أعطهم.

﴿عَذَابًا﴾ مفعول به ثان. ﴿ضِعْفًا﴾ نعت لـ ﴿عَذَابًا﴾ بمعنى مضاعف.

﴿مِنَ النَّارِ﴾ متعلق بمحذوف صفة ثانية. ﴿قَالَ﴾ تعالى.

﴿لِكُلِّ﴾ جار ومجرور خبر مقدم أي ﴿لِكُلِّ﴾ من الأخرى والأولى عذاب.

﴿ضِعْفٌ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿وَ﴾ زائدة. ﴿لِيَكُنْ﴾ حرف استدراك.

﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله. سبب تضاعف عذابهم لأنهم

بتبعيتهم إياهم وياقتدائهم إليهم صاروا سبباً لرياستهم وإمامتهم فـ ﴿لِكُلِّ ضِعْفٌ﴾ من

العذاب.

تطبيق

قال القمي: قوله: ﴿قَالَتْ أَخْرَجْنَاهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ رَبَّنَا هَتُّوْلَاءِ أَضَلُّوْنَا﴾ يعني أئمة

الجور.^١

نسبه الطبرسي^٢ إلى الصادق عليه السلام.

رواية

خبر محمد بن سالم عن أبي جعفر عليه السلام قال في حديث: وقولهم: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا
الْمُجْرِمُونَ﴾^٣ إذ دعونا إلى سبيلهم ذلك قول الله ﷻ فيهم حين جمعهم إلى النار: ﴿قَالَتْ
أَخْرَجْنَاهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ رَبَّنَا هَتُّوْلَاءِ أَضَلُّوْنَا فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ وقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ
أُمَّةٌ لَّعْنَتٌ أُخْتَتًا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ بريء بعضهم من بعض ولعن بعضهم
بعضاً، يريد بعضهم أن يحج بعضاً رجاء الفلج، فيفلتوا من عظيم ما نزل بهم وليس
بأوان بلوى ولا اختبار ولا قبول معذرة ولات حين نجاة والآيات وأشباههن مما نزل
به بمكة ولا يدخل الله النار إلا مشركاً، الحديث.^٥

﴿وَقَالَتْ أَوْلَادُهُمْ لِأَخْرَجْنَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾

فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾

في أول الآية «حكاية عن جواب قول الامة الأولى المتبوعة للأخرى التابعة

١. تفسير القمي ١/ ٣٣٧.

٢. مجمع البيان ٢/ ٤٩٣، طبعة إحياء الكتب الإسلامية، قم، ١٣٨٨ ش.

٣. سورة الشعراء / ٩٩.

٤. الفلج: الفوز والظفر والافلات: التخلص من الشيء.

٥. الكافي ٣/ ٨٤، ح ١، (٣١ / ٢).

حين سمعت دعاءها عليهم بأن يؤتيهم ضعفاً من العذاب»^١.
 ﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: ﴿قَالَتْ أَوْلَهُمْ لِأُحْرَبُهُمْ﴾.
 ﴿قَالَتْ أَوْلَهُمْ لِأُحْرَبُهُمْ﴾ قال المتبوعون للتابعين.
 ﴿فَ﴾ «فصحية^٢، مرتبة على قول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ ضَعْفٌ﴾^٣ حيث سوى بين الطائفتين في مضاعفة العذاب»^٤.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص.
 ﴿لَكُمُ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم ﴿كَانَ﴾ والضمير عائد إلى ﴿أُحْرَبُهُمْ﴾.
 ﴿عَلَيْنَا﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوف من ﴿فَضِّلَ﴾ لأنه صفة قدمت عليه.
 ﴿مِنْ﴾ زائدة لتأكيد نفي ﴿فَضِّلَ﴾.
 ﴿فَضِّلَ﴾ مجرور بـ ﴿مِنْ﴾ في محل رفع اسم ﴿كَانَ﴾ المؤخر. أي لا تفاوت في الكفر حتى يزيد الله في عذابنا دون عذابكم وينقص من عذابكم.
 «وقيل: معناه قالت الأمة السابقة للأمة المتأخرة ما كان لكم علينا من فضل في الرأي والعقل وقد بلغكم ما نزل بنا من العذاب فلم اتبعتمونا»^٥.
 ﴿فَ﴾ عاطفة دالة على الترتب.

﴿ذُوقُوا﴾ فعل أمر وفاعله. مستعمل في الإهانة والتشفي والتكوين والذوق استعمل مجازاً مرسلًا في الإحساس بحاسة اللمس. وصدر ﴿ذُوقُوا﴾ من ﴿أَوْلَهُمْ﴾،

١. .التبيان ٤/ ٣٩٨.

٢. الفاء الفصحية: هي التي يحذف فيها المعطوف عليه مع كونه سبباً للمعطوف من غير تقدير حرف شرط. وقيل: سميت فصحية لأنها تفصح عن المحذوف وتفيد بيان سببته ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾ (سورة البروج / ١٠).

٣. سورة الأعراف / ٣٨.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/ ٩٥.

٥. مجمع البيان ٢/ ٤٩٣.

ويمكن ان يصدر ﴿ذُوقُوا﴾ من الله تعالى عطفاً على قوله: ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^١.

﴿أَلْعَذَابَ﴾ مفعول به. ﴿بِ﴾ سببية.

﴿مَا﴾ موصولة، جار ومجرور متعلق بـ﴿ذُوقُوا﴾.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿تَكْسِبُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله خبر ﴿كُنْتُمْ﴾.

«وفيما قصّ الله من محاوراة قادة الأم وأتباعهم ما فيه موعظة وتحذير لقادة المسلمين من الإيقاع بأتباعهم فيما يزيج بهم في الضلالة، ويحسّن لهم هواهم، وموعظة لعامتهم من الاسترسال في تأييد من يشايح هواهم، ولا يبلغهم النصيحة، وفي الحديث: «كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته»^٢»^٣.

رواية


حسنة حبيب بن المعلّى السجستاني عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: لأعذبنّ كلّ رعيّة في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام جائر ليس من الله، وإن كانت الرعيّة في أعمالها برّة تقيّة؛ ولأعفونّ عن كلّ رعيّة في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام عادل من الله وإن كانت الرعيّة في أنفسها ظالمة مسيئة.^٤

١. سورة الأعراف / ٣٨.

٢. إرشاد القلوب / ١ / ١٨٤، الباب ٥١ في أخبار عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ٩٦.

٤. الكافي ٢ / ٢٦٢، ح ٤ (٣٧٦ / ١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ 

استئناف ابتدائي مسوق لتحقيق خلود الفريقين في النار وأن الله حرّمهم بما يكسبون أسباب النجاة، فسدّ عليهم أبواب الخير والصلاح وحرّمهم من دخول الجنة. ١.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ تأكيد وتأسيس للمكذّبين بآيات الله والجاحدين بها.
﴿وَ﴾ عطف تفسير.

﴿اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ يعني «طلبوا التكبر والترفع عن الانقياد لها»^٢.
﴿لَا تُفَتَّحُ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول «قرأ حمزة والكسائي وخلف «لا يفتح» بالياء والتخفيف، وقرأ أبو عمرو بالتاء والتخفيف. الباقيون بالتاء، والتشديد. من شدّد ذهب إلى التكثر. والمعنى أنهم ليسوا كحال المؤمن في التفتيح مرة بعد أخرى. ومن قرأ بالتاء، فلان الأبواب جماعة فأنت تأنيث الجماعة. ومن قرأ بالياء، فلان التأنيث غير حقيقي، وذهب إلى معنى الجمع»^٣.

﴿هُمَّ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾، «أَبْوَابُ» نائب فاعل الظاهر من عدم انفتاح ﴿أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ ﴿هُمَّ﴾ «مطلق في نفسه يشمل الفتح لولوج أديعتهم وصعود أعمالهم ودخول أرواحهم غير أن تعقيبه بقوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ الخ، كالقرينة على أن المراد نفي أن يفتح بابها لدخولهم الجنة فإن ظاهر كلامه سبحانه أن الجنة في السماء كما هو في

١. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/ ٩٦.

٢. التبيان ٤/ ٤٠٠.

٣. التبيان ٤/ ٣٩٩.

قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^١ ٢.

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ الجنة محرمة على المكذبين المستكبرين بآيات الله تعالى.

﴿حَتَّى﴾ حرف غاية.

﴿يَلِجُ﴾ منصوب بـ«أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّى﴾. الولوج: الدخول.

﴿الْجَمَلُ﴾ «البعير المعروف للعرب، ضرب به المثل لأنه أشهر الأجسام في

الضخامة في عرف العرب»^٣.

﴿فِي سَمِّ﴾ السَّم: بفتح السين وضمها: الثقب والحرت الذي في الإبرة.

﴿الْحَيَاطِ﴾ هو المَخِيْط: آلة الخياطة، الإبرة.

إنما علّق الأمر بالمحال كناية عن عدم تحققه وأنه لا يكون ولا يتحقق.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿كَذَلِكَ﴾ اشارة إلى حرمانهم من الجنة.

﴿تَجْرِي الْمَجْرِمِينَ﴾ على قدر جرمهم. الجرم هنا الكفر والاستكبار.

روايتان

صحيحة ضَرِيْس عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في طلحة والزبير

والجمل جملهم^٤.

جري وتطبيق وروا مثلها في تفسير العياشي^٥.

قال أبو جعفر عليه السلام: أما المؤمنون فترفع أعمالهم وأرواحهم إلى السماء، فتفتح لهم

١. سورة الذاريات / ٢٢.


٢. الميزان / ٨ / ١١٤.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور / ٨ / ٩٨.

٤. تفسير القمي / ١ / ٣٣٨، ح ٧.

٥. تفسير العياشي / ٢ / ١٤٧، ح ٤٠.

أبوابها. وأما الكافر، فيصعد بعمله وروحه حتى إذا بلغ الساء نادى منادٍ: اهبطوا بعمله إلى سجين، وهو واد بحضر موت يقال له: برهوت»^١.

﴿هُم مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ 

بيان عاقبة المكذِّبين المستكبرين في عالم الآخرة.

﴿هُم مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ مبتدأ وخبر. المهاد: الفراش. ﴿وَ غَوَاشٍ﴾ عاطفة.

﴿مِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ مبتدأ وخبر. الغواشي: جمع غاشية وهي ما يغطي الشيء


ويستره. التنوين في ﴿غَوَاشٍ﴾ عوض عن الياء المحذوفة.

أي: «أنهم محاطون بالعذاب من تحتهم ومن فوقهم»^٢.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ «أي مثل ما نجزي هؤلاء المكذِّبين بآيات الله

المستكبرين عنها نجزي كل ظالم وكل كافر»^٣.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا

إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ 

«لما أخبر الله تعالى بصفة المكذِّبين المستكبرين عن آياته، وما أعد لهم من أنواع

العذاب والخلود في النيران، أخبر بعده بما أعدده للمؤمنين العاملين بالأعمال

١. التبيان ٤/٤٠٠؛ مجمع البيان ٢/٤٩٤.

٢. الميزان ٨/١١٥.

٣. التبيان ٤/٤٠٢.

الصالحات» ١.

قد وردت هذه الآية بعينها من دون الجملة المعترضة في سورة البقرة^٢ ومثلها في سورة إبراهيم^٣ ونظيرتها بدون الجملة المعترضة مع زياده في سورة هود^٤.

والعمدة هنا هي الجملة الاعتراضية.

﴿وَ عَاطِفَةٌ، عَطَفَتْ مَا بَعْدَهَا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾^٥.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مبتدأ أول. «يعني الذين صدقوا بآيات الله واعترفوا بها ولم يستكبروا عنها»^٦. وخبره ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ الآتي.

﴿وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ثم اضافة إلى ذلك الأعمال ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ وهو ما أوجبه

الله عليهم أو نديهم إليه»^٧.

﴿لَا نُكَلِّفُ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر «نحن». الكلفة: المشقة.

﴿نَفْسًا﴾ مفعول به. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.

﴿وُسْعَهَا﴾ مستثنى ومضاف إليه «أي ما يقدرون عليه»^٨. «أخبر الله تعالى أنه لا

يلزم نفساً إلا قدر طاقتها وما دونها، لأن الوسع دون الطاقة»^٩.

وهذه الجملة المعترضة ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ «مسوق للتخفيف وتقوية

الرجاء في قلوب المؤمنين فإن تقييد الإيذان بعمل الصالحات - والصالحات جمع مُحَلَّى

١. التبيان / ٤ / ٤٠٢.

٢. سورة البقرة / ٨٢.

٣. سورة إبراهيم / ٢٣.

٤. سورة هود / ٢٣.

٥. سورة الأعراف / ٤٠.

٦. التبيان / ٤ / ٤٠٢.

٧. التبيان / ٤ / ٤٠٢.

٨. تفسير القمي / ١ / ٣٣٨.

٩. التبيان / ٤ / ٤٠٢.

باللام وهو يفيد الاستغراق - يفيد بظاهرة لزوم العمل بجميع الصالحات حتى لا يشذ عنها شاذ، وما أقل من وفق لذلك من طبقة أهل الإيمان ويسد ذلك باب الرجاء على أكثر المؤمنين فذكر الله سبحانه أن التكليف على قدر الوسع فمن عمل من الصالحات ما وسعه أن يعمله من غير أن يشق على نفسه ويتحمل ما لا طاقة له به بعد الإيمان بالله فهو من أهل هذه الآية^١.

﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ ثان، إشارة إلى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

﴿أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ خبر مبتدأ ثان وفيه «قصر ملازمة الجنة عليهم، دون غيرهم، ففيه تأسيس آخر للمشركين بحيث قويت نصية حرمانهم من الجنة ونعيمها»^٢.

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الجملة في محل نصب حال من ﴿أُولَئِكَ﴾.

قال الشيخ الطوسي رحمته الله: «وفي ذلك دلالة على بطلان قول المجبرة: من أن الله

تعالى كلف العبد ما لا قدرة له عليه، ولا يطيقه»^٣.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍٍّ تَجَرَّى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنهْرُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ

وَنُودُوا أَن تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أُوْرثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

إخبار عما يفعله الله بالمؤمنين في الجنة بعد أن يخلدهم فيها.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿نَزَعْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. النزع: قلع الشيء من مكانه أو «رفع الشيء عن

١. الميزان ٨/ ١١٥.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/ ١٠٠.

٣. التبيان ٤/ ٤٠٢.

مكانه المتمكن فيه إمّا بتحويله وإمّا بإعدامه»^١.

﴿ مَا ﴾ موصولة، مفعول به.

﴿ فِي صُدُورِهِمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بفعل محذوف تقديره: كمن أي استتر.

والضمير عائد إلى ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾^٢.

﴿ مِّنْ غَلٍّ ﴾ من بيانية، الغل: الحقد. جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿ مَا ﴾

أي: حال كونه من حقد كامن.

«غل الصدور من أعظم ما ينغص عيش الإنسان، وما من إنسان يعاشر إنساناً

ويأتلف به إلا واتتلافه مشروط بأن يرافقه فيما يراه ويريده فإذا شاهد من حاله ما لا

يرتضيه جأش صدره بالغل وراحت الألفة وتنغصت العيشة فإذا ذهب الله سبحانه

بغل الصدور لم يسؤ الإنسان ما يشاهده من أليفه على الإطلاق وهي اللذة الكبرى»^٣.

﴿ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾ حال من ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾^٤ أي هم في القصور العالية

تشرف على أنهار الجنة.

﴿ وَقَالُوا ﴾ إخبار عن قول أهل الجنة وحال لهم.

﴿ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا ﴾ اعتراف بالشكر لله تعالى الذي أرشدنا وإشارة إلى

اختصاص الهداية بالله تعالى.

﴿ لِهَذَا ﴾ أي ارشدنا إلى طريق هذا النعيم الخالد في الجنة والهداية له هي

الإرشاد إلى أسبابه من الإيمان والعمل الصالح.

﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ ﴾ لما يصيرنا إلى هذا النعيم المقيم والثواب العظيم.

﴿ لَوْلَا ﴾ حرف شرط غير جازم.

١. التبيان / ٤ / ٤٠٣.

٢. سورة الأعراف / ٤٢.

٣. الميزان / ٨ / ١١٦.

٤. سورة الأعراف / ٤٢.

﴿أَنْ هَدَيْنَا﴾ حرف مصدرية وفعل ماض ومفعول به مقدم. بتأويل مصدر. مرفوع بالابتداء.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. والخبر محذوف تقديره: ﴿لَوْلَا﴾ هداية الله حاصلة لنا، لم نصل إلى هذا النعيم الخالد في الجنة.

﴿لَقَدْ﴾ حرفان للتأكيد. ﴿جَاءَتْ﴾ فعل ماض.

﴿رُسُلٌ رَبَّنَا﴾ فاعله ومضاف إليه ومضاف إليه ثان.

﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بحال محذوفة من ﴿رُسُلٌ﴾ تقديره: هادية ﴿بِالْحَقِّ﴾. أو «اعتراف بحقيقة ما وعدهم الله تعالى بلسان أنبيائه»^١.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿نُودُوا﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله. معطوفه على ﴿وَقَالُوا﴾، لأن هذا النداء جواب لثنائهم وهو حين كونهم في الجنة. والتعبير عن المستقبل بالماضي للإيحاء إلى تحقق وجوده في ما يأتي.
﴿أَنْ﴾ مفسرة بمعنى أي.

﴿تِلْكُمْ﴾ اسم إشارة للبعيد لرفعة قدر الجنة وعلو مكانها، مبتدأ.

﴿الْجَنَّةِ﴾ عطف بيان.

﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله ومفعول به، خبر. والضمير ﴿هَا﴾ عائد إلى ﴿الْجَنَّةِ﴾. جعلت الجنة إرثاً لهم في قبال عملهم.
﴿بِ﴾ للسببية. ﴿مَا﴾ موصولة.

﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بسبب أعمالكم الصالحة.

الروايات

خبر أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَيْنَا

لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴿٤٣﴾ فقال: إذا كان يوم القيامة دعي بالنبِيِّ ﷺ وبأمير المؤمنين وبالائمة من ولده ﷺ فَيُنْصَبُونَ لِلنَّاسِ فَإِذَا رَأَتْهُمْ شِيعَتُهُمْ قَالُوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾، يعني هدانا الله في ولاية أمير المؤمنين والائمة من ولده ﷺ. ١.

خبر إبراهيم بن عبد الحميد عن أبي الحسن ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا ركب الرجل الدابة فسمي ردفه ملك يحفظه حتى ينزل وإذا ركب ولم يسم ردفه شيطان فيقول له: تغنّ فإن قال له: لا أحسن قال له: تمنّ فلا يزال يتمني حتى ينزل، وقال: من قال إذا ركب الدابة «بسم الله لا حول ولا قوة إلا بالله الحمد لله الذي هدانا لهذا - الآية -» و «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين» حفظت له نفسه ودابته حتى ينزل. ٢.

رواه البرقي^٣ والصدوق^٤ و الطوسي^٥ كلهم عن اليقطيني عن الدهقان عن درست عن إبراهيم بن عبد الحميد، والسند في الجميع ضعيف بعبيد الله بن عبد الله الدهقان.

الحاكم الحسكاني بإسناده عن عبدالله بن مليل عن علي ﷺ [في قوله تعالى]: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلِيٍّ﴾ قال: نزلت فينا. ٦.

وبإسناده عن موسى [الجهني] عن الحسن بن علي قال: فينا والله نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلِيٍّ﴾. ٧.

١. الكافي ٢/٣٧٩، ح ٣٣ (١/٤١٨).

٢. الكافي ١٣/٢٧٢، ح ١٧ (٦/٥٤٠).

٣. المحاسن ٢/٤٧٠، ح ١٠٤.

٤. ثواب الأعمال / ٢٢٧، ح ١.

٥. التهذيب ٦/١٦٥، ح ٣٠٩.

٦. شواهد التنزيل ١/٢٠٠، ح ٢٥٩.

٧. شواهد التنزيل ١/٢٠٠، ح ٢٦٠.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فأما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله ﴿أورثتموها بما كنتم تعملون﴾^١.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ

أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

حكى الله ما يجري بين أهل الجنة والنار بعد استقرارهم فيهما و «أن أصحاب الجنة على علم اليقين بأن أصحاب النار قد وجدوا صدق الوعيد والتهديد، ولكنهم وجهوا إليهم هذا السؤال شكراً لله على ما أنعم عليهم، وتقريعاً لأهل النار على كفرهم وعنادهم، وتذكيراً لهم بما كانوا يقولونه من الهزوء والاستخفاف بدين الحق وأهله»^٢.

﴿وَ عَاطِفَةٌ، عَطَفَتْ مَا بَعْدَهَا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا...﴾^٣.

﴿نَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ فعل ماضٍ وفاعلُه ومضافٌ إليه ومفعولٌ به ومضافٌ إليه. «معناه وقال أصحاب الجنة يا أصحاب النار بعد دخول هؤلاء الجنة ودخول هؤلاء النار. والصاحب هو المقارن للشيء على نية طول المدة، والصحية والمقارنة نظائر، إلا أن في الصحية الإرادة. ومنه قيل أصحاب الصحراء»^٤.

١. مجمع البيان ٢/٤٩٦.

٢. التفسير الكاشف ٣/٣٣٠.

٣. سورة الأعراف / ٤٣.

٤. التبيان ٤/٤٠٧.

﴿أَنَّ﴾ مفسرة للنداء بمعنى أي. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.
 ﴿وَجَدْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.
 ﴿وَعَدْنَا﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم.
 ﴿رَبُّنَا﴾ فاعله ومضاف إليه. «على لسان رسله من الثواب على الإيمان وعمل الطاعات»^١.

﴿حَقًّا﴾ «حال من ﴿مَا وَعَدْنَا﴾ ويجوز أن تكون مفعولاً ثانياً لوجدنا على ان تتضمن معنى علمنا»^٢.

﴿فَ﴾ للترتيب. ﴿هَلْ﴾ حرف استفهام.
 ﴿وَجَدْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.
 ﴿وَعَدَ﴾ فعل ماض.
 ﴿رَبُّكُمْ﴾ فاعله ومضاف إليه. وقد حذف مفعول ﴿وَعَدَ﴾ تخفيفاً وإيجازاً. أو «للدلالة على نوع من التشريف فإن الظاهر أن المراد بها وعد الله جميع ما وعده من الثواب والعقاب لعامة الناس.

وهناك وجه آخر وهو أن متعلق اعتراف المؤمنين وإنكار الكفار من أمر المعاد مختلف في الدنيا فإن المؤمنين يثبتون البعث بجميع خصوصياته التي بينها الله لهم ووعدوا إياهم، وأما الكفار المنكرون فإنهم ينكرون أصل البعث الذي اشترك في الوعد به المؤمنون والكفار جميعاً، ولذلك احتج الله سبحانه ويتم الحججة عليهم بأصله دون خصوصياته كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُفُّوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَيْسَٰرَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۗ قَالُوا بَلَىٰ ۗ وَرَبِّنَا ۗ﴾^٣، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَىٰ النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۗ قَالُوا

١. التبيان ٤/٤٠٨.

٢. التفسير الكاشف ٣/٣٢٩.

٣. سورة الأنعام / ٣٠.

بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴿٢١﴾.

﴿حَقًّا﴾ مثل نظيره الذي مرّ.

﴿قَالُوا﴾ الضمير الفاعلي عائد إلى أصحاب النار.

﴿نَعَمْ﴾ جواب إيجاب حيث لا يمكن الإنكار بعد الوجدان.

﴿فَ﴾ للترتيب أو التسيب.

﴿أُذِّنْ﴾ فعل ماضٍ من التأذين وهو رفع الصوت بالكلام رفعاً يُسمع البعيد

بقدر الإمكان. بمعنى نادى نادياً أسمع.

﴿مُؤَذِّنٌ﴾ فاعل، أي مناد. ﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي بين أصحاب الجنة والنار.

﴿أَنْ﴾ مفسرة بمعنى أي. ﴿لَعَنَةُ اللَّهِ﴾ مبتدأ ومضاف إليه.

﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ خبر، تعريف لهم بالوصف إشارة إلى أنهم تُعرف به.

الروايات

صحيحة محمد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام قال: المؤذّن أمير المؤمنين عليه السلام يؤذّن أذاناً يسمع الخلائق كلّها؛ والدليل على ذلك قول الله عزّ وجلّ في سورة براءة: ﴿وَأُذِّنُ مِنْ رَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^٣. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: كنت أنا الأذان في الناس.^٤
ورواها العياشي^٥ والحاكم الحسكاني^٦ بإسناد صحيح عن العياشي مع روايتين أُخرتين صحيحتين عن العياشي.

وظهر من هذا النقل أنّ تفسير العياشي بكامله موجود عنده والنسخة الموجودة عندنا مختصرة

١. سورة الأحقاف / ٣٤.

٢. الميزان / ٨ / ١١٨.

٣. سورة التوبة / ٣.

٤. تفسير القمي / ١ / ٣٣٩، ح ٨.

٥. تفسير العياشي / ٢ / ١٤٧، ح ٤١.

٦. شواهد التنزيل / ١ / ٢٠٣، ح ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥.

مرسلة مع الأسف الشديد.

حسنه أحمد بن عمر الحلال^١ قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ قال: المؤذن أمير المؤمنين عليه السلام.^٢
 فرات الكوفي بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن لعلي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب الله أسماء لا يعرفها الناس. قال: قلنا: وما هي؟ قال: سماه الله في القرآن مؤذناً وأذاناً، فأما قوله [تعالى] ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فهو المؤذن بينهم يقول: ألا لعنة الله على [الظالمين] الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي^٣.
 رواها عنه الحاكم الحسكاني^٤ والقندوزي^٥.

فرات الكوفي عن الحسن بن علي بن بزيع معنعناً: عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ علي [بن أبي طالب] عليه السلام.^٦
 خبر جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: ... وأنا، المؤذن في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أنا ذلك المؤذن، وقال: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^٧ فأنا ذلك الأذان، الخطبة^٨.
 ورواه القندوزي^٩.

١. الحلال: بياع الشيرج وهو دهن السمسم.
 ٢. الكافي ٢/٣٩٧، ح ٧٠ (١/٤٢٦).
 ٣. تفسير فرات الكوفي / ١٤١، ح ١٧١.
 ٤. شواهد التنزيل ١/٢٠٢، ح ٢٦٢.
 ٥. ينابيع المودة / ١٠١.
 ٦. تفسير فرات الكوفي / ١٤٢، ح ١٧٣.
 ٧. سورة التوبة / ٣.
 ٨. معاني الأخبار / ٥٩، ح ٩.
 ٩. ينابيع المودة / ١٠١.

٢٦٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الثامن

الحاكم الحسكاني بإسناده عن محمد بن الحنفية عن علي عليه السلام قال: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فأنا ذلك المؤذن. ١.

رواها عنه الطبرسي^٢ والقندوزي^٣.

قال الباقر عليه السلام: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ قال: المؤذن علي عليه السلام. ٤.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ﴾

تتمة الآية السابقة في توصيف الظالمين الكافرين وبيان وجه ظلاماتهم وكفرهم.

﴿الَّذِينَ﴾ نعت لـ ﴿الظَّالِمِينَ﴾^٥.

﴿يَصُدُّونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. يدل على الاستمرار. أصله: الصَّدَّ: المنع أو

الصُّدُود: الإعراض والعدول.^٦

﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿يَصُدُّونَ﴾، يعني يمنعون

الناس من اتباع الحق ودين الله بشتى الوسائل وهذا وصفهم الأوَّل.

﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به معطوف على يصدون والضمير

١. شواهد التنزيل / ١ / ٢٠٢، ح ٢٦١.

٢. مجمع البيان / ٢ / ٤٩٨.

٣. ينابيع المودة / ١٠١.

٤. روضة الواعظين / ١٠٥، لابن قتال النيسابوري المستشهد سنة ٥٠٨ هـ. ق.

٥. سورة الأعراف / ٤٤.

٦. راجع روض الجنان / ٨ / ٢٠٠.

المفعولي عائد إلى ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لأنَّ السبيل يذكر ويؤنث.
 ﴿عَوَجًا﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿يَبْغُونَهَا﴾. العوج: ضد الاستقامة. يعني
 أنهم يريدونها محرّفة منحرفة غير مستقيمة وهذا وصفهم وعملهم الثاني.
 ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ وهذا وصفهم الثالث «فلا يخافون حساباً ولا عقاباً على
 جرائمهم وآثامهم»^١. وأتى بالجملة الاسمية للدلالة على ثبات الكفر فيهم.

﴿وَيَبَيِّنُهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ
 الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾



الظاهر أنّ أصحاب الأعراف قسمان:

الأول: الأئمة من أهل البيت عليهم السلام الذين يعرفون كلّاً من أصحاب الجنة
 وأصحاب النار بسيماهم وقد ظهر لهما علو مقاماتهم وصدر هذه الآية تشير إليهم
 ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ﴾ وهم رجال الأعراف.
الثاني: جماعة من المؤمنين العاصين من الأمة المرحومة الذين إيمانهم يمنعهم من
 دخول النار وذنوبهم يمنعهم من دخول الجنة فلم يدخل الجنة ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ وذيلها
 تشير إلى هؤلاء الجماعة وكذا الآية التالية وهم أهل الأعراف.
 ﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿بَيِّنَهُمَا﴾ خبر مقدم، «يعني بين أصحاب الجنة وأصحاب النار»^٢.
 ﴿حِجَابٌ﴾ مبتدأ مؤخر، أي «الحاجز المانع من الإدراك»^٣ وقد ورد ذكره في قوله

١. التفسير الكاشف ٣/ ٣٣٠.

٢. التبيان ٤/ ٤١٠.

٣. التبيان ٤/ ٤١٠.

تعالى: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُرَبَابٌ﴾^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿عَلَى الْأَعْرَافِ﴾ خبر مقدم، ﴿الْأَعْرَافِ﴾ جمع عُرف وهو المكان المرتفع أخذ من عُرف الفرس أو عُرف الديك وهو التاج الذي على رأسه، وهو هنا المحل المُشْرِف على أصحاب الجنة وأصحاب النار.

﴿رِجَالٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والمراد بهم التامون في الإنسانية ولو فرض فيهم أفراداً من النساء كان التعبير من باب التغليب. والتنكير يدل على علو مراتبهم وشؤونهم وهم القسم الأول كما مر.

﴿يَعْرِفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والجملة نعت لـ ﴿رِجَالٌ﴾.

﴿كُلًّا﴾ مفعول به، أي كل أهل الجنة وأهل النار.

﴿بِسِيمَتِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿يَعْرِفُونَ﴾. السيماء: بالقصر السمة أي العلامة. يعني علامتهم «وهي في أهل النار سواد الوجوه وزرقة العيون وفي أهل الجنة بياض الوجوه وحسن العيون»^٢. إلى هنا تم صدر الآية المرتبطة بالقسم الأول.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿نَادَوْا﴾ فعل ماض وفاعله والضمير الفاعلي عائد إلى القسم الثاني وهم المؤمنون المذنبون وهم أهل الأعراف لا رجالها.

﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿أَنْ﴾ مفسرة للنداء. ﴿سَلَّمْ عَلَيْكُمْ﴾ مبتدأ وخبر، دعاء تحية وإكرام.

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ومفعول به، والضمير الفاعلي عائد

١. سورة الحديد / ١٣.

٢. التبيان / ٤ / ٤١٢.

إلى المؤمنين المذنبين والضمير المفعولي عائد إلى الجنة. والجملة إخبار عن أصحاب الأعراف الثاني.

﴿ وَ ﴾ حالة. ﴿ هُمْ ﴾ مبتداء، أي المؤمنون المذنبون.

﴿ يَطْمَعُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله.

الروايات

أ: الروايات الصحاح الدالة على القسم الأول من أصحاب الأعراف:

صحيحة بريد بن معاوية العجلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ ﴾ قال: أنزلت في هذه الأمة، والرجال هم الأمة من آل محمد عليه السلام. ١.

صحيحة أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ ﴾ فقال: هم الأمة من أهل البيت عليه السلام في باب من ياقوت أحمر على سور الجنة يعرف كل إمام منّا ما يليه. فقال رجل: ما معنى ما يليه؟ فقال: من القرن الذي هو فيه إلى القرن الذي كان. ٢.

موثقة الأصبغ بن نباتة قال: كنت عند أمير المؤمنين صلوات الله عليه جالسا فجاء رجل فقال له: يا أمير المؤمنين ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ ﴾ فقال له علي عليه السلام: نحن الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه. وذلك لأن الله تعالى لو شاء عرف الناس نفسه حتى يعرفوه ويوحّدوه ويأتونه

١. مختصر البصائر الدرجات / ١٧٣، ح ١٥٠.

٢. مختصر البصائر الدرجات / ١٧٨، ح ١٥٧.

من بابه، ولكنّه جعلنا أبوابه، وصراطه، وسبيله، وبابه الذي يوتى منه^١.

السند موثق بناءً على توثيق الحسين بن علوان لأنه عامي موثق.

صحيحة أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام.

وإسحاق بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ

يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَانِهِمْ﴾ قال: هم الأئمة عليهم السلام.^٢

السند صحيح بناءً على اعتبار محمد بن الفضيل الصيرفي.

ب: الروايات الصحاح الدالة على القسم الثاني منهم:

صحيحة بريد عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: الأعراف كُتبان^٣ بين الجنة والنار.

والرجال الأئمة عليهم السلام، يقفون على الأعراف مع شيعتهم، وقد سيق المؤمنون إلى الجنة

بلا حساب، فيقول الأئمة لشيعتهم من أصحاب الذنوب: انظروا إلى إخوانكم في

الجنة قد سيقوا إليها بلا حساب، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا

وَهُمْ يَظْمَعُونَ﴾.

ثم يُقال لهم: انظروا إلى أعدائكم في النار، وهو قوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ

تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ

رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ﴾ - في النار - ﴿قَالُوا مَا أَعْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ - في الدنيا - ﴿وَمَا

كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾^٤.

موثقة زرارة قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: ما تقول في أصحاب الأعراف؟ فقلت:

١. مختصر البصائر الدرجات / ١٧٣، ح ١٥١.

٢. مختصر بصائر الدرجات / ١٧٢، ح ١٤٨.

٣. «كثيب» نسخة. والكثيب: التلّ من الرمل، الجمع أكتبة وكثبٌ وكثبانٌ (القاموس المحيط ١/ ١٢٢).

٤. سورة الأعراف / ٤٧ و ٤٨.

٥. تفسير القمي ١/ ٣٣٩، ح ٩.

ما هم إلا مؤمنون أو كفرون إن دخلوا الجنة فهم مؤمنون وإن دخلوا النار فهم كفرون، فقال: والله ما هم بمؤمنين ولا كافرين ولو كانوا مؤمنين دخلوا الجنة كما دخلها المؤمنون ولو كانوا كافرين لدخلوا النار كما دخلها الكافرون ولكنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم الأعمال وإتّهم لكما قال الله ﷻ، فقلت: أمن أهل الجنة هم أو من أهل النار؟ فقال: أتركهم حيث تركهم الله، قلت: أفترجئهم قال: نعم أرجئهم كما أرجئهم الله إن شاء أدخلهم الجنة برحمته وإن شاء ساقهم إلى النار بذنوبهم ولم يظلمهم، فقلت: هل يدخل الجنة كافر؟ قال: لا، قلت: هل يدخل النار إلا كافر؟ قال: لا إلا أن يشاء الله، يا زرارة إنني أقول: ما شاء الله وأنت لا تقول ما شاء الله أما إنك إن كبرت رجعت وتحللت [عنك] عقداً.^١

الروايات في القسمين كثيرة جداً فإن شئت راجع مختصر البصائر^٢ وتفسير العياشي^٣ والبرهان في تفسير القرآن^٤ وبحار الأنوار^٥ ومن كتب العامة شواهد التنزيل^٦.
وقد بحثت في دروسي العقائدية^٧ حول الأعراف في المحاضرتين في مباحث المعاد رقم ٨٤ و ٨٥ فراجعهما.

١. الكافي ٤/ ١٨٥، ح ١ (٤٠٨/٢)، باب أصحاب الأعراف.

٢. مختصر بصائر الدرجات / ١٧١.

٣. تفسير العياشي ٢/ ١٤٧ وما بعدها.

٤. البرهان في تفسير القرآن ٢/ ٥٤٦.

٥. بحار الأنوار ٣/ ٥٩٥ (٣٢٩/٨).

٦. شواهد التنزيل ١/ ١٩٨.

٧. تسجيل صوت الدروس العقائدية موجود على سايتي Alnajafi.ir باللغة الفارسية على الإنترنت.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا﴾

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾

تتمة الآية السابقة في شأن المؤمنين المذنبين من أصحاب الأعراف.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِذَا﴾ ظرف.

﴿صُرِفَتْ﴾ فعل ماض مبني للمجهول. «الصرف هو العدول من جهة إلى

جهة»^١.

﴿أَبْصَرُهُمْ﴾ نائب فاعله ومضاف إليه. والضمير عائد إلى المؤمنين المذنبين.

﴿تَلْقَاءَ﴾ ظرف متعلق بـ﴿صُرِفَتْ﴾، وهو مكان وجود الشيء وجهة اللقاء.

﴿أَصْحَابِ النَّارِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.

﴿قَالُوا﴾ والضمير الفاعلي عائد إلى المؤمنين المذنبين وهم أهل الأعراف.

﴿رَبَّنَا﴾ منادى بأداة نداء محذوفة ومضاف إليه. إقرار لهم بالربوبية، لانهم كانوا

مؤمنين في الدنيا.

﴿لَا تَجْعَلْنَا﴾ فعل نهي وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به.

﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ جار ومجرور وصفة وقد مرّ أوصاف الظالمين في الآية ٤٥.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ﴾

﴿جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾

«في هذه الآية إخبار وحكاية من الله تعالى ان أصحاب الأعراف ينادون قوما

يعرفونهم من الكفار بسيماهم من سواد الوجوه وزرقة العين وضروب من تشويه الخلق يبينون به من أهل الجنة وغيرهم»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿نَادَى﴾ فعل ماضٍ و «معناه سينادي، وإنما جاز أن يذكر الماضي بمعنى

المستقبل، لأمرين:

إحدهما: لتحقيق المعنى كأنه قد كان.

والثاني: على وجه الحكاية والحذف. والتقدير إذا كان يوم القيامة ﴿نَادَى

أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾

ونادى معناه دعا، غير أن في ﴿نَادَى﴾ معنى امتداد الصوت ورفع، لأنه مشتق

من النداء يقال: صوت نداء أي يمتد وينصرف خلاف الواقف، وليس كذلك «دعا»

لأنه قد يكون بعلامة كالإشارة من غير صوت ولا كلام، ولكن إشارة تنبئ عن

معنى يقال»^٢.

﴿أَصْحَابُ﴾ فاعل.

﴿الْأَعْرَافِ﴾ مضاف إليه. «ال» للعهد وهم رجال الأعراف الذين مر ذكرهم

بأئمة الأئمة المعصومين أو صيحاء رسول الله ﷺ.

﴿رِجَالًا﴾ مفعول به، هؤلاء الرجال من أصحاب النار وليسوا من رجال

الأعراف الذين ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ﴾^٣ ولا من أهل الأعراف وهم المؤمنون

المدنبون فلا بد من التمييز بينهم.

﴿يَعْرِفُونَهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به، نعت لـ ﴿رِجَالًا﴾. والضمير

١. التبيان ٤/٤١٤.

٢. التبيان ٤/٤١٤.

٣. سورة الأعراف / ٤٦.

الفاعلي عائد إلى رجال الأعراف والمفعولي عائد إلى ﴿رَجَالًا﴾.
﴿بِسْمِئِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والضمير عائد إلى ﴿رَجَالًا﴾.
﴿قَالُوا﴾ قال رجال الأعراف لهؤلاء الرجال من أصحاب النار وتقريع لهم
وشياطة بهم.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿أَغْنَى﴾ فعل ماض، أي نفع.
﴿عَنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَغْنَى﴾، والضمير مفعول به مقدم.
﴿جَمَعُكُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه. أي جمعكم الأموال والعدد في الدنيا، أو
جماعتكم وحزبكم التي استندتم إليها.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ مصدرية. ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿كُنْتُمْ﴾.
﴿كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ماض استمراري يدل على أن الاستكبار في الدنيا كان
ديدنهم «وكشف عن تقطع الأسباب الدنيوية عنهم فقد كانوا يستكبرون عن الحق
ويستذلونه ويعتزون بجمعهم»^١ يعني «ولا نفعكم تكبركم وتجبركم في دار الدنيا عن
الانقياد لأنبيا الله واتباع أمره»^٢.

﴿أَهْتُوا لَآءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ

أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٤٩﴾

تتمة الآية السابقة وإشارة إلى أصحاب الأعراف والمكاملة مع أصحاب النار
والمتكلم رجال الأعراف كما في الآية السابقة.

١. الميزان ٨ / ١٣١.

٢. التبيان ٤ / ٤١٤.

﴿أَ﴾ حرف استفهام، تويخية تقريرية، والسائل رجال الأعراف وهم الأئمة الهدى عليهم السلام والمراد به تقرير الذين زروا^١ على ضعفاء المؤمنين.

﴿هَتُّوْلَاءِ﴾ مبتدأ. إشارة إلى أهل الأعراف وهم المؤمنون المذنبون.

﴿الَّذِينَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: «هم» ﴿الَّذِينَ﴾ وجملة «هم» ﴿الَّذِينَ﴾ خبر ﴿هَتُّوْلَاءِ﴾.

﴿أَقْسَمْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. والضمير الفاعلي عائد إلى أصحاب النار. أي حلفتهم والجملة ما بعده هو المقسم عليه.

﴿لَا يَنَالُهُمْ﴾ فعل مضارع منفي ومفعول به مقدم. والضمير المفعولي عائد إلى المؤمنين المذنبين وهم أهل الأعراف. النيل: اللحق.

﴿اللَّهُ﴾ فاعل.

﴿بِرَحْمَةٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَا يَنَالُهُمْ﴾. والنكرة في حيز النفي يفيد الاستغراق النفي للجنس أي انهم كانوا ينفون عن هؤلاء المؤمنين المذنبين - وهم أهل الأعراف - كل خير.

﴿أَدْخُلُوا﴾ فعل أمر وفاعله. والضمير الفاعلي عائد إلى أهل الأعراف والآمرهم رجال الأعراف.

﴿الْجَنَّةِ﴾ مفعول به. «على أكمل سرور وأتم كرامة»^٢. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿خَوْفٍ﴾ مبتدأ. «الخوف هو توقع المكروه وضده الأمن وهو الثقة بانتفاء المكروه»^٣. أي لا خائفين.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور. خبر. ﴿و﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية.

١. زراً عليه عمله: عاتبه أو عابه عليه.

٢. التبيان ٤/٤١٥.

٣. التبيان ٤/٤١٥.

﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ. ﴿تَحْزُنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ولا محزونين.

رواية

عن كرام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا كان يوم القيامة أقبل سبعُ قباب من نور يواقيت خضر وبيض، في كل قبة إمامٌ دهره، قد احتفَّ به أهل دهره برُّها وفاجرُها حتى يقفوا بباب الجنة، فيطلع أولُّها صاحب قبة إطلاعةً فيميز أهل ولايته وعدوه، ثم يقبل على عدوه فيقول: أنتم ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا أَلْجَنَّةَ لَا حَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ اليوم، يقول لأصحابه فتسودَّ وجوه الظالمين^١، فيميز^٢ أصحابه إلى الجنة، وهم يقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^٣.

الراوي هو عبد الكريم بن عمرو بن صالح الحنعمي «مولا هم كوفي» روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام ثم وقف على أبي الحسن عليه السلام كان ثقة ثقة عيناً يلقب كراماً^٤ ومنه يظهر سرُّ عدد السبع في روايته لأنه من الواقعة.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا

رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿

مطالبة أهل النار من أهل الجنة وتتممة المكالمة بينهما وفي الآية إشعار بعلو مكانة

١. في نسخ: فيسودَّ وجه الظالم.

٢. كذا في جميع النسخ والبحار (٨/٣٣٧، ح ١٢) فلعله بمعنى (فيميز) الأول، أي يقرز ويعزل، أو يكون بمعنى ينتقل إذ يقال في اللازم منه: ماز فلان: انتقل من مكان إلى مكان أو آتاه مصحف (فيحيز) أي يسوق رويداً، وفي نورالثقلين (٢/٣٦، ح ١٤١) فيمر.

٣. سورة الأعراف / ٤٧.

٤. تفسير العياشي ٢/١٤٨، ح ٤٧.

٥. رجال النجاشي / ٢٤٥، رقم ٦٤٥.

أهل الجنة بالنسبة إلى مكان أهل النار.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾^١.
﴿نَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ فعل ماض وفاعله ومضاف إليه ومفعول به ومضاف إليه.

﴿أَنَّ﴾ مفسرة بمعنى أي كما مرّ نحوها في الآية ٤٤ من هذه السورة.
﴿أَفِيضُوا﴾ فعل أمر وفاعله. «الإفاضة: إجراء الماء من عل»^٢ و «فعل الفيض حقيقته سيلان الماء وانصبابه بقوة ويستعمل مجازاً في الكثرة»^٣.
﴿عَلَيْنَا﴾ جار ومجروره متعلق بـ﴿أَفِيضُوا﴾. يدل على استعلاء أهل الجنة عليهم.
﴿مِنَ الْمَاءِ﴾ حرف جر بيانية لمعنى الإفاضة ومجروره متعلق بـ﴿أَفِيضُوا﴾. «أي صبوا ﴿عَلَيْنَا مِنْ الْمَاءِ﴾ نسكن به العطش أو ندفع به حرّ النار»^٤. قدّم الماء «لأنّ الحاجة إلى بارد الماء أسبق إلى الذهن طبعاً بالنسبة إلى غيره عند ما تحيط الحرارة بالإنسان»^٥.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف للتخيير.

﴿مِمَّا﴾ «من» حرف جر و «ما» موصولة، جار ومجرور متعلق بـ﴿أَفِيضُوا﴾.
﴿رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر. طلبوا شيئاً من نعيم الجنة من الطعام أو غيره.

﴿قَالُوا﴾ أصحاب الجنة جواباً لأصحاب النار.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه ﴿إِنَّ﴾.

١. سورة الأعراف / ٤٤.

٢. التبيان ٤/٤١٦ وفي مجمع البيان ٢/٥٠١: «الإفاضة: إجراء المائع من علو».

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/١١٤.

٤. مجمع البيان ٢/٥٠١.

٥. الميزان ٨/١٣٤.

﴿ حَرَّمَهُمَا ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به خبر ﴿إِنَّ﴾ .
أي حرم الله كلاً منهما بالحرمة التكوينية وهو المعنى اللغوي. أي المنع.
﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ حَرَّمَهُمَا ﴾ .

الروايات

حسنة أبي الربيع عن الباقر عليه السلام في حديث: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابَ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَيْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ ما شغلهم [أليم عذاب النار] إذ دعوا بالطعام فأطعموا الزقوم، ودعوا بالشراب فسقوا الحميم؟! فقال: صدقت يا بن رسول الله، الحديث. ١

عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أحدهما عليهما السلام ، قال: إِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَمُوتُونَ عَطَاشِي، وَيَدْخُلُونَ قُبُورَهُمْ عَطَاشِي وَيُخَشَّرُونَ عَطَاشِي، وَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ عَطَاشِي، فَتُرْفَعُ لَهُمْ قُرَابَتُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، فيقولون: ﴿ أَيْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾. ٢
عن الزهري، عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ ينادي أهل النار أهل الجنة: أن أفيضوا علينا من الماء. ٣

﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ

كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا تَجْحَدُونَ ﴾ ﴿٥١﴾

بيان أوصاف الكافرين ويستفاد منها أن للكفر ثلاث مراحل:

١. تفسير القمي ١/٣٤٣.

٢. تفسير العياشي ٢/١٤٩، ح ٤٩.

٣. تفسير العياشي ٢/١٥٠، ح ٥٠.

أولها: «اتخاذ الإنسان دينه لهواً ولعباً وغرور الحياة الدنيا له،

والثاني: نسيان يوم اللقاء،

والثالث: الجحد بآيات الله»^١.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ مرّت بعينها في سورة

الأنعام آية ٧٠ فراجعها.

﴿فَ﴾ تفرعية، تفرّيع على التحريم.

﴿الْيَوْمَ﴾ ظرف زمان متعلّق بفعل ﴿نَنْسَهُمْ﴾.

﴿نَنْسَهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن» ومفعول به.

«النسيان يقابل الذكر وربما يستعار لترك الشيء وعدم الاعتناء بشأنه كالشيء

المنسي»^٢ يعني ﴿الْيَوْمَ﴾ نتركهم ولا نقوم بلوازم حياتهم السعيدة... . «والنسيان

منه ﴿كَلَّ﴾ هو الترك»^٣.

﴿كَ﴾ حرف تشبيه دلّ على حرمانهم مماثلاً لـ... . ﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿نَسُوا﴾ فعل ماض وفاعله، أي ﴿كَ﴾ نسيانهم. ﴿لِقَاءَ﴾ مفعول به.

﴿يَوْمَهُمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.

﴿هَذَا﴾ اسم اشارة، نعت لـ ﴿يَوْمَهُمْ﴾، والمراد بـ ﴿يَوْمَهُمْ هَذَا﴾ يوم القيامة،

يعني كما تركوا يوم القيامة فلم يقوموا بها يجب أن يعملوا لها.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ مصدرية. ﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿بِقَائِنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلّق بـ ﴿تَجَحَّدُونَ﴾.

﴿تَجَحَّدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿كَانُوا﴾. أي ﴿كَ﴾ جحدهم

١. الميزان ٨ / ١٣٤.

٢. الميزان ٨ / ١٣٤.


٣. تفسير القمي ١ / ٣٤٣.

بآيات الله وكونهم جاحدين لها. الجحد: النفي والإنكار.

روايتان

عن أمير المؤمنين عليه السلام: وكذلك تفسير قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ يعني بالنسيان أنه لم يشبههم كما يشب أولياءه الذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به وبرسله وخافوه بالغيب.^١

خبر عبدالعزيز بن مسلم قال: سألت الرضا علي بن موسى عليه السلام عن قول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^٢ فقال: إن الله تبارك وتعالى لا ينسى ولا يسهو، وإنما ينسى ويسهو المخلوق المحدث، ألا تسمعه صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^٣ وإنما يجازي من نسيه ونسي لقاء يومه بأن ينسيهم أنفسهم، كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ^٤ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾؛ وقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ أي نتركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا.^٥

﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ 

إخبار من الله تعالى أنه أتى هؤلاء الكفار بكتاب.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ

كَذَّبَ بِآيَاتِهِ...﴾^٦.

١. التوحيد / ٢٥٩، ح ٥.

٢. سورة التوبة / ٦٧.

٣. سورة مريم / ٦٤.

٤. سورة الحشر / ١٩.

٥. التوحيد / ١٥٩، ح ١.

٦. سورة الأعراف / ٣٧.

﴿لَ﴾ تأكيد. ﴿قَدَ﴾ حرف تحقيق.

﴿جِئْتَهُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. «المجىء: نقل الشيء إلى حضرة المذكور»^١. والضمير الفاعلي عائد إلى الله تعالى والمفعولي عائد إلى الكفار.

﴿بِكَتَبٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿جِئْتَهُمْ﴾. والباء لتعدية فعل ﴿جِئْتَهُمْ﴾. والمراد بالكتاب هو القرآن العظيم وتنكيره يقصد به التعظيم. «وأصل الكتاب صحيفة فيها كتابة والكتابة حروف مسطورة تدلّ بتأليفها على معان مفهومة»^٢.

﴿فَصَلَّنَاهُ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. والضمير المفعولي عائد إلى ﴿كَتَبٍ﴾. والجملة الفعلية نعت لـ﴿كَتَبٍ﴾. ومعناه: «مبنيًا معانيه على وجه يزول معه اللبس»^٣ أي بينا ما فيه.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ جار ومجرور متعلق بحال من فاعل ﴿فَصَلَّنَاهُ﴾. أي حال كوننا على علم، وقد نزل على علم منّا بما يشتمل عليه من المطالب.

﴿هُدًى﴾ حال من ﴿كَتَبٍ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿رَحْمَةً﴾ حال ثان من ﴿كَتَبٍ﴾. ﴿لِقَوْمٍ﴾ متعلق بـ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، نعت لـ﴿قَوْمٍ﴾. يعني القرآن هداية ورحمة للمؤمنين به لأنّ غير المؤمن أعرض عن هداية القرآن فلم يهتد به وإلا القرآن نعمة على جميع المكلفين ولكن غير المؤمنين يجرمون أنفسهم منه فيصير ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

لطيفة

الأمر كذلك بالنسبة إلى أهل البيت النبوة ﷺ لأنّهم عدل القرآن في حديث

١. التبيان ٤/٤١٨.

٢. التبيان ٤/٤١٨.

٣. التبيان ٤/٤١٨.

متواتر الثقلين وأثم القرآن الناطق فهم مهبط علم الله و ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
فافهم لأنه دقيق لطيف والله سبحانه هو العالم.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمُوعًا وَلَا تَفْصِيلًا﴾
﴿جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ
الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾

«هل ينتظر هؤلاء الذين يفترون على الله كذباً أو يكذبون بآياته وقد تمت عليهم
الحجة بالقرآن النازل عليهم، إلا حقيقة الأمر التي كانت هي الباعثة على سوق بياناته
وتشريع أحكامه والإنذار والتبشير الذين فيه؟ فلو لم ينتظروه لم يتركوا الأخذ بما
فيه»^١.

﴿هَلْ﴾ استفهام انكاري.

﴿يَنْظُرُونَ﴾: أي ينتظرون «لأن النظر قد يكون بمعنى الانتظار»^٢.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر، والحصر إضافي.

﴿تَأْوِيلَهُ﴾ مفعول به ومضاف إليه. الضمير عائد إلى الكتاب وهو القرآن
الكريم. التأويل: «الحقيقة التي يعتمد عليها حكم أو خبر أو أي أمر ظاهر آخر اعتماد
الظاهر على الباطن والمثل على المثل»^٣.

﴿يَوْمَ﴾ ظرف زمان متعلق بـ ﴿يَنْظُرُونَ﴾. والمراد به يوم القيامة.

١. الميزان ٨ / ١٣٥.

٢. التبيان ٤ / ٤١٩.

٣. الميزان ٨ / ١٣٥.

﴿يَأْتِي﴾ فعل مضارع، أي «إذا انكشفت حقيقة الأمر يوم القيامة»^١.
﴿تَأْوِيلُهُ﴾ فاعل ومضاف إليه. أي عاقبته من الجزاء على الكفر والتكذيب وهو النار.

﴿يَقُولُ الَّذِينَ﴾ فعل مضارع وفاعله.
﴿نَسُوهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به والمراد بالنسيان هنا الأعراض وترك العمل به.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ﴿نَسُوهُ﴾. أي من قبل يوم القيامة يعني في الدنيا.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. ﴿جَاءَتْ﴾ فعل ماضٍ. ﴿رُسُلُ﴾ فاعل.
﴿رَبَّنَا﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.
﴿بِالْحَقِّ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ﴿جَاءَتْ﴾.
والجملة ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ إقرار واعتراف من الكافرين المكذِّبين بعد ما رؤوا من العذاب يوم القيامة، يعترفون بالربوبية والرسالة والنبوة.
﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿هَلْ﴾ استفهام حقيقي أو مجازي في معنى التمني والنفى بمعنى التحسّر والتندم.

﴿لَنَا﴾ جارٍ ومجرور، خبر مقدم. ﴿مِنْ﴾ حرف جر زائد، تأكيد.
﴿شَفَعَاءَ﴾ مجروره لأنه ممنوع من الصرف، مبتدأ مؤخر. جمع شفيع.
﴿فَ﴾ واقعة في جواب الاستفهام فتكون سببية.
﴿يَشْفَعُونَ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله على جواب الاستفهام أو التمني أو النفى.

﴿لَنَّا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَشْفَعُوا﴾ . ﴿أَوْ﴾ حرف عطف.
 ﴿نُرَدُّ﴾ معطوف على مدخول الاستفهام وهو ﴿هَلْ﴾ . فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «نحن» .
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الاستفهام.
 ﴿نَعْمَلْ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «نحن» لأنه جواب الاستفهام.

﴿غَيْرَ﴾ مفعول به . ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، مضاف إليه.
 ﴿كُنَّا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
 ﴿نَعْمَلْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن» من التكذيب والكفر.
 ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق والجملة بعده تعليل لما مر منهم من أحد الأمرين.
 ﴿خَيْرُوا﴾ فعل ماض وفاعله.
 ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه . «فيما بدلوا دينهم هوأ ولعبأ، واختاروا الجحود على التسليم وقد زال عنهم الافتراءات المضلة التي كانت تحجبهم عن ذلك في الدنيا فبان لهم أنهم في حاجة إلى من يصلح لهم أعمالهم إما أنفسهم أو غيرهم ممن يشفع لهم»^١.
 ﴿وَ﴾ عاطفة . ﴿صَلَّ﴾ فعل ماض .
 ﴿عَنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿صَلَّ﴾ . ﴿صَلَّ عَنْهُمْ﴾ : يعترفون ويعلمون بطلانه.

﴿مَا﴾ موصولة، فاعل . ﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
 ﴿يَفْتَرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله . خبر ﴿كَانُوا﴾ . أي يكذبونه.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾

«هذا خطاب من الله لجميع الخلق وإعلام لهم بأن ربهم الذي أحدثهم وأنشأهم هو الله تعالى»^١. وإظهاراً لخالقية الله وربوبيته لجميع الخلق وانفراده بهما وتوحيد الخالقية والربوبية.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿رَبَّكُمُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ ومضاف إليه. والضمير عائد إلى جميع الخلق.

﴿اللَّهُ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، نعت لـ ﴿اللَّهُ﴾.

﴿خَلَقَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى ﴿اللَّهُ﴾ بمعنى اخترع.

﴿السَّمَوَاتِ﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ حرف عطف.

﴿الْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾. «فابتدعها وأوجدتها لا من شيء ولا

على مثال»^٢.

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿خَلَقَ﴾.

ولابد من تأويل ﴿أَيَّامٍ﴾ بمعنى التدرج والتدرج الذاتي في عالم المادة فلا إشكال في الفاعل من حيث فاعليته لأنه ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^٣ بل العالم المادي لا يقبل إلا التدرج والتدرج فلا يكون المراد بـ ﴿أَيَّامٍ﴾ المعنى الوارد في ألسنتنا لأنها لا يتحقق إلا بعد ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يمكن من الأخذ بهذا

١. التبيان ٤/ ٤٢١.

٢. التبيان ٤/ ٤٢١.

٣. سورة يس / ٨٢.

المعنى الدراج بيننا كما هو الواضح.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب.

﴿أَسْتَوَى﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى «الله»، معطوف على ﴿حَلَقَ﴾. ﴿أَسْتَوَى﴾: استقر على شيءٍ واستوي عليه.

﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أَسْتَوَى﴾، ﴿الْعَرْشِ﴾: كناية عن الملك والسلطان والتدبير والإرادة والربوبية، الظاهر ان المراد بـ ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ يعني أنه تعالى بعد خلق العالم تصدى لإدارته وربوبيته.

﴿يُغْشَى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى ﴿اللَّهُ﴾، الغشاوة: الغطاء والستر.

﴿أَلَيْلَ النَّهَارِ﴾ مفعولان لـ ﴿يُغْشَى﴾، يعني يستر الله تعالى الليل بالنهار ويذهب الليل بنور النهار.

﴿يَطْلُبُهُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى ﴿الَّيْلَ﴾ ومفعول به والضمير المفعولي عائد إلى ﴿النَّهَارِ﴾. يعني يطلب الليل النهار ليغشيه ويستره.

﴿حَيْثُ﴾ حال، أي مسرعاً بمعنى طلباً سريعاً. ﴿وَ﴾ حرف عطف. ﴿الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ﴾ معطوفات على ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. ومنصوبات بـ ﴿حَلَقَ﴾.

﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ حال من المنصوبات الخمسة، أي الخاضعات والمنقادات. ﴿بِأَمْرِهِ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه. متعلق باسم مفعول ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ والضمير عائد إلى ﴿اللَّهُ﴾ تعالى.

﴿أَلَا﴾ حرف تنبيه.

﴿لَهُ﴾ جارٍ ومجرور، خبر مقدم، والضمير عائد إلى ﴿اللَّهُ﴾ سبحانه. ﴿الْحَلْقُ﴾ مبتدأ مؤخر، عالم الخلق.

﴿وَالْأَمْرُ﴾ حرف عطف ومعطوف على ﴿الْحَلْقُ﴾. وعالم الإدارة والتدبير والربوبية «ال» في ﴿الْحَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ للجنس.

﴿تَبَارَكَ﴾ فعل ماض، أي تعالى بعظمة. فعل غير منصرف لا يصاغ منه أمر ولا مضارع.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿رَبُّ﴾ نعت لـ ﴿اللَّهُ﴾. ﴿الْعَالَمِينَ﴾ مضاف إليه.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

هذه الآية كالتيجة بالنسبة إلى الآية السابقة التي مرّت فيها توحيد الخالقية والربوبية وهذه تدعو إلى عبوديته ودعائه ﴿كَلِمًا﴾.

﴿ادْعُوا﴾ فعل أمر وفاعله. والدعاء يشمل العبودية بل الدعاء مخ العبادة.

﴿رَبَّكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿تَضَرُّعًا﴾ حال من الضمير الفاعلي ﴿ادْعُوا﴾، «التضرع: التذلل وهو إظهار

الذل الذي في النفس»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿خُفْيَةً﴾ معطوف على ﴿تَضَرُّعًا﴾. «الخفية: خلاف العلانية»^٢.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، تأكيد والضمير عائد إلى ﴿رَبَّكُمْ﴾.

﴿لَا﴾ نافية.

﴿يُحِبُّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى ﴿رَبَّكُمْ﴾.

١. التبيان ٤/٤٢٤.

٢. التبيان ٤/٤٢٤.

﴿الْمُعْتَدِينَ﴾ مفعول به. «الاعتداء: تجاوز حدّ الحق»^١ في الدعاء وغيرها.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا

إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

الآية السابقة في ما بين الناس وبين الله وأما هذه في ما بينهم.

﴿وَ﴾ عطف على قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يَكُفُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^٢.

﴿لَا تُفْسِدُوا﴾ فعل نهي وفاعله، نهي عن «الفساد في الأرض وهو الإضرار بما

تمنع الحكمة»^٣.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجروره متعلق بـ﴿لَا تُفْسِدُوا﴾. والإفساد ﴿فِي الْأَرْضِ﴾

هو العمل فيها بمعاصي الله والاعتداء على الخلق.

﴿بَعْدَ﴾ ظرف متعلق بـ﴿لَا تُفْسِدُوا﴾.

﴿إِصْلَاحِهَا﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. «الإصلاح: النفع بما تدعو إليه

الحكمة»^٤.

«فليس حقيقة الدين في ما يرجع إلى حقوق الناس إلا أن يصلح شأنهم بارتفاع

المظالم من بينهم ومعاملتهم بما يعينهم على التقوى ويقرّ بهم من سعادة الحياة في الدنيا

والآخرة»^٥.

١. التبيان ٤/ ٤٢٥.

٢. سورة الأعراف / ٥٥.

٣. التبيان ٤/ ٤٢٥.

٤. التبيان ٤/ ٤٢٥.

٥. الميزان ٨/ ١٥٩.

﴿ وَ عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿ اَدْعُوا رَبَّكُمْ... ﴾ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.
 ﴿ اَدْعُوهُ ﴾ فَعَلَ اَمْرًا وَفَاعِلُهُ وَمَفْعُولُ بِهِ. وَالضَّمِيرُ الْمَفْعُولِيُّ عَائِدٌ إِلَى ﴿ رَبَّكُمْ ﴾.
 ﴿ حَوْفًا ﴾ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْفَاعِلِيِّ فِي ﴿ اَدْعُوهُ ﴾، ﴿ حَوْفًا ﴾ مِنْ عِقَابِهِ. «وَالْخَوْفُ:
 الْاِنْزِعَاجُ بِمَا لَا يُؤْمَنُ»^١.
 ﴿ وَ حَرْفٌ عَطْفٌ.
 ﴿ طَمَعًا ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿ حَوْفًا ﴾، ﴿ طَمَعًا ﴾ فِي ثَوَابِهِ وَجَنَّتَهُ. «الطَّمَعُ: تَوْقِعُ
 الْمَحْبُوبِ»^٢.

﴿ اِنَّ ﴾ تَأْكِيدٌ. ﴿ رَحِمْتَ ﴾ اسْمٌ ﴿ اِنَّ ﴾.
 ﴿ اَللّٰهُ ﴾ مِضَافٌ اِلَيْهِ. ﴿ قَرِيْبٌ ﴾ خَبَرٌ ﴿ اِنَّ ﴾.
 ﴿ مِّنَ الْمُحْسِنِيْنَ ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿ قَرِيْبٌ ﴾. «الْاِحْسَانُ: هُوَ النِّفْعُ الَّذِي
 يَسْتَحِقُّ بِهِ الْحَمْدُ»^٣. وَالْمُحْسِنُ هُوَ مَنْ فَعَلَ الْاِحْسَانَ اِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَغَيْرِهِمْ.


رواية

معتبرة ميسر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي
 الْاَرْضِ بَعْدَ اِصْلَاحِهَا ﴾ قال: فقال: يا ميسر انَّ الأرض كانت فاسدة فأصلحها الله عز وجل
 بنبيه صلوات الله عليهم فقال: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْاَرْضِ بَعْدَ اِصْلَاحِهَا ﴾^٤.
 ورواها العياشي^٥ و الطبرسي^٦.

١. التبيان ٤/٤٢٥.
٢. التبيان ٤/٤٢٥.
٣. التبيان ٤/٤٢٦.
٤. الكافي ١٥/١٥١، ح ٢٠ (٨/٥٨).
٥. التفسير العياشي ٢/١٥٠، ح ٥١.
٦. مجمع البيان ٢/٥٠٦.

تأويل

قال القمي: أصلها برسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام فأفسدوها حين تركوا أمير المؤمنين عليه السلام وذريته عليهم السلام.^١

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ۖ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾


بيان لربوبية الله تعالى من جهة المعاد كما في الآيات السابقة بيان لها من جهة الخلق والبدء.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: ﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾^٢.
﴿هُوَ﴾ مبتدأ، عائد إلى ﴿رَبِّكُمْ اللَّهُ﴾^٣. ﴿الَّذِي﴾ خبر.
﴿يُرْسِلُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو».
﴿الرِّيحَ﴾ مفعول به، إرسال ﴿الرِّيحَ﴾: هبوبها وإطلاقها.
﴿بُشْرًا﴾ حال من ﴿الرِّيحَ﴾ أي مبشرات.
﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ﴿يُرْسِلُ﴾.
﴿يَدَيْ﴾ مضاف إليه. أصله «يدي» حذفت «ن» للاضافة. أي قدام.
﴿رَحْمَتِهِ﴾ مضاف إليه ثان وثالث. والضمير عائد إلى ﴿رَبِّكُمْ اللَّهُ﴾. والمراد بالرحمة هنا المطر والتزولات السماوية.

١. تفسير القمي ١ / ٣٤٤.

٢. سورة الأعراف / ٥٤.

٣. سورة الأعراف / ٥٤.

﴿حَتَّى﴾ حرف غاية للابتداء وهي غاية لمضمون ﴿بَشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾.
 ﴿إِذَا﴾ ظرفية لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط متعلق بجوابه.
 ﴿أَقَلَّتْ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هي» عائد إلى ﴿الرِّيحِ﴾: الاقلال:
 «حمل الشيء بأسره حتى يقل في طاقة الحامل له بقوة جسمه»^١.
 ﴿سَحَابًا﴾ مفعول به، «السحاب: الغيم الجاري في السماء»^٢.
 ﴿ثِقَالًا﴾ نعت لـ ﴿سَحَابًا﴾، جمع ثقيل باعتبار حملها ثقل الماء.
 ﴿سُقْنَهُ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به والضمير المفعولي عائد إلى ﴿سَحَابًا﴾.
 جواب الشرط. «السوق: حث الشيء في السير حتى يقع الإسراع فيه»^٣.
 ﴿بِلَادٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿سُقْنَهُ﴾. ﴿إِ﴾ هنا بمعنى «إلى» أو لام العلة.
 ﴿مَيِّتٍ﴾ نعت لـ ﴿بِلَادٍ﴾. البلد الميت: أرض لا نبات فيها و «هو الذي اندرست
 مشاربه وتعفت مزارعه»^٤.

﴿فَ﴾ حرف عطف. ﴿أَنْزَلْنَا﴾ فعل ماض وفاعله.
 ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلْنَا﴾. والضمير عائد إلى ﴿سَحَابًا﴾.
 ﴿أَلْمَاءَ﴾ مفعول به. ﴿فَ﴾ للسببية. ﴿أَخْرَجْنَا﴾ فعل ماض وفاعله.
 ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَخْرَجْنَا﴾ والضمير عائد إلى ﴿بِلَادٍ﴾ أو ﴿أَلْمَاءَ﴾
 وعلى الأوّل الباء بمعنى «في» وعلى الثاني الباء للآلة.
 ﴿مِنْ﴾ حرف جر للتبعيض أو لتبيين الجنس. ﴿كُلِّ﴾ مجروره.
 ﴿الْثَّمَرَاتِ﴾ مضاف إليه. ﴿كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ في محل نصب بـ ﴿أَخْرَجْنَا﴾.

١. التبيان ٤ / ٤٣١.

٢. التبيان ٤ / ٤٣٠.

٣. التبيان ٤ / ٤٣١.

٤. التبيان ٤ / ٤٣١.

﴿ك﴾ اسم بمعنى مثل، مبتدأ. ﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة مضاف إليه.

﴿خُرِجُ﴾ خبر، فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن».

﴿الْمَوْتَى﴾ مفعول به. يعني بعد مماتهم يحييهم الله في يوم القيامة.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. بمعنى «لكي».

﴿تَذَكَّرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿لَعَلَّكُمْ﴾. أي تتفكرون وتعتبرون.

«والآية تحتج بإحياء الأرض على جواز إحياء الموتى لأتّهما من نوع واحد»^١.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي حَبَتْ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا^٢

كَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾

الآية الشريفة مثلٌ مضروبٌ «لترتب الأعمال الصالحة والآثار الحسنة على الذوات الطيبة الكريمة كخلافها على خلافها»^٢. و «حال المؤمن والكافر كحال الأرض في الطيب والخبث»^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْبَلَدُ﴾ مبتدأ، و «هو الأرض التي تجمع الخلق الكثير... وهو خلاف الفلاة والصحراء»^٤.

﴿الطَّيِّبُ﴾ نعت لـ ﴿الْبَلَدُ﴾. «الطيب وصف على وزن فيعل وهي صيغة تدلّ على قوة الوصف في الموصوف مثل: قيّم، وهو المتصف بالطيب»^٥ و «الطيب: ما فيه

١. الميزان / ٨ / ١٦٠.

٢. الميزان / ٨ / ١٦١.

٣. التبيان / ٤ / ٤٣٤.

٤. التبيان / ٤ / ٤٣٢.

٥. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور / ٨ / ١٤٢.

اسباب التلذذ وضده الخبيث وهو ما فيه أسباب النكرة»^١.

﴿تَخْرُجُ﴾ فعل مضارع، خبر، «الإخراج نقل الشيء من محيط به إلى غيره»^٢.
 ﴿نَبَاتُهُ﴾ فاعل ومضاف إليه، الضمير عائد إلى ﴿الْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾، كناية عن آثاره
 وآثاره.

﴿بِإِذْنِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تَخْرُجُ﴾، «الإذن: هو الإطلاق في الفعل برفع
 المنعة فيه»^٣.

﴿رَبِّهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. ربّ ﴿الْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾. ﴿و﴾ عاطفة.
 ﴿الَّذِي﴾ مبتدأ، معطوف على ﴿الْبَلَدُ﴾. يعني ﴿الْبَلَدُ﴾ ﴿الَّذِي﴾.
 ﴿حَبِثُ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى ﴿الْبَلَدُ﴾.
 ﴿لَا تَخْرُجُ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى ﴿نَبَاتُهُ﴾،
 خبر.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر.

﴿نَكِدًا﴾ حال من الضمير الفاعلي ﴿لَا تَخْرُجُ﴾، النكد: «كلُّ شيءٍ يخرج بتعسرٍ
 ومشقة»^٤. أو «النكد: العسر بشدّته الممتنع من إعطاء الخير على وجه البخل»^٥.

﴿كَذَلِكَ﴾ مبتدأ.

﴿نُصِرْفُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن»، خبر، التصريف: التنويع
 والتفنين والتبديل والبيان.

﴿الْآيَاتِ﴾ مفعول به، أي الدلائل الواضحات.

١. التبيان ٤/ ٤٣٣.

٢. التبيان ٤/ ٤٣٣.

٣. التبيان ٤/ ٤٣٣.

٤. التفسير الكاشف ٣/ ٣٤٢.

٥. التبيان ٤/ ٤٣٣.

﴿لِقَوْمٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نُصِرَفُ﴾.

﴿يَشْكُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله نعت لـ ﴿قَوْمٍ﴾.

والحاصل: «أنه تعالى يبين لهم آية بعد آية، وحجة بعد أخرى، ويضرب مثلاً بعد مثل ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ الله على إنعامه عليهم هدايته إياهم لما فيه نجاتهم وتبصيرهم سبيل أهل الضلال وأمره إياهم تجنب ذلك والعدول عنه»^١.

تأويل

قال القمي: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ وهو مثل الأئمة صلوات الله عليهم يخرج علمهم بإذن ربهم. ﴿وَالَّذِي خَبِثَ﴾ - مثل أعدائهم - ﴿لَا يَخْرِجُ﴾ - علمهم - ﴿إِلَّا نَكَدًا﴾ أي كدرًا فاسدًا.^٢

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّي غَيْرُهُ إِنِّي

أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

بعد أن بين الله في هذه السورة ﴿يَبْنِي ۚ آدَمَ ۖ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ۚ آيَاتِي...﴾^٣ أشار في الآيات التالية إلى قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب [وموسى] «وأوجز سبحانه قصة نوح هنا أشد الإيجاز، حيث اكتفى بذكر الحوار بينه وبين قومه، وإعراضهم عن دعوته، وكيف عجبوا ان يختار الله رسولا منهم، وأنه سبحانه أغرق المكذبين ونجى المؤمنين»^٤.

١. التبيان ٤/ ٤٣٤.

٢. تفسير القمي ١/ ٣٤٥.

٣. سورة الأعراف / ٣٥.

٤. التفسير الكاشف ٣/ ٣٤٥.

﴿لَ﴾ تأكيد، لام القسم لأنّ توجه الكلام إلى المشركين وهم ينكرون النبوة.
﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق، تأكيد آخر.

﴿أَرْسَلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعلُه، والضمير الفاعلي عائد إلى الله سبحانه. «وارساله إيّاه هو تكليفه القيام بالرسالة وهي منزلة جليلة شريفة يستحق بها الرسول بتقلبه إياها والقيام باعبائها أن يعظم أعلى تعظيم البشر»^١.

﴿نُوحًا﴾ مفعول به. «وهو أول رسول يذكر الله سبحانه تفصيل قصته في القرآن كما سيأتي تفصيل القول في قصته في سورة هود»^٢.

﴿إِلَى قَوْمِهِ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾.

﴿فَ﴾ عاطفة، أي فور إرساله بعنوان الرسول.

﴿قَالَ﴾ نوحٌ. ﴿يَا﴾ أداة نداء وخطاب.

﴿قَوْمٍ﴾ اسم منادى وأصله «قومي» حذف «ي» والكسرة في آخره يدل عليه.

نوح أضاف القوم «إلى نفسه ليكون جرياً على مقتضى النصح»^٣.

﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ فعل أمر وفاعلُه ومفعول به. وأول ما دعاهم إليه هو «توحيد الله

تعالى فإن دعاهم إلى عبادته، وأخبرهم بانتفاء كل إله غيره فيكون دعوة إلى عبادة الله وحده من غير أن يشرك به في عبادته غيره، وهو التوحيد»^٤.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿لَكُمْ﴾ جارٍ ومجرور، خبر مقدم.

﴿مِّنْ﴾ حرف جر زائد للتأكيد. ﴿إِلَيْهِ﴾ مبتدأ مؤخر ومجرور لفظاً بـ﴿مِّنْ﴾.

﴿غَيْرُهُ﴾ نعت لـ﴿إِلَيْهِ﴾ أو بدل منه على المحلّ لا اللفظ. ومضاف إليه. والجملة

١. التبيان ٤/ ٤٣٥.

٢. الميزان ٨/ ١٧٤.

٣. الميزان ٨/ ١٧٤.

٤. الميزان ٨/ ١٧٤.

- ﴿ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ﴾ تصريح بالتوحيد.
- ﴿ إِنِّي ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد واسمه.
- ﴿ أَخَافُ ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا»، خبر ﴿ إِنِّي ﴾.
- ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ أَخَافُ ﴾.
- ﴿ عَذَابَ ﴾ مفعول به. ﴿ يَوْمٍ ﴾ مضاف إليه.
- ﴿ عَظِيمٍ ﴾ نعت لـ ﴿ يَوْمٍ ﴾. «وظاهره يوم القيامة فيكون في ذلك دعوة إلى أصلين من أصول الدين وهما التوحيد والمعاد»^١.

الروايات

صحيحة أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل: ... حتى بعث الله نوحاً عليه السلام وظهرت وصية هبة الله حين نظروا في وصية آدم عليه السلام فوجدوا نوحاً عليه السلام نبياً قد بشر به آدم عليه السلام فأمنوا به وأتبعوه وصدقوه وقد كان آدم عليه السلام وصى هبة الله أن يتعاهد هذه الوصية عند رأس كل سنة فيكون يوم عيدهم فيتعاهدون نوحاً وزمانه الذي يخرج فيه وكذلك جاء في وصية كل نبي حتى بعث الله محمداً عليه السلام وإنما عرفوا نوحاً بالعلم الذي عندهم وهو قول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ وكان من بين آدم ونوح من الأنبياء مستخفين ولذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسموا كما سمي من استعلن من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وهو قول الله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾^٢ يعني لم أسم المستخفين كما سميت المستعلنين من الأنبياء عليهم السلام.

فمكث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، لم يشاركه في نبوته أحد

١. الميزان ٨ / ١٧٤.

٢. سورة النساء / ١٦٤.

ولكنه قدم على قوم مكذّبين للأنبياء ﷺ الذين كانوا بينه وبين آدم ﷺ وذلك قوله الله ﷻ: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾^١ يعني من كان بينه وبين آدم ﷺ إلى أن انتهى إلى قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾^٢ ثم إن نوحاً ﷺ لما انقضت نبوته واستكملت أيامه أوحى الله ﷻ إليه أن يا نوح قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة، الحديث. ٣.

خبر عبد الحميد بن أبي الديلم، عن الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد ﷺ قال: لما بعث الله ﷻ هوداً ﷺ أسلم له العقب من ولد سام، وأمّا الآخرون فقالوا: من أشدّ منّا قوّة فأهلكوا بالرّيح العقيم، وأوصاهم هود وبشّرهم بصالح ﷺ. ٤.

خبر سالم قال: قال الصادق جعفر بن محمد ﷺ: لما حضرت نوحاً ﷺ الوفاة دعا الشيعة فقال لهم: اعلّموا أنّه ستكون من بعدي غيبة تظهر فيها الطواغيت، وأنّ الله ﷻ يفرّج عنكم بالقائم من ولدي، اسمه هود، له سمت وسكينة ووقار، يشبهني في خلقي وخلقني، وسيهلك الله أعداءكم عند ظهوره بالرّيح، فلم يزلوا يترقّبون هوداً ﷺ وينتظرون ظهوره حتّى طال عليهم الأمد وقست قلوب أكثرهم، فأظهر الله تعالى ذكره نبيّه هوداً ﷺ عند اليأس منهم وتناهى البلاء بهم وأهلك الأعداء بالرّيح العقيم التي وصفها الله تعالى ذكره، فقال: ﴿مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ﴾^٥ ثمّ وقعت الغيبة [به] بعد ذلك إلى أن ظهر صالح ﷺ. ٦.

١. سورة الشعراء / ١٠٥.

٢. سورة الشعراء / ١٩١.

٣. الكافي ١٥ / ٢٨٠، ح ٩٢ (١١٥ / ٨).

٤. كمال الدين وتمام النعمة / ١٣٦، ح ٥.

٥. سورة الذاريات / ٤٢.

٦. كمال الدين وتمام النعمة / ١٣٥، ح ٤.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَلٍ مُّبِينٍ ﴾

جواب الملاء من قوم نوح في مقابل دعوته.

﴿ قَالَ ﴾ على طريقة فصل المحاورات.

﴿ الْمَلَأُ ﴾ فاعله. و «هم أشرف القوم وخواصهم سموا به لأنهم يملؤن

القلوب هيبة والعيون جمالاً وزينة»^١.

﴿ مِنْ قَوْمِهِ ﴾ حرف جر بياني ومجروره متعلق بحال محذوف من ﴿ الْمَلَأُ ﴾

تقديره: حال كونهم ﴿ مِنْ قَوْمِهِ ﴾.

﴿ إِنَّا ﴾ حرف مشبه بالفعل تأكيد واسمه. ﴿ لَ ﴾ المرحلة.

﴿ نَرْنَكَ ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن» ومفعول به. خبر ﴿ إِنَّا ﴾.

والرؤية هنا هي الرؤية بحسب الفكر أعني الحكم.

﴿ فِي ضَلَلٍ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ نَرْنَكَ ﴾.

﴿ مُّبِينٍ ﴾ نعت لـ ﴿ ضَلَلٍ ﴾. «إنما رموا بالضلال المبين وأكدوه تأكيداً شديداً لأنهم

لم يكونوا ليتوقعوا أن معترضاً يعترض عليهم بالدعوة إلى رفض آلهتهم وتوجيه العبادة

إلى الله سبحانه بالرسالة والإنذار فتعجبوا من ذلك فأكدوا ضلاله مدعين أن ذلك من

بين الضلال تحقيقاً»^٢ بنظرهم وعلى رأيهم وحكمهم.

١. الميزان ٨ / ١٧٤.

٢. الميزان ٨ / ١٧٤.

﴿ قَالَ يَنْقُومُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٦١﴾

جواب نوح النبي ﷺ للملاء ﴿ مِنْ قَوْمِهِ ﴾^١ ومنه ظهر الأصل الثالث من أصول الدين وهو النبوة والرسالة بعد التوحيد والمعاد.

﴿ قَالَ ﴾ نوح ﷺ . ﴿ يَنْقُومُ ﴾ حرف نداء ومنادى، مرّت أعرابه في الآية ٥٩ .

﴿ لَيْسَ ﴾ فعل ماض ناقص .

﴿ بِي ﴾ حرف جر للمصاحبة أو الملابسة ومجروره، خبر ﴿ لَيْسَ ﴾ .

﴿ ضَلَالَةٌ ﴾ اسم ﴿ لَيْسَ ﴾ . أي ﴿ لَيْسَ بِي ﴾ عدول عن الحق . ﴿ وَ ﴾ استثنائية .

﴿ لَكِنِّي ﴾ حرف مشبه بالفعل، استدراك لرفع ما توهموه من أنه ﴿ فِي ضَلَالٍ

مُبين^٢ ، واسمه .

﴿ رَسُولٌ ﴾ خبر ﴿ لَكِنِّي ﴾ .

﴿ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه . ﴿ مِّن ﴾ : لابتداء الغاية «ومعناه

أن الله تعالى هو الذي ابتدأني بالرسالة»^٣ «والمنتهى إليه الرسالة لأُمته لأنه أرسل

إليهم»^٤ . وذكر الله سبحانه بوصف ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ «ليجمع له الربوبية كلها قبال

تقسيمهم إياها بين آلهتهم بتخصيص كل منها بشيء من شؤونها وأبوابها كربوبية البحر

وربوبية البر وربوبية الأرض وربوبية السماء وغير ذلك .

وقد جرد ﷺ جوابه عن التأكيد للإشارة إلى ظهور رسالته وعدم ضلالته تجاه

إصرارهم بذلك وتأكيد دعواهم»^٥ .

١ . سورة الأعراف / ٦٠ .

٢ . سورة الأعراف / ٦٠ .

٣ . التبيان / ٤ / ٤٣٧ .

٤ . التبيان / ٤ / ٤٤٣ .

٥ . الميزان / ٨ / ١٧٤ .

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٣﴾

تتمة الآية السابقة وفيها أخبر نوح النبي ﷺ بأوصاف نفسه وأكد رسالاته.
 ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا» ومفعول به أوّل، والجملة نعت لـ ﴿رَسُولٌ﴾ في الآية السابقة.
 ﴿رِسَالَاتٍ﴾ مفعول به ثان.
 ﴿رَبِّي﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. ورسالات الله عبارة عن توحيد الربوبية و«عبادة الله وطاعته واجتناب محارمه والعمل بشريعته وهي حِكْمٌ مِنْ تَرْغِيبٍ وَتَحْذِيرٍ ووعد ووعيد ومواعظ ومزاجر وحجج وبراهين وأحكام يعمل بها وحدود ينتهي إليها»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَنْصَحُ﴾ معطوف على ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾. «النصيحة: إخلاص النية من شائب الفساد في المعاملة والنصح: خلاف الغش في العمل ولا يكون الغش إلا بسوء النية»^٢.
 ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْصَحُ﴾ ونصحه لهم «هو عظاته بالإنذار والتبشير ليقربهم من طاعة ربهم ويبعدهم عن الاستكبار والاستتكاف عن عبوديته كل ذلك بذكر ما عرفه الله من بدء الخلق وعودها وسننه تعالى الجارية فيها»^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَعْلَمُ﴾ معطوف على ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَعْلَمُ﴾. ﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله. ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المعارف

١. التبيان ٤/٤٣٨.

٢. التبيان ٤/٤٣٨.

٣. الميزان ٨/١٧٥.

الدينية والعقائد الحقّة والأحكام الشرعية والأخلاق الفاضلة أو ما لا يتحمّله قلوبكم منها ومن مراتب الإيثار.

«ومن هنا يظهر أن الجمل الثلاث كل مسوق لغرض خاص أعني قوله: ﴿أَبْلِغُكُمْ﴾ الآية و ﴿أَنْصَحُ لَكُمْ﴾ و ﴿أَعْلَمُ﴾ الآية وهي ثلاثة أوصاف متوالية لا كما قيل: إن الأوليان صفتان، والثالثة جملة حالية عن فاعل ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾^١.

﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ

وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

«هذه الآية تفريع من نوح ﷺ لقومه على صورة الاستفهام بأنهم عجبوا أن جاءهم ذكر من ربهم»^٢.

﴿أ﴾ استفهام إنكاري، ينكر تعجبهم من دعوى الرسالة لنوح ﷺ.

﴿و﴾ عاطفة، عطفت على قوله: ﴿إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^٣.

﴿عَجِبْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. «التعجب تغيير النفس بما خفي سببه وخرج عن

العادة مثله لأنه لا مثل له في العادة»^٤.

﴿أَنْ﴾ مصدرية.

﴿جَاءَكُمْ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدم. بتأويل مصدر تقديره: «من مجيء»

مفعول به ﴿عَجِبْتُمْ﴾.

١. الميزان ٨ / ١٧٥.

٢. التبيان ٤ / ٤٣٩.

٣. سورة الأعراف / ٦٠.

٤. التبيان ٤ / ٤٣٩.

﴿ذَكَرٌ﴾ فاعل. تنكيه للنوعية. «الذكر: حضور المعنى للنفس»^١. والمراد به هنا: «ما يذكر به الله وهو المعارف الحقة التي أوحيت إليه»^٢.

﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حرف جر بياني ومجروره ومضاف إليه. متعلق بمقدر أي ﴿ذَكَرٌ﴾ كائن ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

﴿عَلَى رَجُلٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَاءَكُمْ﴾ وتنكيه للنوعية.
﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿رَجُلٍ﴾ و «من» بياني.
﴿لِ﴾ حرف جر للتعليل.

﴿يُنذِرْكُمْ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «ان» مضمرة بعد اللام وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به بتأويل مصدر تقديره: «الانذاركم» متعلق بـ ﴿جَاءَكُمْ﴾، «الانذار: هو الإعلام بموضع المخافة والتحذير هو الزجر عن موضع المخافة»^٣.

﴿وَوَ﴾ عاطفة. ﴿لِتَتَّقُوا﴾ معطوف على ﴿يُنذِرْكُمْ﴾.
﴿وَوَ﴾ عاطفة. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.
﴿تُرْحَمُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله، خبر ﴿لَعَلَّكُمْ﴾. أي: معناه: رجاء أن تشملكم الرحمة الإلهية.

فالآية الشريفة عدت وظائف الرسول وهي: الانذار ونتيجته التقوى والحاصل منهما هي الرحمة والنجاة في يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

١. التبيان ٤/٤٣٩.

٢. الميزان ٨/١٧٥.

٣. التبيان ٤/٤٣٩.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ ﴿٦٤﴾

«إخبار من الله تعالى عن قوم نوح أنه لم ينفع فيهم ذلك التخويف ولا الوعظ والزجر وأتهم كذبوه»^١.

﴿فَ﴾ تفریع على جواب نوح ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ لهم في الآية السابقة.

﴿كَذَّبُوهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. أي «نسبوا خبره إلى الكذب لأنَّ

التكذيب نسبة الخبر إلى الكذب»^٢.

﴿فَ﴾ تفریعیة.

﴿أَنْجَيْنَاهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. «إخبار من الله تعالى أنه أنجا نوحاً

والإنجاء هو التخليص من الهلكة»^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول معطوف على «هـ» مفعول به.

﴿مَعَهُ﴾ ظرف مكان يدل على المصاحبة متعلِّق بفعل محذوف: استقروا،

ومجروره.

﴿فِي الْفُلِّ﴾ جارٍ ومجرور متعلِّق بمعنى قوله ﴿مَعَهُ﴾ لأنَّ تقديره: استقروا

﴿مَعَهُ فِي الْفُلِّ﴾. ﴿الْفُلِّ﴾: السفينة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

١. التبيان / ٤ / ٤٤٠.

٢. التبيان / ٤ / ٤٤٠.

٣. التبيان / ٤ / ٤٤٠.

﴿أَغْرَقْنَا﴾ معطوف على «انجيناً». «الاغراق هو الغوص المتلف في الماء»^١.
 ﴿الَّذِينَ﴾ مفعول به. ﴿كَذَّبُوا﴾ مرّت إعرابه.
 ﴿بِقَائِنَتَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿كَذَّبُوا﴾.
 ﴿إِيَّاهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، تأكيد.
 ﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
 ﴿قَوْمًا﴾ خبر ﴿كَانُوا﴾، وجملة ﴿كَانُوا قَوْمًا﴾ خبر ﴿إِيَّاهُمْ﴾.
 ﴿عَمِينَ﴾ نعت لـ ﴿قَوْمًا﴾. ﴿عَمِينَ﴾ جمع سالم من عمّ صفة مشبهة ومشتق
 من العمى يختص بعمى البصيرة والأعمى بعمى البصر كما قيل، «والعمى: الضلال
 عن طريق الهدى فهم كالعمى في أنهم لا يبصرون طريق الرشدهم فهم عمى عن الحق»^٢.
 والجملة الأخيرة ﴿إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ تنزل منزلة العلة لـ ﴿أَغْرَقْنَا﴾.
 وإلى هنا تمت قصة النبي نوح عليه السلام في هذه السورة.

﴿وَالِإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَنْقَوْمِرِ اعْبُدُوا اللَّهَ

مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾

هذه الآية وما بعدها نظير ما نزلت في قصة نوح النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفظاً ومعنى،
 ولكنها نزلت في قصة هود النبي عليه السلام.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾^٣.
 ﴿إِلَىٰ عَادٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ في تلك الآية.

١. التبيان ٤ / ٤٤٠.

٢. التبيان ٤ / ٤٤٠.

٣. سورة الأعراف / ٥٩.

قدّم المجرور على المفعول للايجاز حيث أُريد وصف هود عليه السلام بعدم الاتيان بالإضمار. «وعادُ أمة عظيمة من العرب العاربة البائدة، وكانوا عشر قبائل، وقيل ثلاث عشرة قبيلة وهم أبناء عاد بن عُوص، وعوص هو ابن إرم بن سام بن نوح، كذا اصطلاح المؤرخون^١... وعادُ أُريد به القبيلة وساغ صرفه لأنه ثلاثي ساكن الوسط، وكانت منازل عاد ببلاد العرب بالشَّحر - بكسر الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة - من أرض اليمن وحضرموت وعمان والأحقاف، وهي الرمال التي بين حضرموت وعمان»^٢.

﴿أَخَاهُمْ﴾ مفعول به ﴿أرسلنا﴾ ومضاف إليه والضمير عائد إلى ﴿عادٍ﴾. «والأخ هنا مستعمل في مطلق القريب، على وجه المجاز المرسل ومنه قولهم يا أخا العرب، وقد كان هود من بني عادٍ، وقيل: كان ابن عم إرم، ويطلق الأخ مجازاً أيضاً على المصاحب الملازم، كقولهم: هو أخو الحرب، ومنه ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطِينِ﴾^٣ - وقوله - ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ﴾^٤. فالمراد أن هوداً كان من ذوي نسب قومه عاد، وإنما وصف هود وغيره بذلك، ولم يُوصف نوح بأنه أخ لقومه: لأنَّ النَّاسَ في زمن نوح لم يكونوا قد انقسموا شعوباً وقبائل، والعرب يقولون: للواحد من القبيلة: أخو بني فلان، قصداً لغزوه ونسبته تمييزاً للنَّاسِ إذ قد يشتركون في الأعلام، ويؤخذ من هذه الآية ونظائرها أنَّ نظام القبائل ما حدث إلا بعد الطوفان»^٥.

﴿هُودًا﴾ عطف بيان أو بدل من ﴿أَخَاهُمْ﴾. اختلف المؤرخون في نسب هود «فقيل: هو من ذرية عاد، فقال القائلون بهذا: هو ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ١٥٤.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ١٥٥.

٣. سورة الإسراء / ٢٧.

٤. سورة الأعراف / ٢٠٢.

٥. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ١٥٥.

عاد، وقيل: هو من ذرية سام جد عاد، وليس من ذرية عاد، والقائلون بهذا قالوا هو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح^١ وقبره بالغري الشريف لما ورد في زيارة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «السلام عليك وعلى جاريك هود وصالح»^٢، خلافاً لما ورد عن علي عليه السلام في تفسير الطبري^٣ من أن قبره في أرض حضرموت.

﴿قَالَ﴾ هود. ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ مرّت في الآية ٥٩.

﴿أَنَّ﴾ استفهام إنكاري. ﴿فَ﴾ تفرّيع على الجملة السابقة. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿تَتَّقُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. مراده التقوى من عذاب الله تعالى لأنه «قبل نوح لم يظهر في العالم مثل ذلك العذاب، وهو الطوفان، وكان قوم هود على علم به، فحذرهم وأمرهم أن يتقوا الله بترك الشرك والاقرار له بالوحدانية»^٤.

رواية

صحيحة الحسن بن محبوب السراد عن مقاتل بن سليمان بن دوال دوز عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث: ... وليس بين سام إلا هود، فكان ما بين نوح وهود من الأنبياء مستخفين ومستعلنين، وقال نوح: إن الله تبارك وتعالى باعث نبياً يقال له: هود وإنه يدعو قومه إلى الله عز وجل فيكذبونه، وإن الله عز وجل مهلكهم بالريح فمن أدركه منكم فليؤمن به وليتبعه فإن الله تبارك وتعالى ينجي من عذاب الريح وأمر نوح ابنه سام أن يتعاهد هذه الوصية عند رأس كل سنة، ويكون يوم عيد لهم فيتعاهدون فيه بعث هود وزمانه الذي يخرج فيه، فلما بعث الله تبارك وتعالى هوداً نظروا فيما عندهم من العلم والإيمان وميراث العلم والاسم الأكبر وآثار

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ١٥٤.

٢. المزار / ٢٥٥؛ الإقبال ٣ / ١٣٥؛ بحار الأنوار ٥٣ / ٢٧١.

٣. تفسير الطبري ٨ / ٢٥٥.

٤. التفسير الكاشف ٣ / ٢٤٧.

علم النبوة فوجدوا هوداً نبياً وقد بشرهم به أبوهم نوح فأمنوا به وصدقوه وأتبعوه فنجوا من عذاب الريح، وهو قول الله ﷻ: ﴿وَالِىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ وقوله ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١﴾ ٢.

مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي الخراساني المتوفى سنة ١٥٠ هـ عدّه الشيخ في الرجال من أصحاب الباقر^٣ والصادق^٤ ولكن وصفه في الأوّل بالبِئْرِيّ وفي الثاني بالخراساني. والبترية: هم جماعة كانوا أولاً من الزيدية لتبراءهم من أعداء الشيخين والصحيح أنهم من العامة، والمشهور أن مقاتل ضعيف وله تفسير القرآن مطبوع في ثلاث مجلدات.^٦

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ
وَإِنَّا لَنَنْظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

«هذه الآية إخبار عما قالت الجماعة الكافرة من قوم هود له»^٧.

﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول نعت لـ ﴿الْمَلَأُ﴾.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله. «فإن قلت: لم وصف الملأ بـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

دون الملأ من قوم نوح؟ قلت: كان في أشرف قوم هود من آمن به، منهم مرثد بن

١. سورة الشعراء / ١٢٣ و ١٢٤.

٢. كمال الدين وتمام النعمة / ١ / ٢١٦.

٣. رجال الطوسي / ١٣٨، رقم ٤٩.

٤. رجال الطوسي / ٣١٣، رقم ٥٣٦.

٥. بضم الباء وقيل: كسرهما والحقّ تثليثها.

٦. طبع بتحقيق أحمد فريد في ضمن منشورات دارالكتب العلمية في سنة ١٤٢٤ ق في بيروت.

٧. التبيان / ٤ / ٤٤٢.

سعد الذي أسلم وكان يكتنم إسلامه فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشرف قوم نوح مؤمن. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾^١ ويجوز أن يكون وصفاً وارداً للذم لا غير^٢.

ويرده عليه: «وصف ﴿الْمَلَأُ﴾ بـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا، دون ما في قصة نوح، ووصف كاشف وليس للتقييد تفنناً في أساليب الحكاية ألا ترى أنه قد وُصف ملاً قوم نوح بـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في آية سورة هود^٣، والتوجيه الذي في «الكشاف» هنا غفلة عما في سورة هود^٤.

﴿ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَزَلْنَا فِي ﴾ قد مرّ في الآية ٦٠.

﴿ سَفَاهَةً ﴾ وهي سخافة العقل وخفته وخفة الحلم. ﴿ وَ ﴾ عاطفة.

﴿ إِنَّا لَنَظُنُّكَ ﴾ معطوف على ﴿ لَنَزَلْنَا ﴾.

﴿ مِنْ أَلْكَذِبِينَ ﴾ جار ومجرور متعلق بمفعول به «نظن». «وقد تشابهت أقوال قوم هود وأقوال قوم نوح في تكذيب الرسول لأنّ ضلالة المكذّبين متّحدة، وشبهاتهم متّحدة، كما قال تعالى: ﴿كَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^٥ فكأنهم لقن بعضهم بعضاً كما قال تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾^٦»^٧.

١. سورة المؤمنون / ٣٣.

٢. الكشاف ١١٦ / ٢ ونقل عنه في الميزان ٨ / ١٧٧.

٣. سورة هود / ٢٧.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ١٥٦.

٥. سورة البقرة / ١١٨.

٦. سورة الذاريات / ٥٣.

٧. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ١٥٦.

﴿ قَالَ يَفْقَوْمٍ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

مرّت نظيرها في الآية ٦١ فلا نعيد.

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي ﴾ مرّت في الآية ٦٢. ﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ أَنَا ﴾ مبتدأ. ﴿ لَكُمْ ﴾ جار ومجرور متعلّق بالخبر، وتقديم ﴿ لَكُمْ ﴾ على عامله للإيدان باهتمامه بما ينفعهم.

﴿ نَاصِحٌ ﴾ خبر، أي «إني ﴿ نَاصِحٌ ﴾ ﴿ لَكُمْ ﴾ فيما أدعوكم إليه من طاعة الله واخلاص عبادته»^١. وقد مرّ معنى النصح في الآية ٦٢. ﴿ أَمِينٌ ﴾ نعت لـ ﴿ نَاصِحٌ ﴾، «الأمين»: المأمون من أن يكون منه تغيير أو تبديل»^٢. «والأمانة من أعزّ أوصاف البشر وهي من اخلاق المسلمين»^٣.

رواية

قال سليمان: قال سفيان: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما يجوز أن يُزكّي الرجل نفسه؟ قال: نعم، إذا اضطرّ إليه، أما سمعت قول يوسف: ﴿ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾^٤، وقول العبد الصالح: ﴿ أَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾^٥؟

١. التبيان ٤/٤٤٣.

٢. التبيان ٤/٤٤٤.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/١٥٧.

٤. سورة يوسف / ٥٥.

٥. تفسير العياشي ٢/٣٤٨، ح ٤١.

﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۖ وَأَذْكُرُوا
إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصِطَةً
فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٦٦﴾

تتمة جواب هود النبي ﷺ للملاء ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾^١.
﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ مر في الآية

.٦٣

﴿و﴾ استثنائية.

﴿أَذْكُرُوا﴾ فعل أمر وفاعله. وذكّرهم الله بنعمتين ظاهرتين:

﴿إِذْ﴾ اسم زمان، مفعول به.

﴿جَعَلَكُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. واجعل هنا

تكويني.

﴿خُلَفَاءَ﴾ مفعول به أول. جمع خليفة وهو الذي يخلف غيره في شيء يعني يتولى

عمل ما كان يعملها الآخر.

﴿مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ يعني أنهم خلفاء قوم نوح «فعاذ أول أمة اضطلعت

بالحضارة بعد الطوفان، وكان بنو نوح قد تكاثروا وانتشروا في الأرض، في أرمينية

والموصل والعراق وبلاد العرب، وكانوا أمماً كثيرة، أو كانت عاد عظم تلك الأمم

وأصحاب السيادة على سائر الأمم»^٢ و «امتنان عليهم بما مكنهم في الأرض وجعلهم

بدل قوم نوح حين اهلكهم الله»^٣. هذه هي الأولى.

١. سورة الأعراف / ٦٦.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ١٥٨.

٣. التبيان ٤ / ٤٤٤.

﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ الجملة معطوفة على جملة ﴿جَعَلَكُمْ﴾، يعني: «عظم الهيكل البدني المستلزم لزيادة الشدة والقوة، ومن هنا يظهر أنهم كانوا ذوي حضارة وتقدم، وصيت في البأس والقوة والقدرة»^١. وهذه هي الثانية.

﴿ف﴾ «فصيحة، أي: إن ذكرتم وقت جعلكم الله خلفاء في الأرض ووقت زادكم بصطة فاذكروا نعمه الكثيرة تفصيلاً»^٢.

﴿أَذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ﴾ ثم اتبعها بالتنبيه إلى سائر النعم. الآلاء: جمع إلى: النعمة. ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ ذكر النعم يؤدي إلى تكرير شكر المنعم وإلى طاعته وبالمال ينتهى إلى الفلاح وهو النعيم الجنة الأبدية الدائمة.

روايتان

خبر أبي يوسف البرزاز قال: تلا أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية: ﴿أَذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ﴾ قال: أتدري ما آلاء الله؟ قلت: لا، قال: هي أعظم نعم الله على خلقه وهي ولايتنا^٣. قال أبو جعفر عليه السلام: كانوا كأثم النخل الطوال، وكان الرجل منهم ينحت الجبل بيده فيهدم منه قطعة^٤.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَدْرَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾^٥

﴿فَأْتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾

هذه مقالة عاد لهود في جواب دعوتهم إلى التوحيد، استدلوا بتقليد آبائهم

١. الميزان ٨/ ١٧٨.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/ ١٦٠.

٣. الكافي ١/ ٥٣٩، ح ٣ (١/ ٢١٧).

٤. التبيان ٤/ ٤٤٥.

«وتعجيز هود مشوباً بنوع من الاستهزاء بما أنذرهم من العذاب»^١.
 ﴿قَالُوا﴾ عاد في جواب هود النبي ﷺ. ﴿أ﴾ استفهام إنكاري تعجبي.
 ﴿جِئْنَا﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به، أي أتيتنا وقصدتنا واهتممت بنا.
 ﴿ل﴾ حرف جر للتعليل.
 ﴿نَعْبُدُ﴾ فعل مضارع منصوب بـ«أن» مضمرة بعد ﴿ل﴾ التعليل وفاعله ضمير مستتر «نحن».

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به.
 ﴿وَحَدُّهُ﴾ حال من ﴿اللَّهُ﴾. «اسم مصدر أَوْحَدَهُ: إذا اعتقده واحداً»^٢.
 ﴿و﴾ عاطفة. ﴿نَذَرَ﴾ معطوف على ﴿نَعْبُدُ﴾، أي: نترك.
 ﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به. ﴿كَانَ يَعْبُدُ﴾ ماض استمراري.
 ﴿ءَابَاؤُنَا﴾ فاعل ومضاف إليه. يعني: «كيف نترك ما كان يعبد آباؤنا؟!»^٣.
 ﴿فَ﴾ تفریع لطلب تحقيق ما توعدهم به.
 ﴿آتَيْنَا﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به، للتعجيز والاستهزاء.
 ﴿بِ﴾ حرف جر. ﴿مَا﴾ موصولة، جار ومجرور متعلق بـ﴿آتَيْنَا﴾.
 ﴿تَعِدُنَا﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به، يعني ﴿تَعِدُنَا﴾ من العذاب، «استعجلوا العذاب استعجال من يهزأ بالناصح الأمين»^٤.
 ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ «عقبوا كلامهم بالشَّرط فقالوا: ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ استقصاء لمقدرته قصداً منهم لإظهار عجزه عن الإتيان بالعذاب فلا يسعه

١. الميزان ٨/ ١٧٨.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/ ١٦١.

٣. التبيان ٤/ ٤٤٦.

٤. التفسير الكاشف ٣/ ٣٤٨.

إلا الاعتراف بأنه كاذب، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله تقديره: أتيت به وإلا فلست بصادق»^١.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رَجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمِيَّتُمْوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾

جواب هود لقومه «بأن إصرارهم على عبادة الأوثان بتقليد آبائهم أوجب أن يحق عليهم البعد عن الله بالرجس والغضب؛ ثم فرع عليه أن هددهم بما يستعجلون من العذاب، وأخبرهم بنزوله عليهم لا محالة»^٢.

﴿قَالَ﴾ هود. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿وَقَعَ﴾ أي وجب وثبت وحق. «الوقوع: وجود الشيء نازلاً بالحدوث»^٣. ﴿عَلَيْكُمْ﴾ على أمة هود الكافرة.

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الواقعي الحقيقي الذي كفرتم وأشركتم به سبحانه.

﴿رَجْسٌ﴾ فاعل ﴿وَقَعَ﴾. الرجس: العذاب، و «الرجس والرجز واحد فقلبت الزاي سيناً»^٤.

﴿وَوَغَضَبٌ﴾ والمراد به السبب الموجب للعذاب.

﴿أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمِيَّتُمْوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ رد

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/ ١٦٢.

٢. الميزان ٨/ ١٧٩.

٣. التبيان ٤/ ٤٤٦.

٤. التبيان ٤/ ٤٤٦.

هود النبي ﷺ لما استند قومه «إليه في الوهية ألهم وهو أنهم وجدوا آباءهم على عبادتها - وهم أكمل منهم ومن في طبقتهم كهود وأعقل - فيجب عليهم أن يقلدوهم.

ومحصله أنكم وآباءكم سواء في أنكم جميعاً أتيتم بأشياء ليس لكم على ما ادعيتم من صفتها وهي الألوهية من سلطان وهو البرهان والحجة القاطعة فلا يبقى لها من الألوهية إلا الأسماء التي سميتوها بها إذ قلتم: إله الخصب وإله الحرب وإله البحر وإله البر، وليس لهذه الأسماء مصاديق إلا في أوهاكم، فهل تجادلونني في الأسماء، وللإنسان أن يسمي كل ما شاء بما شاء إذ لم يعتبر تحقق المعنى في الخارج»^١.

﴿فَأَنْتَظِرُوا﴾ أمرهم بالانتظار كناية عن نزول العذاب.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ إخبار لهم بأنه مثلهم في انتظار نزول العذاب.

رواية

خبر أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال: قال الرضا ﷺ: ما أحسن الصبر وانتظار الفرج أما سمعت قول الله ﷻ: ﴿وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾^٢، ﴿فَأَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾، فعليكم بالصبر فإنه إنما يجيء الفرج على اليأس، فقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم»^٣.

وورد مختصراً في تفسير العياشي^٤.

١. الميزان ٨/ ١٧٩.

٢. سورة هود/ ٩٣.

٣. كمال الدين وتمام النعمة ٢/ ٦٤٥، ح ٥.

٤. تفسير العياشي ٢/ ١٥٠، ح ٥٢.

﴿فَأُجِيبَتْهُمُ الَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا^ط وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾

«إخبار من الله تعالى أنه أنجى هوداً والذين آمنوا معه برحمة منه»^١.

﴿فَ﴾ للتعقيب. ﴿أُجِيبَتْهُمُ﴾ الانجاء: التخليص من الهلاك.

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ يعني من آمن به من قومه فالمعية هنا هي المصاحبة في الدين.^٢

﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ «تنكير الرحمة للدلالة على النوع أي بنوع من الرحمة وهي الرحمة

التي تختص بالمؤمنين من النصر الموعودة لهم قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾^٣، وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٤»^٥.

﴿وَقَطَعْنَا﴾ «القطع: هو أفراد الشيء عن غيره مما كان على تقدير الاتصال به»^٦

كناية عن الإهلاك.

﴿دَابِرَ﴾ الدابر: الكائن خلف الشيء، والمراد هنا: النسل اللاحق المتصل

بالإنسان في سبب ممتد كالدابر، وإهلاك الإنسان يصير كقطع هذا السبب الموصول بينه وبين نسله.^٧

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ لأنهم كانوا كافرين.

١. التبيان ٤/ ٤٤٧.

٢. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/ ١٦٥.

٣. سورة المؤمن / ٥١.

٤. سورة الروم / ٤٧.

٥. الميزان ٨/ ١٨٠.

٦. التبيان ٤/ ٤٤٨.

٧. راجع الميزان ٨/ ١٨٠.

﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ تأكيد على انهم لم يكونوا مؤمنين وتأسيس على أن كلنا الصلتين موجب لقطع نسلهم وإهلاكهم وهما: التكذيب وعدم الإيمان وهو الكفر، تعريضاً بمشركي قريش وغيرهم لعظمتهم بهذه القصة. وهذا الآية تمت قصة هود النبي ﷺ في هذه السعدة.

رواية

روى أبو حمزة الثمالي عن سالم عن أبي جعفر ﷺ قال إن الله تبارك وتعالى بيت ريح مقفل عليه لو فتح لأذرت^١ ما بين السماء والأرض ما أرسل على قوم عاد إلا قدر الخاتم وكان هود وصالح وشعيب وإسماعيل ونبينا ﷺ يتكلمون بالعربية^٢.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقَوْمِرِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾

بداية قصة الصالح النبي ﷺ وقومه ثمود.
﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا...﴾^٣.
﴿إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقَوْمِرِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ قد مرّت في الآيتين السابقتين ٥٩ و ٦٥.
و ﴿ثَمُودَ﴾ «هنا ممنوع من الصّرف لأنّ المراد به القبيلة لا جدّها. وأسماء القبائل

١. أذرتة الريح اذراء: أطارته وأذهبته.

٢. مجمع البيان ٥١٦/٢.

٣. سورة الأعراف / ٥٩.

ممنوعة من الصّرف على اعتبار التّأنيث مع العلميّة وهو الغالب في القرآن، وقد ورد في بعض آيات القرآن مصروفاً كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ ثُمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾^١ على اعتبار الحيّ فينتفي موجب منع الصّرف لأنّ الاسم عربي^٢.

وهم «أمة عظيمة من العرب البائدة وهم أبناء ثمود بن جاثر - بجيم ومثلثة كما في «القاموس» - ابن إرم بن سام بن نوح فيلتقون مع عاد في «إرم» وكانت مساكنهم بالحجر - بكسر الحاء وسكون الجيم - بين الحجاز والشّام، وهو المكان المسمّى الآن مدائن صالح وسُمّي في حديث غزوة تبوك: حجر ثمود.

وصالح هو ابن عيّيل - بلام في آخره وبفتح العين - ابن آسف بن ماشج أو صالح بن عيّيل بن جاثر - ويقال كائر - ابن ثمود. وفي بعض هذه الأسماء اختلاف في حروفها في كتب التاريخ وغيرها أحسبه من التّحريف وهي غير مضبوطة سوى عيّيل فإنّه مضبوط في سميّه الذي هو جد قبيلة، كما في «القاموس»^٣.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. ﴿جَاءَتْكُمْ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به.

﴿بَيِّنَةٌ﴾ فاعل. أي شاهد قاطع في شهادته، والبينة: العلامة الفاصلة بين الحق

والباطل والحجة على صدق الدعوى.

﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ الحقيقي الواقعي وهو ربّ العالمين.

﴿هَذِهِ﴾ اسم إشارة، مبتدأ، إشارة إلى ﴿بَيِّنَةٌ﴾ وتبينها.

﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ خبر ومضاف إليه. الناقة: الأنثى من الجمال، «وإنما قال ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾

لأنّه لم يكن لها مالك سواه تعالى»^٤. «وهي الناقة التي أخرجها الله لهم من الجبل آية

١. سورة هود / ٦٨.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ١٦٧.

٣. تفسير ابن عاشور ٨ / ١٦٦.

٤. التبيان ٤ / ٤٤٩.

لنبوته بدعائه ﷺ، وهي العناية في إضافة الناقة إلى الله سبحانه^١.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿آيَةَ﴾.

﴿آيَةَ﴾ حال من ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾. «الآية التي كانت في الناقة خروجها من صخرة
ملساء تمخضت بها كما تتمخص المرأة»^٢.

﴿فَ﴾ تفریع على كون الناقة آية الله.

﴿ذَرُوهَا﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به، أي اتركوها ودعوها وخلوها.

﴿تَأْكُلُ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «هي»، جواب الأمر.

﴿فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿ذَرُوهَا﴾، وصّاهم
وحدّتهم أن يمنعوها من إطلاقها.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا تَمْسُوها﴾ فعل نهي وفاعله ومفعول به.

﴿بِسُوءِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَا تَمْسُوها﴾، والباء للملابسة. كالعقر والنحر.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب النهي.

﴿يَأْخُذْكُمْ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿ذَ﴾. ومفعول به، أي
ينالكم.

﴿عَذَابٌ﴾ فاعل.

﴿أَلَيْمٌ﴾ نعت لـ ﴿عَذَابٌ﴾. أي مؤلم.

الروايات

عن يحيى بن المساور الهمداني، عن أبيه: جاء رجلٌ من أهل الشام إلى عليّ بن
الحسين ﷺ، فقال: أنت عليّ بن الحسين؟ قال: نعم. قال: أبوك الذي قتل المؤمنين؟

١. الميزان ٨ / ١٨١.

٢. التبيان ٤ / ٤٤٩.

فبكى عليّ بن الحسين عليه السلام ، ثم مسح عينيه، فقال: ويلك! كيف قطعت على أبي أنه قتل المؤمنين؟ قال: قوله: إخواننا قد بَغَوْا علينا، فقاتلنا على بغيهم. فقال: ويلك أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قال: فقد قال الله: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾^١ ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ فكانوا إخوانهم في دينهم، أو في عشيرتهم؟ قال له الرجل: لا، بل في عشيرتهم، قال: فهؤلاء إخوانهم في عشيرتهم، وليسوا إخوانهم في دينهم. قال: فرجعت عني، فرج الله عنك.^٢

معتبرة أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل: ... وأما صالح فإنه أرسل إلى ثمود وهي قرية واحدة لا تكمل أربعين بيتاً على ساحل البحر صغيرة، الحديث.^٣

خبر جابر بن عبدالله قال: لما مرّ النبي صلى الله عليه وآله بالحجر، قال: لا تسألوا الآيات، فقد سألها قوم صالح، فكانت ترد من هذا الفجّ وتصدر من الفجّ، فعتوا عن أمر ربهم فعقرواها. وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً، فعقروها فأخذتهم الصيحة أهدم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله. قيل: من هو؟ قال: أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه.^٤

١. سورة الأعراف / ٨٥.

٢. تفسير العياشي ٢/ ١٥٠، ح ٥٣.

٣. كمال الدين ١/ ٢٢٠، ح ٢.

٤. تفسير الطبري ٨/ ٢٦٩؛ الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ٤/ ٢٥٧.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ
مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ
وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

تتمة مقالة صالح لقومه من الآية السابقة.

﴿وَ﴾ عطف على قوله: ﴿قَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ...﴾^١.

﴿أَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ مرّ مثلها في الآية ٦٩ فلا نعيد.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بَوَّأَكُمْ﴾ معطوف على ﴿جَعَلَكُمْ﴾، بمعنا أنزلكم و «مكنكم من منازل تأوون

إليها، يقال: بوأته منزلاً إذا مكنته منه لياوى إليه»^٢.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿بَوَّأَكُمْ﴾. «ال» للعهد أو للجنس.

﴿تَتَّخِذُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. حال من الضمير المفعولي في ﴿بَوَّأَكُمْ﴾.

﴿مِنْ سُهُولِهَا﴾ مفعول به ثان. السهول جمع سهل وهو المستوى من الأرض

وضده الجبل.

﴿قُصُورًا﴾ مفعول به أول. جمع قصر «وهو الدار الكبيرة بسور تكون به

مقصورة»^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿تَنْحِتُونَ﴾ معطوف على ﴿تَتَّخِذُونَ﴾، «النحت: بَرِّي الحَجَرِ والخشب بآلة

على تقدير مخصوص»^٤.

١. سورة الأعراف / ٧٣.

٢. التبيان / ٤ / ٤٥٠.

٣. التبيان / ٤ / ٤٥٠.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور / ٨ / ١٧٠.

﴿أَلْجِبَالُ﴾ مفعول به أول، «جمع جبل وهو الأرض الناتئة على غيرها مرتفعة»^١.

﴿بُيُوتًا﴾ مفعول به ثان. «جمع بيت وهو المكان المحدد المتخذ للسكنى»^٢.
«محلّ الامتنان هو أن جعل منازلهم قسامين: قسم صالح للبناء فيه، وقسم صالح لنحت البيوت، قيل: كانوا يسكنون في الصّيف القصور، وفي الشتاء البيوت المنحوتة في الجبال»^٣.

﴿فَادْكُرُواْ آءِآءَ اللّهِ﴾ مرّت في الآية ٦٩ وهو من باب تفريع الأعم على الأخص.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا تَعْتَوُواْ﴾ فعل نهي معطوف على ﴿فَادْكُرُواْ﴾. ﴿لَا تَعْتَوُواْ﴾: لا تفسدوا أشدّ الإفساد، لأنّ العثي بمعنى مجاوزة الحدّ.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿لَا تَعْتَوُواْ﴾.

﴿مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكّدة من الضمير الفاعلي في ﴿لَا تَعْتَوُواْ﴾.

رواية

صحيحة أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال: إنّ رسول الله ﷺ سأل جبرئيل عليه السلام: كيف كان مهلك قوم صالح عليه السلام؟

فقال: يا محمد، إنّ صالحاً بعث إلى قومه وهو ابن ستّ عشرة سنة، فلبث فيهم حتّى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه إلى خير.

قال: وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله ﷻ، فلما رأى ذلك منهم،

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ١٧٠.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ١٧٠.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ١٧١.

قال: يا قوم، بُعثت إليكم وأنا ابن ستّ عشر سنةً، وقد بلغت عشرين ومائة سنةٍ وأنا أعرض عليكم أمرين: إن شئتم فاسألوني حتى أسأل إلهي فيجيبكم فيما سألتموني الساعة، وإن شئتم سألت آلهتكم، فإن أجابتنني بالذي أسألهما خرجت عنكم، فقد سئمتكم وسئمتوني. قالوا: قد أنصفت يا صالح؛ فاتعدوا ليومٍ يخرجون فيه.

قال: فخرجوا بأصنامهم إلى ظهرهم^١، ثمّ قَرَّبوا طعامهم وشرابهم، فأكلوا وشربوا، فلمّا أن فرغوا دعوهم، فقالوا: يا صالح سل، فقال لكبيرهم^٢: ما اسم هذا؟ قالوا: فلان، فقال له صالح: يا فلان، أجب، فلم يجبه، فقال صالح: ما له لا يجيب؟ قالوا: ادع غيره.

قال: فدعاها كلّها بأسماؤها، فلم يجبه منها شيءٌ، فأقبلوا على أصنامهم، فقالوا لها: ما لك لا تجيبين صالحاً؟ فلم تجب، فقالوا: تنحّ^٣ عنّا، ودعنا وآلهتنا ساعة، ثمّ نحّوا بسطهم وفرشهم ونحّوا ثيابهم، وتمرّغوا^٤ على التراب، وطرحوا التراب على رؤوسهم، وقالوا لأصنامهم: لئن لم تجيبي صالحاً اليوم لتفضحي.

قال: ثمّ دعوهم، فقالوا: يا صالح ادعها، فدعاها فلم تجبه، فقال لهم: يا قوم، قد ذهب صدر النهار ولا أرى آلهتكم يجيبوني، فاسألوني حتى أدعو إلهي فيجيبكم الساعة، فانتدب له^٥ منهم سبعون رجلاً من كبارائهم والمنظور إليهم منهم، فقالوا: يا صالح، نحن نسألك، فإن أجابك ربك أتبعناك وأجبنك وبياعك جميع أهل قريتنا،

١. أي ظهر بلدهم، كما في راجع: شرح المازندراني، والمرأة.

٢. في المرأة: قوله **لِكَبِيرِهِمْ**: لكبيرهم، أي لكبير الأصنام بناء على زعمهم؛ حيث يعدّونها من ذوي العقول.

٣. «تَنَحَّ» أي تَجَنَّبَ وصرّ في ناحية، يقال، تنحّى عن الناس، أي تجنّب عنهم وصرّ في ناحية منهم، أو ابتعد. ويقال: نحّيت فلاناً فتنحّى، أي أبعده. راجع: لسان العرب ١٥/ ٣١١ و ٣١٢.

٤. التمرّغ: التقلّب في التراب. النهاية ٤/ ٣٢٠ (مرغ).

٥. «فانتدب» أي أجاب، يقال: ندبه لأمر فانتدب له، أي دعاه له فأجاب. راجع: الصحاح ١/ ٢٢٣ (ندب).

فقال لهم صالح عليه السلام: سلوني ما شئتم، فقالوا: تقدّم بنا إلى هذا الجبل - وكان الجبل قريباً منهم - فانطلق معهم صالح، فلما انتهوا إلى الجبل، قالوا: يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا من هذا الجبل الساعة ناقةً حمراء شقراء^١ وبراء^٢ عشراء^٣، بين جنبيها ميل^٤، فقال لهم صالح: لقد سألتموني شيئاً يعظم عليّ، ويهون على ربيّ جلّ وعزّ.

قال: فسأل الله تعالى صالح ذلك، فانصدع^٥ الجبل صدعاً كادت تطير منه عقولهم لما سمعوا ذلك، ثم اضطرب ذلك الجبل اضطراباً شديداً كالمرأة إذا أخذها المخاض^٦، ثم لم يفجأهم إلا رأسها^٧ قد طلع عليهم من ذلك الصدع، فما استتمت رقبته حتى اجتزت^٨، ثم خرج سائر جسدها، ثم استوت قائمة على الأرض، فلما رأوا ذلك، قالوا: يا صالح، ما أسرع ما أجابك ربك؟ ادع لنا ربك يخرج لنا فصيلها، فسأل الله ﷻ ذلك، فرمت به فذبّ حولها، فقال لهم: يا قوم، أبقني شيء؟ قالوا: لا، انطلق بنا

١. «الشقراء»، مؤنث الأشقر، وهو من الإبل: الذي يشبه لونه لون الأشقر من الخيل، وبغير أشقر: شديد الحمرة، من الشقرة: لون الأشقر، وهي في الإنسان: حمرة صافية وبشرته مائلة إلى البياض، وفي الخيل: حمرة صافية يجمّر معها العُرف والذنب. راجع: الصحاح ٢/ ٧٠١؛ لسان العرب ٤/ ٤٢١ (شقر).

٢. «وبراء»: ما كان لها وبرٌ، أو وبر كثير، وهو صوف الإبل والأرانب ونحوها. راجع: لسان العرب ٥/ ٢٧١؛ القاموس المحيط ١/ ٦٧٨ (وبر).

٣. العشراء، بالضمّ وفتح الشين والمدّ: التي أتى على حملها عشرة أشهر، ثم اتسع فيه فقيل لكلّ حامل: عُشراء، وأكثر ما يطلق على الخيل والإبل. النهاية ٣/ ٢٤٠ (عشر).

٤. في المرأة: «قوله: بين جنبيها ميل، أي يكون عرضها قدر ميل».

٥. «فانصدع» أي انشق؛ من الصدع، وهو الشقّ والتفرّق. راجع: الصحاح ٣/ ١٢٤١ (صدع).

٦. المخاض: الطلق، وهو وجع الولادة. راجع: النهاية ٤/ ٣٠٦ (مخض).

٧. في المرأة: «أي لم يظهر لهم فجأة شيء إلا رأسها». وراجع: المصباح المنير، ٤/ ٦٣ (فجأ).

٨. الاجترار: هو أن يجرّ البعير من الكرش - وهو له منزلة المعدة للإنسان - ما أكل إلى الفم فيمضغه مرّة ثانية؛ من الجرّة، وهو ما يخرج البعير من بطنه ليمضغه، ثم يبلعه. راجع: النهاية ١/ ٢٥٩؛ مجمع البحرين ٣/ ٢٤٤ (جرر).

إلى قومنا نخبرهم بما رأينا ويؤمنون بك.

قال: فرجعوا فلم يبلغ السبعون إليهم حتى ارتد منهم أربعة وستون رجلاً، وقالوا: سحرٌ وكذبٌ، قال: فانتهاوا إلى الجميع^١، فقال الستة: حقٌ، وقال الجميع: كذبٌ وسحرٌ.

قال: فانصرفوا على ذلك، ثم ارتاب من الستة واحدٌ، فكان فيمن عقرها^٢.
ورواها العياشي في تفسيره^٣.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَلَحْنَا مُرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِء مُّؤْمِنُونَ﴾^٤

«أصر المترفون من قوم صالح على التهادي في الطغيان، والتعصب لعبادة الأوثان، أما المستضعفون فمنهم من آمن، ومنهم من بقي على الشرك تبعاً ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ من قوم صالح النبي ﷺ «وهم جماعة من أشراف قومه ورؤساء أمته»^٥.

﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم الذين «طلبوا الكبر فوق القدر، لأن الاستكبار هو طلب الكبر فوق القدر، حتى يؤدي صاحبه إلى إنكار ما دعي إليه من الحق، أنفة من اتباع الداعي إلى الحق»^٦.

١. «الجميع»: ضد المتفرق، والجيش، والحي المجتمع. القاموس المحيط ٢/ ٩٥٤ (جمع).

٢. الكافي ١٥/ ٤٣٧، ح ٢١٣ (٨/ ١٨٥).

٣. تفسير العياشي ٢/ ١٥١، ح ٥٤.

٤. التفسير الكاشف ٣/ ٣٥١.

٥. التبيان ٤/ ٤٥١.

٦. التبيان ٤/ ٤٥١.

﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ في جواب المستضعفين المؤمنين.

﴿ إِنَّا بِالَّذِينَ ءَامَنَتُمْ بِهِءِ كَفَرُونَ ﴾: ﴿ إِنَّا بِالَّذِينَ ﴾ صدقتم به جاحدون. بالرغم من الدلائل الواضحات والبراهين العقلية والبيانات القاطعات، ومن هذا الجواب ظهر تصليبهم في الكفر وثباتهم فيه.

قال الفخر الرازي: «وهذه الآية من أعظم ما يحتج به في بيان أن الفقر خير من الغنى، وذلك لأن الاستكبار إنما يتولد من كثرة المال والجاه، والاستضعاف إنما يحصل من قتلتهما، فبين تعالى أن كثرة المال والجاه حملهم على التمرد، والاباء، والانكار، والكفر. وقلة المال والجاه حملهم على الإيثار، والتصديق والانقياد، وذلك يدل على أن الفقر خير من الغنى»^١.

أقول: في اطلاق كلامه نظرٌ بينٌ والشاهد على ذلك خبرد اود بن سليمان عن الرضا علي بن موسى عليه السلام، قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي جعفر، قال: حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدثني أبي علي بن الحسين زين العابدين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ قال الله ﻋﻠﻴﻚ: يابن آدم، كُلكم ضالٌّ إلا من هديتُ، وكُلكم عائلٌ إلا من أغنيتُ، وكُلكم هالكٌ إلا من أنجيتُ، فاسألوني أكفكم وأهدكم سبيل رشدكم، فإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفاقة ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الصحة ولو أمرضته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا المرض ولو أصححت جسمه لأفسده ذلك، وإن من عبادي لمن يجتهد في عبادتي وقيام الليل لي، فألقي عليه النعاس نظراً مني له، فيرقد حتى يصبح ويقوم وهو ماقت لنفسه زارٍ عليها، ولو خلّيت بينه وبين ما يُريد لدخله العجب بعمله، ثم كان هلاكه في عجبه ورضاه من نفسه، فيظنّ أنّه قد فاق العابدين وجاز

قال: الله أعدل من أن يترك الأرض بلا عالم يدلُّ على الله ﷻ، ولقد مكث القوم بعد خروج صالح سبعة أيام على فترة لا يعرفون إماماً، غير أنهم على ما في أيديهم من دين الله ﷻ، كلمتهم واحدة، فلما ظهر صالح ﷻ اجتمعوا عليه. وإنما مثل القائم ﷻ مثل صالح^١.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ آتِنَا

بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

«أخبار من الله تعالى عمّا فعل المستكبرون من قوم صالح»^٢.

﴿فَ﴾ للتعقيب لحكاية قول الذين استكبروا.

﴿عَقَرُوا﴾ العقر: الجرح الذي يذهب بالنفس والنحر وقطع قوائم الحيوان.

﴿النَّاقَةَ﴾ التي هي آية الله في الأرض.

﴿وَعَتَوْا﴾ العتو: التمرد والامتناع و «المخالفة إلا أن في العتو مخالفة على وجه

التهاون به والاستكبار عن قبوله»^٣.

﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ وهو قوله: ﴿فَدَرَوْهَا تَاكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ ط وَلَا تَمْسُوهَا

بِسُوءٍ﴾^٤.

﴿وَقَالُوا﴾ المستكبرون الكافرون العاقرون المعتون. ﴿يُصَلِّحُ﴾ خاطبوا نبيهم.

﴿آتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وما تعدهم هو قوله: ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ

١. كمال الدين وتمام النعمة ١/١٣٦، ح ٦.

٢. التبيان ٤/٤٥٣.

٣. التبيان ٤/٤٥٣.

٤. سورة الأعراف / ٧٣.

أَلِيمٌ^١ يعني تحذّوا صالحاً باستعجال العذاب، حرف ﴿إِنْ﴾ دال على الشك في حصول الشرط وهو كون الصالح ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط وهو ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ولذا تحذّوا بذلك صالحاً يعني يعتقدون عدم اتیان العذاب عليهم.

الروايات

عن الضحاک بن مزاحم قال: قال رسول الله ﷺ: يا عليّ أتدري من أشقى الأولين؟

قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: عاقر الناقة.

قال: أتدري من أشقى الآخرين؟

قال: الله ورسوله أعلم.

قال: قاتلك.^٢

رواه ابن سعد في الطبقات^٣ والخطيب في تاريخ بغداد^٤ والحسكاني في شواهد التنزيل^٥ والفخر الرازي في تفسيره^٦ والطبرسي في مجمع البيان^٧ وجوامع الجامع^٨.

روى أبو زيد الأحول الأجلح، عن أشياخ كِنْدَةَ، قال: سَمِعْتُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ مَرَّةً يَقُولُونَ: سَمِعْنَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ: «مَا يَمْنَعُ أَشْقَاهَا أَنْ يَخْضِبَهَا مِنْ

١. سورة الأعراف / ٧٣.

٢. تفسير الثعلبي ٤ / ٢٥٨.

٣. الطبقات الكبرى ٣ / ٣٥.

٤. تاريخ بغداد ١ / ١٤٦.

٥. شواهد التنزيل ٢ / ٤٤٤، ح ١١٠٨.

٦. التفسير الكبير ١٤ / ١٦٣.

٧. مجمع البيان ٢ / ٥٢١.

٨. جوامع الجامع ١ / ٤٤٨.

فوقها بدم؟» وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى لِحْيَتِهِ ﷺ. ١

عن أبي الطُّفَيْلِ عامر بن واثلة رحمة الله عليه قال: جَمَعَ أمير المؤمنين ﷺ النَّاسَ للبيعة، فجاء عبدالرحمن بن مُلْجَمِ المُرَادِيِّ لعنه الله فردّه مرتين أو ثلاثاً ثمَّ بايعه، فقال عند بيعته له: ما يَحْسِبُ أشقاها! فوالذي نفسي بيده لتُخَضَّبَن هذه من هذا، ووَضَعَ يَدَهُ عَلَى لِحْيَتِهِ ورأسه ﷺ؛ فلَمَّا أَدْبَرَ ابنُ مُلْجَمِ عنه منصرفاً قال ﷺ متمثلاً:

أشدُّ حَيَازِمَكَ للموت فإنَّ الموتَ لا قِيكَ
ولا تَجْزَعُ من الموت إذا حَلَّ بواديكَ
كما أَضْحَكَكَ الدهرُ كذلك الدهرُ يُبْكِيكُ^٢

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴾

أخبار بها حلَّ بتمود من العذاب وجملة معترضة بين الآيتين السابقة منها واللاحقة بها.

﴿ فَ ﴾ لتعقيب العرفي. ﴿ أَخَذَتْهُمُ ﴾ الأخذ يستعمل في القهر والغلبة.
﴿ الرَّجْفَةُ ﴾ من الرجف وهو الحركة والاضطراب والاهتزاز الشديد «كما في زلزلة الأرض وتلاطم البحر، والجثوم في الإنسان والطيور كالبروك في البعير.
وقد ذكر الله هنا في سبب هلاكهم أنه أخذتهم الرجفة، وقال في موضع آخر:
﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾^٣، وفي موضع آخر: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ صَعِقَةُ الْعَذَابِ

١. الإرشاد ١٣/١ للشيخ المفيد.

٢. الأرشاد ١١/١؛ الطبقات الكبرى ٣/٣٣؛ أنساب الأشراف ٢/٥٥٠؛ مقاتل الطالبين / ٣١؛

الخرائج والجرائح ١/١٨٢، ذيل الحديث ١٤.

٣. سورة هود/ ٦٧.

أَهْوَنَ^١ والصواعق السماوية لا تخلو عن صيحة هائلة تقارنها، ولا ينفك ذلك غالباً عن رجفة الأرض هي نتيجة الاهتزاز الجوي الشديد إلى الأرض، وتوجف من جهة أخرى القلوب وترتعد الأركان، فالظاهر أن عذابهم إنما كان بصاعقة سماوية اقترنت صيحة هائلة ورجفة في الأرض أو في قلوبهم^٢.

﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿أَصْبَحُوا﴾ أي صاروا.

﴿فِي دَارِهِمْ﴾ أي في بلدهم لأنّ الدار هو المكان الذي يحتله القوم.

﴿جَنِّمِينَ﴾ «باركين على ركبهم موتى»^٣. يعني ساقطين على وجوههم وركبهم، البروك على الركبة، «الجائم: المكب على صدره في الأرض مع قبض ساقيه كما يجثو الأرنب»^٤.

رواية

خبر أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ * فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفَى ضَلَلَلٍ وَسُعُرٍ * أَؤَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾^٥

قال: هذا كان بما كذبوا صالحاً، وما أهلك الله عليه السلام قوماً قطّ حتى يبعث إليهم قبل ذلك الرّسل، فيحتجّوا عليهم، فبعث الله إليهم صالحاً، فدعاهم إلى الله، فلم يجيبوا وعتوا عليه، وقالوا: لن نؤمن لك حتى تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشاء، وكانت الصخرة يعظّمونها ويعبدونها، ويذبحون عندها في رأس كلّ سنة، ويجتمعون عندها، فقالوا له: إن كنت كما تزعم نبياً رسولاً، فادع لنا إلهك حتى يخرج لنا من هذه

١. سورة فصلت / ١٧.

٢. الميزان / ٨ / ١٨٢.

٣. التبيان / ٤ / ٤٥٤.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور / ٨ / ١٧٦.

٥. سورة القمر / (٢٥-٢٣).

الصخرة الصماء^١ ناقةٌ عُشراء، فأخرجها الله كما طلبوا منه.

ثم أوحى الله - تبارك وتعالى - إليه أن يا صالح، قل لهم: إن الله قد جعل لهذه الناقة من الماء شرب^٢ يوم، ولكم شرب يوم، فكانت الناقة إذا كان يوم شربها شربت الماء ذلك اليوم، فيحلبونها، فلا يبقى صغيرٌ ولا كبيرٌ إلا شرب من لبنها يومهم ذلك، فإذا كان الليل وأصبحوا غدوا إلى مائهم، فشربوا منه ذلك اليوم، ولم تشرب الناقة ذلك اليوم، فمكثوا بذلك ما شاء الله.

ثم إنهم عتوا على الله، ومشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: اعقروا هذه الناقة واستريحوا منها، لا نرضى أن يكون لنا شرب يوم، ولها شرب يوم.

ثم قالوا: من الذي يلي قتلها، ونجعل له جعلاً^٣ ما أحب؟ فجاءهم رجلٌ أحمر أشقر^٤ أزرق^٥ ولد زنى لا يعرف له أب، يقال له: قدار، شقي من الأشقياء مشؤوم عليهم، فجعلوا له جعلاً، فلما توجهت الناقة إلى الماء الذي كانت تردُّه، تركها حتى شربت الماء، وأقبلت راجعةً، فقعد لها في طريقها، فضربها بالسيف ضربةً، فلم تعمل شيئاً، فضربها ضربةً أخرى، فقتلها وخرت^٦ إلى الأرض على جنبها، وهرب فصليها

١. «الصخرة الصماء»: هي التي ليس فيها خرق ولا صدع، أو هي الصلبة المصمتة. راجع: النهاية ٥٤ / ٣؛ القاموس المحيط ١٤٨٨ / ٢ (صمم).

٢. الشرب، بالكسر: النصيب من الماء. المصباح المنير / ٣٠٨ (شرب).

٣. الجعل: الاسم بالضم، والمصدر بالفتح، يقال: جعلت كذا جعلاً وجُعلاً، وهو الأجرة على الشيء قولاً أو فعلاً. النهاية ٢٧٦ / ١ (جعل).

٤. الأشقر من الناس: من يعلو بياضه حمرة فتكون حمرة صافية، وبشرته مائلة إلى البياض. الصحاح ٧٠١ / ٢ (شقر).

٥. الأزرق: ذو الزرقعة، وهي خضرة في سواد العين، أو هو أن يتغشى سوادها بياض. راجع: لسان العرب ١٣٨ / ١٠ (رزق).

٦. «خرت» أي سقطت؛ من الخرّ والخرور بمعنى السقوط مطلقاً، أو السقوط من علو إلى سفلى. قال الراغب: «المعنى خرّ: سقط سقوطاً بسمع منه خريز، والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما

حتىَّ صعد إلى الجبل فرغى^١ ثلاث مرّاتٍ إلى السماء، وأقبل قوم صالح، فلم يبق أحد منهم إلا شركه في ضربته، واقتسموا لحمها فيما بينهم، فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا أكل منها.

فلما رأى ذلك صالحٌ أقبل إليهم، فقال: يا قوم، ما دعاكم إلى ما صنعتم؟
أعصيتم ربكم؟

فأوحى الله - تبارك وتعالى - إلى صالح عليه السلام أن قومك قد طغوا وبغوا، وقتلوا ناقة بعثتها إليهم حجة عليهم، ولم يكن عليهم فيها ضررٌ، وكان لهم منها أعظم المنفعة، فقل لهم: إنني مرسلٌ عليكم عذابي إلى ثلاثة أيام، فإن هم تابوا ورجعوا، قبلت توبتهم، وصددت عنهم، وإن هم لم يتوبوا ولم يرجعوا، بعثت عليهم عذابي في اليوم الثالث.

فأتاهم صالح عليه السلام، فقال لهم: يا قوم، إنني رسول ربكم إليكم وهو يقول لكم: إن أنتم تبتم ورجعتم واستغفرتم، غفرت لكم وتبت عليكم، فلما قال لهم ذلك كانوا أعتى ما كانوا وأحبت، وقالوا: ﴿يَصْلِحُ أُمَّتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٢﴾.
قال: يا قوم، إنكم تصبحون غدًا ووجوهكم مصفرةً، واليوم الثاني وجوهكم حمرةً، واليوم الثالث وجوهكم مسودةً.

فلما أن كان أول يوم، أصبحوا ووجوههم مصفرةً، فمشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: قد جاءكم ما قال لكم صالحٌ، فقال العتاة منهم: لا نسمع قول صالح، ولا نقبل قوله وإن كان عظيمًا.

فلما كان اليوم الثاني، أصبحت وجوههم حمرةً، فمشى بعضهم إلى بعض،

يسقط من علو». راجع: الصحاح ٢/٦٤٣؛ المفردات للراغب / ٢٧٧؛ لسان العرب ٤/٢٣٤ (خر).

١. «فرغى» أي صوت وضجّ؛ من الرغاء، وهو صوت ذوات الخفّ، أو صوت الإبل. راجع: النهاية ٢/٢٤٠؛ لسان العرب ١٤/٣٢٩ (رغا).

٢. إشارة إلى الآية ٧٧ من سورة الأعراف: ﴿يَصْلِحُ أُمَّتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

فقالوا: يا قوم، قد جاءكم ما قال لكم صالحٌ، فقال العتاة منهم: لو أهلكنا جميعاً ما سمعنا قول صالحٍ، ولا تركنا آلهتنا التي كان أبأؤنا يعبدونها، ولم يتوبوا ولم يرجعوا. فلما كان اليوم الثالث، أصبحوا ووجوههم مسودّة، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: يا قوم، أتاكم ما قال لكم صالحٌ، فقال العتاة منهم: قد أتانا ما قال لنا صالحٌ. فلما كان نصف الليل، أتاهم جبرئيل عليه السلام، فصرخ بهم صرخةً^١ خرقت تلك الصرخة أسماهم، وفلقت^٢ قلوبهم، وصدعت^٣ أكبادهم، وقد كانوا في تلك الثلاثة الأيام قد تحنطوا وتكفّنوا، وعلموا أنّ العذاب نازل بهم، فماتوا أجمعين في طرفة عينٍ: صغيرهم وكبيرهم، فلم يبق لهم ناعقةٌ^٤ ولا راغيةٌ^٥ ولا شيءٌ إلا أهلكه الله، فأصبحوا في ديارهم ومضاجعهم^٦ موتى أجمعين، ثم أرسل الله عليهم مع الصيحة النار من السماء، فأحرقتهم أجمعين؛ وكانت هذه قصّتهم^٧.

١. الصرخة: الصيحة الشديدة. القاموس المحيط ٣٧٨/٥ (صرخ).

٢. في «ع، نف»: «وقلقت». وفي حاشية «جت»: «وقلعت». والفلق: شق الشيء وإبانه بعضه عن بعض. المفردات للراغب / ٦٤٥ (فلق)

٣. الصدع: الشق والتفرّق. الصحاح، ٣/ ١٢٤١ (صدع).

٤. في حاشية بعض النسخ والمرأة والبحار: «ثاغية». وفي الوافي: «ناعية». ويقال: نعق بغنمه، كمنع وضرب، نعقاً ونعيقاً ونعاقاً ونعقاناً، صاح بها وزجرها، والغراب: صاح، والمعنى: لم تبق جماعة منهم يتأتى منهم النعيق. راجع: القاموس المحيط ١٢٢٧/٢ (نعق).

٥. في بعض النسخ والوافي: «ولا راعية». وفي حاشية بعض النسخ والوافي: «وراغية». و«راغية» من الرغاء، وهو صوت ذوات الخفّ، أو صوت الإبل. راجع: النهاية ٢/ ٢٤٠؛ لسان العرب ١٤/ ٣٣٩ (رغا).

٦. في نسختين: «وكانت مضاجعهم». والمضاجع: جمع المضجع، وهو موضع الضجوع، وهو وضع الجنب بالأرض. راجع: الصحاح ٣/ ١٢٤٨؛ المصباح المنير / ٣٥٨ (ضجع).

٧. الكافي ١٥/ ٤٤١، ح ٢١٤ (١٨٧/٨).

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَنقُومِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ
وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴾ ﴿٧٩﴾

«لما رأى الصالح ما حلَّ بقومه من العذاب تولى عنهم كثيراً وتبرأ من
مصيرهم...»^١.

﴿ فَ﴾ عاطفة. على قوله: ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ﴾^٢.

﴿ تَوَلَّى ﴾ الانصراف عن فراق وغضب وفاعله. الصالح.

﴿ عَنْهُمْ ﴾ عن قومه. ﴿ وَ﴾ عاطفة.

﴿ قَالَ يَنقُومِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي ﴾ مستمعلاً في التوبيخ لهم والتسجيل
عليهم في التَحَسُّر والتبري منهم أو التذكُّر لكُلِّ مَنْ اعتبر بها وفكَّر فيها من الحكمة
والموعظة الحسنة.

﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ أي أدتُ النصح في تبليغ الرسالة.

﴿ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴾ «فلا تطيعونهم في نصحتهم لأنَّ المحبَّ لِمَنْ يَحِبُّ

مطيع»^٣. «فمن أحبَّ الناصح قبل منه»^٤.

رواية

وقد روي أنه لم يعذب أمة نبي قطُّ ونبيها فيها.^٥

قال الشيخ الطوسي: فلذلك خرج [صالح] فأما إذا أهلك المؤمنون فيما بينهم، فإن الله

١. التفسير الكاشف ٣/ ٣٥٢.

٢. سورة الأعراف / ٧٧.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/ ١٧٧.

٤. التبيان ٤/ ٤٥٥.

٥. التبيان ٤/ ٤٥٥.

سيعرضهم على ما يصيبهم من الآلام والغموم.^١
وبهذا البيان تمت قصة صالح النبي ﷺ في هذه السورة.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ

مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾

بداية قصة لوط وقومه في هذه السورة.

﴿و﴾ عطف القصة على القصة.

﴿لُوطًا﴾ معطوف على ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾^٢ كما هو الظاهر ويمكن أن يكون على تقدير «اذكر» كما هو المعهود من نظائر هذا النظم في القرآن. و «لوط» منصرف لخفته «لأنه على ثلاث أحرف ساكن الأوسط»^٣ وهو ابن أخي إبراهيم كما مر في سورة الأنعام ويأتي تفصيل قصته في سورة هود.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان بمعنى «حين» متعلق بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أو اسم في محل نصب بدل من ﴿لُوطًا﴾ بمعنى: أذكر وقت قال.

﴿قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ «القوم الذين أرسل إليهم لوط ﷺ هم أهل قرية «سدوم» و «عمورة» من أرض كنعان، وربها أطلق اسم سدوم وعمورة على سكانها. وهو أسلاف الفينيقيين وكانتا على شاطئ السديم، وهو بحر الملح، كما جاء في التوراة وهو البحر الميت المدعو (بحيرة لوط) بقرب أورشليم. وكانت قرب سدوم ومن معهم

١. التبيان ٤/ ٤٥٥.

٢. سورة الأعراف / ٥٩.

٣. التبيان ٤/ ٤٥٥.

٤. يقع فعلياً على حدود الأردن والعدو الإسرائيلي الغاصب.

أحدثوا فاحشة استمتع الرجال بالرجال، فأمر الله لوطاً عليه السلام لما نزل بقريتهم سدوم في رحلته مع عمه إبراهيم عليه السلام أن ينهاهم ويغلظ عليهم^١.

﴿أ﴾ استفهام إنكاري توبيخي تعظيمي.

﴿تَأْتُونَ﴾ أي تعملون والاتيان مجاز في التلبس والعمل. يعني العمل بهم

بالفعل الشنيع.

﴿الْفَحِشَةَ﴾ مفعول به. وهي «السيئة العظيمة القبح»^٢ و «الفعل الدنيء

الذميم»^٣ والمراد بها هنا «اللواط» وال «العهد.

﴿مَا سَبَقَكُمْ﴾ حال من ﴿الْفَحِشَةَ﴾.

﴿هَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَلَمِينَ﴾ «أي احد من الأمم والجماعات دلالة على أن

تاريخ ظهور هذه الفاحشة الشنيعة تنتهي إلى قوم لوط»^٤.

الروايات

صحيحة أبي بصير عن احدهما عليه السلام في قوم لوط عليه السلام ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ

مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَلَمِينَ﴾^٥ فقال: إن إبليس أتاهم في صورة حسنة

فيه تأنيث عليه ثياب حسنة فجاء إلى شباب منهم فأمرهم أن يقعوا به، فلو طلب إليهم

أن يقع بهم لأبوا عليه ولكن طلب إليهم أن يقعوا به فلما وقعوا به التذوه، ثم ذهب

عنهم وتركهم فأحال بعضهم على بعض^٦.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/ ١٧٨.

٢. التبيان ٤/ ٤٥٦.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/ ١٧٨.

٤. الميزان ٨/ ١٨٤.

٥. سورة العنكبوت / ٢٨.

٦. الكافي ١١/ ٢٥١، ح ٤ (٥/ ٥٤٤).

وفي آخر خبر عمرو عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من أَلَحَّ في وطى الرجال لم يَمُتْ حتى يدعوا الرجال إلى نفسه.^١
عن يزيد بن ثابت، قال: سأل رجلُ أمير المؤمنين عليه السلام أَيُوتى النساء في أدبارهن؟ فقال: سَفُلَتْ^٢ سَفَلُ اللَّهِ بك، أما سَمِعْتَ الله يقول: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.^٣

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ^٤

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾

تتمة الآية السابقة وتبين لها.

﴿إِنَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، تأكيد.

﴿لَتَأْتُونَ﴾ لام المزحلقة، تأكيد آخر وخبر فعل مضارع وفاعله.

﴿الرِّجَالَ﴾ مفعول به.

﴿شَهْوَةً﴾ مفعول لأجله ﴿لَتَأْتُونَ﴾ وقرينة على أن المراد بالإتيان كناية عن العمل

الشنيع.

﴿مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ قرينة ثانية على تعيين المراد بالإتيان. ويفيد أنهم قد تركوا

النساء واكتفى بالرجال على خلاف الخلق والطبيعة والفطرة والحياة.

﴿بَلْ﴾ للاضراب الانتقالي «معناه الاضراب عن الأول إلى جميع المعايب من

١. الكافي ١١/٢٥٦، ح ٥ (٥٤٦/٥).

٢. بالفارسية: تَنگ خوی گردیدن، پَسْت خوی گردیدن، دون شآن، فردوی و پستی و فرومایگی.

٣. تفسير العياشي ٢/١٥٣، ح ٥٥.

عبادة الأوثان وإتيان الذكران وترك ما قام به البرهان»^١.
﴿أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ «الاسراف: الخروج عن حدّ الحقّ إلى الفساد»^٢. أي
﴿أَنْتُمْ﴾ تجاوزتم الحدّ في فساد العقيدة والعمل.

الروايات

عن عبدالرحمن بن الحجاج قال: سَمِعْتُ أبا عبد الله عليه السلام ذكر عنده إتيان النساء في أدبارهنّ، فقال: ما أعلم آية في القرآن أحلّت ذلك إلّا واحدة ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ الآية^٣.

الصدوق بإسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الحسين بن علي عليه السلام في حديث أسئلة الشامي عن أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة: ... وسأله عن اسم إبليس ما كان في السماء؟ فقال: كان اسمه الحارث... وسأله عن أوّل من كفر وأنشأ الكفر، فقال: إبليس لعنه الله... وسأله عن أوّل من عمّل عملاً قوم لوط، فقال: إبليس فإنّه أمكن من نفسه، الحديث^٤.

صحيحة علي بن اسباط عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما كان في شيعتنا فلا يكون فيهم ثلاثة أشياء: لا يكون فيهم من يسأل بكفّه ولا يكون فيهم بخيلٌ ولا يكون فيهم من يؤتى في دُبُرِهِ^٥.

١. التبيان ٤/٤٥٧.

٢. التبيان ٤/٤٥٨.

٣. تفسير العياشي ٢/١٥٣، ح ٥٦.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٢٤٢ و ٢٤٤ و ٢٤٦؛ علل الشرائع / ٥٩٤ و ٥٩٥ و ٥٩٦.

٥. الخصال ١/١٣١، ح ١٣٧.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ^ط﴾
﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾

جواب قوم لوط في دعوته إلى التوحيد وترك الفعل الشنيع.

﴿وَ﴾ عاطفة، على جملة ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ﴾^١.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص.

﴿جَوَابَ﴾ خبر مقدم ﴿كَانَ﴾، وفي الواقع جوابهم عدم الجواب ودال على سفهم لأن «جواب الكلام في ظرف المناظرة إما إمضاؤه والاعتراف بحقيقته وإما بيان وجه فساد»^٢.

﴿قَوْمِهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. ﴿أَنْ﴾ حرف مصدري.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله. بتأويل مصدر «قولهم» اسم ﴿كَانَ﴾.

﴿أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ أي اخرجوا آل لوط من بلدتكم لأنهم ليس إلا جماعة قليلة لا عُدّة لهم ولا شدة.

﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ وهذه الجملة علة للأمر باخراجهم «والتطهر تكلف الطهارة، وحقيقتها النظافة، وتطلق الطهارة - مجازاً - على تزكية النفس والحذر من الرذائل وهي المراد هنا، وتلك صفه كمال، لكن القوم لما تمردوا على الفسوق كان يعدّون الكمال منافراً لطباعهم، فلا يطبقون معاشره أهل الكمال، ويذمّون ما لهم من الكمالات فيسمونها ثقلاً، ولذا وصّفوا تنزه لوط عليه السلام وآله تطهراً، بصيغة التكلف

١. سورة الأعراف / ٨٠.

٢. الميزان ٨ / ١٨٤.

والتصنع، ويجوز أن يكون حكاية لما في كلامهم من التهكم بلوط لوط وآله، وهذا من قلب الحقائق لأجل مشايعة العوائد الذميمة، وأهل المجون والانخلاع، يسمون المتعفف عن سيرتهم بالتائب أو نحو ذلك، فقولهم: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ قصدوا به ذمهم^١.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾

«اخبر الله تعالى أنه أنجى لوطاً ومن معه بمعنى أنه خلّصه من الهلاك»^٢.

﴿ف﴾ تفرعي لتتميم القصة.

﴿أَنْجَيْنَاهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به والضمير المفعولي عائد إلى «لوط».

﴿وَأَهْلَهُ﴾ يدلّ على أنه لم يكن آمن به إلا أهله كما قال تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا

غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^٣. فلا يتم مقالة من ذهب إلى أن «المراد بأهله من آمن معه سواء

كان من أرحامه أو من غيرهم»^٤.

﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ وهي زوجته وكانت كافرة كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا

لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ

فَخَاتَمَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ﴾^٥.

﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ «غبر تأتي بمعنى مضى وبمعنى بقي وهذا المعنى هو

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/ ١٨٢.

٢. التبيان ٤/ ٤٥٩.

٣. سورة الذاريات / ٣٦.

٤. التفسير الكاشف ٣/ ٣٥٣.

٥. سورة التحريم / ١٠.

المراد هنا أي إن امرأة لوط بقيت مع الهالكين»^١.

رواية

خبر عمرو عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان قوم لوط من أفضل قوم خلقهم الله فطلبهم إبليس الطلب الشديد، وكان من فضلهم وخيرتهم أنهم إذا خرجوا إلى العمل خرجوا بأجمعهم وتبقى النساء خلفهم فلم يزل إبليس يعتادهم فكانوا إذا رجعوا خرب إبليس ما يعملون فقال بعضهم لبعض: تعالوا نرصد هذا الذي يخرب متاعنا فرصدوه فإذا هو غلام أحسن ما يكون من الغلمان، فقالوا له: أنت الذي تخرب متاعنا مرة بعد مرة، فاجتمع رأيهم على أن يقتلوه فبيّتوه عند رجل، فلما كان الليل صاح فقال له: مالك؟ فقال: كان أبي ينومني على بطنه، فقال له: تعال فتم على بطني، قال: فلم يزل يدلك الرجل حتى علمه أنه يفعل بنفسه، فأولاً علمه إبليس والثانية علمه هو ثم انسَلَّ ففرّ منهم وأصبحوا فجعل الرجل يخبر بها فعل بالغلام ويعجبهم منه وهم لا يعرفونه فوضعوا أيديهم فيه حتى اكتفى الرجال بالرجال بعضهم ببعض، ثم جعلوا يرصدون مارة الطريق فيفعلون بهم حتى تنكب مدينتهم الناس ثم تركوا نساءهم وأقبلوا على الغلمان، فلما رأى أنه قد أحكم أمره في الرجال جاء إلى النساء فصير نفسه امرأة، فقال: إن رجالكنّ يفعل بعضهم ببعض؟ قالوا: نعم قد رأينا ذلك وكل ذلك يعظّم لوط ويوصيهم وإبليس بغويهم حتى استغنى النساء بالنساء فلما كملت عليهم الحجة بعث الله جبرئيل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام في زيّ غلمان عليهم أقبية، فمروا بلوط وهو يحرث، فقال: أين تريدون ما رأيت أجمل منكم قط؟ قالوا: إنا أرسلنا سيّدنا إلى ربّ هذه المدينة، قال: أولم يبلغ سيّدكم ما يفعل أهل هذه المدينة يا بنيّ إنهم والله يأخذون الرجال فيفعلون بهم حتى يخرج الدّم، فقالوا: أمرنا سيّدنا أن نمرّ وسطها، قال: فلي إليكم حاجة، قالوا: وما هي؟ قال: تصبرون ههنا إلى اختلاط الظلام قال:

فجلسوا قال: فبعث ابنته فقال: جيئي لهم بخبز و جيئي لهم بباء في القرعة و جيئي لهم عباء يتغطون بها من البرد فلما أن ذهبت الابنة أقبل المطر والوادي، فقال لوط: الساعة يذهب بالصبيان الوادي قوموا حتى نمضي وجعل لوط يمشي في أصل الحائط وجعل جبرئيل وميكائيل وإسرافيل يمشون وسط الطريق، فقال: يا بني امشوا ههنا فقالوا: أمرنا سيدنا أن نمّر في وسطها وكان لوط يستغتم الظلام ومّر إبليس فأخذ من حجر امرأة صبيّاً فطرحه في البئر فتصايح أهل المدينة كلّهم على باب لوط فلما أن نظروا إلى الغلمان في منزل لوط قالوا: يا لوط قد دخلت في عملنا، فقال: هؤلاء ضيفي فلا تفضحون في ضيفي، قالوا: هم ثلاثة خذ واحداً وأعطنا اثنين قال: فأدخلهم الحجرة وقال: لو أنّ لي أهل بيت يمنعوني منكم، قال: وتدافعوا على الباب وكسروا باب لوط و طرحوا لوطاً فقال له جبرئيل: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ﴾^١ فأخذ كفّاً من بطحاه ف ضرب بها وجوههم وقال: شأهت الوجوه فعمى أهل المدينة كلّهم وقال لهم لوط: يا رسل ربّي فما أمركم ربّي فيهم؟ قالوا: أمرنا أن نأخذهم بالسحر، قال: فلي إليكم حاجة، قالوا: وما حاجتك قال: تأخذونهم الساعة فإنّي أخاف أن يبدو لربّي فيهم، فقالوا: يا لوط ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾^٢ لمن يريد أن يأخذ، فخذ أنت بناتك وامض ودع امرأتك.

فقال أبو جعفر عليه السلام رحم الله لوطاً لو يدري من معه في الحجرة لعلم أنّه منصور حيث يقول: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾^٣ أي ركن أشدّ من جبرئيل معه في الحجرة، فقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾^٤ من

١. سورة هود / ٨١.

٢. سورة هود / ٨١.

٣. سورة هود / ٨٠.

٤. سورة هود / ٨٣.

ظالمي أمتك إن عملوا ما عمل قوم لوط، قال: وقال رسول الله ﷺ: من ألح في وطى الرجال لم يمت حتى يدعوا الرجال إلى نفسه.^١

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ٨٤

بيان نوع العذاب الذي أنزله الله على قوم لوط وهو نوع من المطر.
﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ تنكيهه للتعظيم والتعجيب والغرابة وقد فسره الله في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾^٢.
﴿فَانظُرْ﴾ تفريع أمر للإرشاد والاعتبار وتوجيه الخطاب للنبي ﷺ ليعتبر به أمته.

﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ «العاقبة آخر ما تؤدي إليه التأدية»^٣
«والإجرام: اقتراف السيئة»^٤. إخبار «عن سوء عاقبة المجرمين بما أنزل عليهم عاجلاً من عذاب الاستئصال قبل عذاب الآخرة بالنيران»^٥. وتعدى عن الفعل الشنيع بكل جرم وجناية.

رواية

خبر أبي يزيد الحمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله ﷻ بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكروبييل فمروا بإبراهيم عليه السلام وهم

١. الكافي ١١/٢٥١، ح ٥ (٥/٥٤٤).

٢. سورة هود/٨٢ و٨٣.

٣. التبيان ٤/٤٦٠.

٤. التبيان ٤/٤٦٠.

٥. التبيان ٤/٤٦١.

معتّمون فسلموا عليه فلم يعرفهم ورأى هيئة حسنة فقال: لا يخدم هؤلاء إلا أنا بنفسي، وكان صاحب ضيافة فشوى لهم عجلًا سمينًا حتى أنضجه ثم قرّب به إليهم فلما وضعه بين أيديهم ﴿رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾^١ فلما رأى ذلك جبرئيل حسر العمامة عن وجهه فعرفه إبراهيم فقال أنت هو؟ قال: نعم، ومرت سارة امرأته فبشّرها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فقالت: ما قال الله ﴿بَلَّغْ﴾؟ فأجابوها بما في الكتاب، فقال لهم إبراهيم: لما ذا جئتم؟ قالوا: في إهلاك قوم لوط، فقال لهم: إن كان فيهم مائة من المؤمنين أتهلكونهم؟ فقال: جبرئيل: لا، قال: فإن كان فيها خمسون؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها ثلاثون؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها عشرون؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها عشرة؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها خمسة؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها واحد؟ قال: لا، قال فإن ﴿فِيهَا لُوطًا قَالُوا لَنْجِئَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾^٢ قال الحسن بن عليّ قال: لا أعلم هذا القول إلا وهو يستبقيهم وهو قول الله ﴿بَلَّغْ﴾: ﴿نُجِّدْنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾^٣ فأتوا لوطًا وهو في زراعة قرب القرية فسلموا عليه وهم معتّمون فلما رأى هيئة حسنة عليهم ثياب بيض وعمائم بيض فقال لهم: المنزل؟ فقالوا: نعم، فتقدّمهم ومشوا خلفه فندم على عرضه المنزل عليهم، فقال: أيّ شيء صنعت آتي بهم قومي وأنا أعرّفهم فالتفت إليهم فقال: إنكم لتأتون شراراً من خلق الله، قال: فقال جبرئيل: لا تعجل عليهم حتى يشهد عليهم - ثلاث مرّات - فقال جبرئيل: هذه واحدة، ثم مشى ساعة ثم التفت إليهم فقال: إنكم لتأتون شراراً من خلق الله، فقال: جبرئيل هذه ثنتان، ثم مشى فلما بلغ باب المدينة التفت إليهم فقال: إنكم لتأتون شراراً من خلق الله، فقال

١. سورة هود / ٧٠.

٢. سورة العنكبوت / ٣٢.

٣. سورة هود / ٧٤.

جبرئيل عليه السلام: هذه الثالثة ثم دخل ودخلوا حتى دخل منزله فلما رأته رأت هيئة حسنة فصعدت فوق السطح وشفقت فلم يسمعوا فدخنت فلما رأوا الدخان أقبلوا إلى الباب يهرعون حتى جاؤوا إلى الباب فنزلت إليهم فقالت: عنده قوم ما رأيت قوماً قط أحسن هيئة منهم فجاؤوا إلى الباب ليدخلوا؛ فلما رأهم لوط قام إليهم فقال لهم يا قوم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۗ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾^١ وقال: ﴿هَتُوْلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾^٢ فدعاهم إلى الحلال، فقالوا: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾^٣ فقال لهم: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾^٤ فقال جبرئيل: لو يعلم أيُّ قوَّة له، قال: فكاثروه حتى دخلوا البيت فصاح به جبرئيل فقال: يا لوط دعهم يدخلوا، فلما دخلوا أهوى جبرئيل عليه السلام بإصبغه نحوهم فذهبت أعينهم وهو قول الله عز وجل: ﴿فَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾^٥ ثم ناداه جبرئيل فقال له: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصْلُوْا إِلَيْكَ ۗ فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾^٦ وقال له جبرئيل: إِنَّا بعثنا في إهلاكهم، فقال: يا جبرئيل عجل فقال: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۗ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾^٧ فأمره فيحمل هو ومن معه إلا امرأته، ثم اقتلعها - يعني المدينة - جبرئيل بجناحيه من سبعة أرضين ثم رفعها حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح الكلاب وصراخ الديوك، ثم قلبها وأمطر عليها وعلى من حول المدينة حجارة من سجيل^٨.

١. سورة هود / ٧٨.

٢. سورة هود / ٧٨.

٣. سورة هود / ٧٩.

٤. سورة هود / ٨٠.

٥. سورة القمر / ٣٧.

٦. سورة هود / ٨١.

٧. سورة هود / ٨١.

٨. الكافي ١١ / ٢٥٦، ح ٦ (٥ / ٥٤٦).

﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَوْرِمِ عَبْدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ^ط قَدْ جَاءَ تَكْم بَيْنَهُ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا

ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

بداية قصة شعيب النبي ﷺ في هذه السورة.

﴿و﴾ عطف على قصة نوح في قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا...﴾ ١.

﴿إِلَى مَدْيَنَ﴾ ﴿مَدْيَنَ﴾ لا ينصرف للعجمة والتعريف، «أُمَّة سُمِّيَتْ بِاسْمِ جَدِّهَا مَدْيَنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ﷺ، من زوجه الثالثة التي تزوجها في آخر عمره وهي سرية اسمها قَطُورًا. وتزوج مَدْيَنُ ابنة لوط ﷺ وولد له أبناء: هم (عيفة) و (عفر) و (حنوك) و (أبيداع) و (الْدَعَة) وقد أسكنهم إبراهيم ﷺ في ديارهم، وسطاً بين مسكن ابنه إسماعيل ﷺ ومسكن ابنه إسحاق ﷺ، ومن ذريتهم تفرعت بطون مَدْيَنَ، وكانوا يعدّون نحو خمسة وعشرين ألفاً، ومواطنهم بين الحجاز وخليج العقبة بقرب ساحل البحر الأحمر، وقاعدة بلادهم (وَج) على البحر الأحمر وتنتهي أرضهم من الشّمال إلى حدود معان من بلاد الشّام، وإلى نحو تبوك من الحجاز، وتسمّى بلادهم (الأيكة). ويقال: إنّ الأيكة هي (تبوك) فعلى هذا هي من بلاد مَدْيَنَ، وكانت بلادهم قرى وبوادي، وكان سعيب ﷺ من القرية وهي (الأيكة)، وقد تعرّبوا بمجاورة الأمم العربيّة وكانوا في مدّة شعيب ﷺ تحت ملوك مصر، وقد اكتسبوا بمجاورة قبائل العرب ومخالطتهم لكونهم في طريق مصر، عربيّة فأصبحوا في عداد العرب المستعربة، مثل بني إسماعيل ﷺ» ٢.

١. سورة الأعراف / ٥٩.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨ / ١٨٥.

«ويقال: إن الخطَّ العربي أول ما ظهر في مدين»^١.

﴿أَخَاهُمْ﴾ نسب إليهم بالأخوة في النسب دون غيرهم.

﴿شُعَيْبًا﴾ و «هو رسولٌ لأهل مدين، وهو من أنفسهم، اسمه في العريية شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ واسمه في التّوراة: (يَثْرُون) ويسمى أيضاً (رَعَوَيْل) وهو ابن (نويلى أو نويب) بن (رَعُويل) بن (عيفا) بن (مدين). وكان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما خرج من مصر نزل بلاد مدين وزوجه شعيب ابنته المسماة (صَفْوَرَه) وأقام موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عنده عشر سنين أجيراً»^٢.

﴿قَالَ يَنْقَوْمِرِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ قد مرّ في الآيات السابقات^٣

وهو التوحيد الذي دعوا إليه جميع الأنبياء.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ «يعني اتتكم حجة من الله تعالى ومعجزة دالة

على صدق قولي»^٤ ودال «على مجيئه بأية تدل على رسالته ولكن الله سبحانه لم يذكر ذلك في كتابه وليست هذه الآية هي آية العذاب التي يذكرها الله تعالى في آخر قصته فإن عامة قومه من الكفار لم ينتفعوا بها بل كان فيها هلاكهم ولا معنى لكون آية العذاب آية للرسالة مبينة للدعوة»^٥.

﴿فَ﴾ تفرّيع على مجيء البينة.

﴿أَوْفُوا﴾ فعل أمر وفاعله. «والإيفاء: إتمام الشيء إلى حدِّ الحقِّ فيه ومنه إيفاء

العهد وهو اتمامه بالعمل به»^٦.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٨٦/٨.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٨٦/٨.

٣. سورة الأعراف / ٥٩، ٦٥ و ٧٣.

٤. التبيان ٤/ ٤٦١.

٥. الميزان ٨/ ١٨٦.

٦. التبيان ٤/ ٤٦١.

﴿الْكَيْلَ﴾ مفعول به. وهو «تقدير الشيء بالمكيال حتى يظهر مقداره منه»^١.
﴿وَالْمِيزَانَ﴾ «الوزن: تقدير الشيء بالميزان»^٢ فالميزان: آلة تقدير الوزن.
﴿وَلَا تَبْخُسُوا﴾ «البخس: النقص عن الحد الذي يوجبه الحق»^٣ والنقص تارة
في الكم وأخرى في الكيف. وقد بحثنا حول التطفيف والبخس في كتابنا «الآراء
الفقهية»^٤ فراجع.

﴿النَّاسَ﴾ مفعول به أول. ﴿أَشْيَاءَهُمْ﴾ مفعول به ثان ومضاف إليه.
﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ نها هم الله «عن الافساد في الأرض
بعد ما أصلحها الله بحسب طبعها، والفطرة الإنسانية الداعية إلى اصلاحها كي ينتظم
بذلك أمر الحياة السعيدة، والإفساد في الأرض وان كان بحسب اطلاق معناه يشمل
جميع المعاصي والذنوب مما يتعلق بحقوق الله أو بحقوق الناس كائنة ما كانت لكن
مقابلته لما قبله وما بعده يخصه - تقريباً - بالإفساد الذي يسلب الأمن العام في الأموال
والأعراض والنفوس كقطع الطرق ونهب الأموال وهتك الأعراض وقتل النفوس
المحترمة»^٥.

﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إشارة إلى الخمسة المتقدمة وهي:
١- توحيد الله وعبادته ٢ و ٣- الوفاء بالكيل والوزن ٤- النهي عن البخس والنقص
في الكم والكيف ٥- والنهي عن الإفساد في الأرض، هذه الأمور الخمسة خير لكم
«إن كنتم مصدقين لقولي مؤمنين بي»^٦. لأنهم إذا لم يصدقوه لم يعملوا بقوله وتركوه فلا

١. التبيان / ٨ / ٤٦١.

٢. التبيان / ٨ / ٤٦١.

٣. التبيان / ٨ / ٤٦١.

٤. الآراء الفقهية ١ / (٣٧٨-٣٨٦).

٥. الميزان / ٨ / ١٨٧.

٦. الميزان / ٨ / ١٨٧.

ينتفعون به فلا يكون خيراً لهم.

رواية

صحيحة عمرو بن أبي المقدم عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندكم بالكوفة يفتدي [في] كل يوم من القصر، فيطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ومعه الدرّة على عاتقه وكان لها طرفان وكانت تسمى السبيبة. قال: فيقف على أهل كل سوق فينادي فيهم: يا معشر التجار قدّموا الاستخارة، وتبرّكوا بالسهولة، واقتربوا من المتاعين، وتزيّنوا بالحلم، وتناهوا عن اليمين، وجانبوا الكذب، وتجافوا عن الظلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا، وأوفو الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين.

قال: فيطوف في جميع الأسواق - أسواق الكوفة -، ثم يرجع فيقعده للناس.

قال: وكان إذا نظروا إليه قد أقبل إليهم [و] قال: «يا معشر الناس» أمسكوا أيديهم، وأصغوا إليه بأذانهم، ورمقوه بأعينهم حتى يفرغ عليه السلام من كلامه، فإذا فرغ قالوا: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين. ١

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ﴾

﴿وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾

تتمة الآية السابقة وفيها نهي وأمر صادران من نبي الله شعيب عليه السلام.
﴿وَلَا تَقْعُدُوا﴾ معطوف على ﴿لَا تَبْخَسُوا﴾ في الآية السابقة. المدينيون «كانوا

يقعدون على طريق من قصد شعبياً للإيمان به فيخوفونه بالقتل»^١.

﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ ينتهي إلى شعيب ودينه، ﴿كُلِّ﴾ للعموم وهو عموم عرفي

هنا.

﴿تُوعِدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، حال من الضمير الفاعلي في ﴿لَا تَقْعُدُوا﴾

تقديره: متوعدين.

﴿وَتَصُدُّونَ﴾ حال ثان لهم.

﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهو دين الفطرة والتوحيد الذي دعا إليه شعيب.

﴿مَنْ أَمَرَ﴾ مفعول به لـ ﴿تَصُدُّونَ﴾. ﴿بِهِ﴾ أي بشعيب وبدينه.

﴿وَتَبْغُوثَهَا﴾ حال من فاعل ﴿تَصُدُّونَ﴾ والضمير مفعول به أول عائد إلى

﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

﴿عَوَجًا﴾ مفعول به ثان. العوج: عدم الاستقامة بفتح العين في ما يُرى كالعود

الحائط وبالكسر يكون في ما لا يُرى كالدين وما إليه.

حاصل الآية إلى هنا: دعا شعيبُ أهل مدين «إلى ترك التعرض لصراط الله

المستقيم الذي هو الدين فإن في الكلام تلويحاً إلى أنهم كانوا يقعدون على طريق

المؤمنين بشعيب عليه السلام ويوعدونهم على إيمانهم به والحضور عنده والاستماع منه وإجراء

العبادات الدينية معه، ويصرفونهم عن التدين بدين الحق والسلوك في طريقة التوحيد

وهم يسلكون طريق الشرك، ويطلبون سبيل الله الذي هو دين الفطرة عوجاً.

وبالجمله كانوا يقطعون الطريق على الإيمان بكل ما يستطيعون من قوة واحتيال

فنهاهم عن ذلك»^٢.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَفَرْتُمْ﴾ وصية وموعظة وأمر من شعيب بتذكّر

١. التبيان / ٤ / ٤٦٣.

٢. الميزان / ٨ / ١٨٨.

تدرّجهم من القلة إلى الكثرة بإزدياد النسل ومن ثمّ القوة بعد الضعف والغني بعد الفقر فوجبت عليهم طاعة الله وشكره.

﴿وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ «معناه فكروا ما مضى من إهلاك من تقدم بأنواع العذاب وانزال العقوبات بهم واستئصال شأفتهم^١ وما فعل الله بالمفسدين، وكيف كان عاقبتهم في ذلك وما حلّ بهم من البوار»^٢.

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِءِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا

حَتَّىٰ تَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾

«آمن بشعيب جماعة، وكفر به آخرون، فدعا الجميع إلى التعايش السلمي، وان ترك كل طائفة وشأنها، ولا يتعرض أحد لأحد بأذى، سواء اختار الكفر، أم الإيمان، ثم تنتظر الطائفتان إلى ان يحكم الله بينهما ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾. ولا رد لهذا المنطق، وبأي شيء ترد من يقول لك: انتظر فيك حكم الله؟»^٣.

﴿وَإِنْ﴾ حرف عطف وحرف شرط جازم. والشرط «أفاد تعليق حصول مضمون الجزاء في المستقبل أعني ما تضمنته الوعيد للكافرين به والوعد للمؤمنين»^٤.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص في محل جزم، فعل الشرط.

﴿طَائِفَةٌ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾. الطائفة: الجماعة من الناس.

﴿مِّنْكُمْ﴾ حرف جر بياني ومجروره، الضمير عائد إلى أهل مدين.

١. استأصل شأفته: أن را از ريشه بر کند.

٢. التبيان ٤/٤٦٤.

٣. التفسير الكاشف ٣/٣٥٧.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٨/١٩٣.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، خبر ﴿كَانَ﴾.

﴿بِالَّذِي﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ﴿ءَامَنُوا﴾.

﴿أُرْسِلْتُ﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول والضمير المتصل نائب فاعله.

﴿بِهِ﴾ جارٍ ومجرور، والضمير عائد إلى دعوته إلى التوحيد وشريعته.

﴿وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾ معطوفة على ﴿طَآئِفَةٌ﴾ السابقة، وهم ﴿قَالَ أَلْمَلَأُ الَّذِينَ

أَسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾^١ الذين يوعدون ويصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً وسيعون في الأرض فساداً.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿أَصْبِرُوا﴾ فعل أمر وفاعله، جواب الشرط، أمر ارشادي للمجتمع يوجب

صلاح معيشتهم. «الصبر: حبس النفس عما تنازع إليه من الجزع»^٢.

﴿حَتَّى﴾ حرف جر للغاية تفيد غاية للصبر.

﴿تَحَكَّمُ اللَّهُ﴾ فعل مضارع منصوب بـ«أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّى﴾ وفاعله. الظاهر

أراد به حكم الله في الدنيا لأن الكفار لم يؤمنوا بالآخرة.

﴿بَيْنَنَا﴾ ظرف متعلق بـ﴿تَحَكَّمُ﴾ ومضاف إليه. أي ﴿تَحَكَّمُ اللَّهُ﴾ بين المؤمنين

والكافرين.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿هُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ﴾ لأنه لا يجور ولا يسأهل في الحكم وهو عدلٌ حكيمٌ لا

يحتمل في شأنه الظلم عمداً وخطأً لعلمه بالأمر وقدرته عليها و ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا

يُشْرِكُونَ﴾^٣.

١. سورة الأعراف / ٨٨.

٢. التبيان / ٤ / ٤٦٤.

٣. سورة الطور / ٤٣.

٣٤٨ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الثامن

إلى هنا انتهى الجزء الثامن من كتابنا «أجود البيان في تفسير القرآن» بيد مؤلفه
الفاني العبد هادي النجفي في ظهر يوم الجمعة الثالث من ذي الحجة الحرام سنة
١٤٤١ بمدينة اصبهان صانها الله تعالى عن الحدثان.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على محمد وآله الطيبين
الطاهرين المعصومين.

فهرس

٣١.....	الآية (١٢٠)	تتمة سورة الأنعام
٣٤.....	رواية	الآية (١١١)..... ٥
٣٥.....	الآية (١٢١)	الآية (١١٢)..... ٨
٣٨.....	روايتان	روايتان..... ١١
٣٩.....	الآية (١٢٢)	شأن نزولها..... ١٢
٤١.....	الروايات	الآية (١١٣)..... ١٢
٤٣.....	الآية (١٢٣)	الآية (١١٤)..... ١٥
٤٥.....	الآية (١٢٤)	الآية (١١٥)..... ١٨
٤٨.....	رواية	رواية..... ٢١
٤٩.....	الآية (١٢٥)	الآية (١١٦)..... ٢١
٥١.....	الروايات	الآية (١١٧)..... ٢٣
٥٤.....	الآية (١٢٦)	الآية (١١٨)..... ٢٥
٥٥.....	الآية (١٢٧)	روايتان..... ٢٧
٥٧.....	الآية (١٢٨)	الآية (١١٩)..... ٢٨

١٠١	الآية (١٤٧)	٥٩	الآية (١٢٩)
١٠٣	رواية	٦٢	رواية
١٠٤	الآية (١٤٨)	٦٢	الآية (١٣٠)
١٠٦	الآية (١٤٩)	٦٤	روايتان
١٠٨	الروايات	٦٥	الآية (١٣١)
١٠٩	الآية (١٥٠)	٦٧	الآية (١٣٢)
١١٢	الآية (١٥١)	٦٨	الآية (١٣٣)
١١٥	تأويل	٧١	الآية (١٣٤)
١١٥	الروايات	٧٢	الآية (١٣٥)
١١٧	الآية (١٥٢)	٧٤	الآية (١٣٦)
١١٩	الآية (١٥٣)	٧٦	الآية (١٣٧)
١٢٠	الروايات	٧٩	الآية (١٣٨)
١٢٣	الآية (١٥٤)	٨١	الآية (١٣٩)
١٢٦	الآية (١٥٥)	٨٣	الآية (١٤٠)
١٢٧	الآية (١٥٦)	٨٥	الآية (١٤١)
١٢٩	الآية (١٥٧)	٨٨	الروايات
١٣٢	رواية	٨٨	الآية (١٤٢)
١٣٣	الآية (١٥٨)	٨٩	الآية (١٤٣)
١٣٥	الروايات	٩٢	الآية (١٤٤)
١٣٧	الآية (١٥٩)	٩٣	الروايات
١٣٩	روايتان	٩٥	الآية (١٤٥)
١٣٩	تأويل	٩٩	الآية (١٤٦)

فهرس ٣٥١

١٧١ الآية (٨)	١٤٠ الآية (١٦٠)
١٧٢ تنبيه	١٤١ الروايات
١٧٣ رواية	١٤٦ الآية (١٦١)
١٧٣ الآية (٩)	١٤٨ الروايات
١٧٤ رواية	١٤٩ المتبقى من الحنيفة
١٧٤ الآية (١٠)	١٥٠ الآية (١٦٢)
١٧٦ الآية (١١)	١٥١ الآية (١٦٣)
١٧٧ روايتان	١٥٢ الآية (١٦٤)
١٧٨ الآية (١٢)	١٥٤ الروايات
١٧٩ الروايات	١٥٦ الآية (١٦٥)
١٨٤ الآية (١٣)		سورة الأعراف
١٨٦ رواية	١٦١ فضلها
١٨٧ الآية (١٤)	١٦٢ الآية (١)
١٨٨ الروايات	١٦٢ رواية
١٨٩ الآية (١٥)	١٦٤ الآية (٢)
١٩٠ الآية (١٦)	١٦٥ الآية (٣)
١٩١ رواية	١٦٧ رواية
١٩١ الآية (١٧)	١٦٧ الآية (٤)
١٩٣ روايتان	١٦٨ الآية (٥)
١٩٤ الآية (١٨)	١٦٩ الآية (٦)
١٩٥ رواية	١٧٠ رواية
١٩٦ الآية (١٩)	١٧٠ الآية (٧)

٢٢٧	الروايات	١٩٧.....	روايةٌ
٢٣١	الآية (٣٣)	١٩٧.....	الآية (٢٠)
٢٣٤	الروايات	١٩٩.....	الآية (٢١)
٢٣٥	الآية (٣٤)	١٩٩.....	الروايات
٢٣٦	روايتان	٢٠١.....	الآية (٢٢)
٢٣٧	الآية (٣٥)	٢٠٣.....	روايةٌ
٢٣٩	الآية (٣٦)	٢٠٣.....	الآية (٢٣)
٢٤٠	الآية (٣٧)	٢٠٤.....	روايةٌ
٢٤٣	الآية (٣٨)	٢٠٥.....	الآية (٢٤)
٢٤٥	تطبيق	٢٠٦.....	الآية (٢٥)
٢٤٥	روايةٌ	٢٠٧.....	الآية (٢٦)
٢٤٥	الآية (٣٩)	٢١٠.....	روايتان
٢٤٧	روايةٌ	٢١٠.....	الآية (٢٧)
٢٤٨	الآية (٤٠)	٢١٣.....	الآية (٢٨)
٢٤٩	روايتان	٢١٥.....	الروايات
٢٥٠	الآية (٤١)	٢١٦.....	الآية (٢٩)
٢٥٠	الآية (٤٢)	٢١٨.....	الروايات
٢٥٢	الآية (٤٣)	٢٢٠.....	الآية (٣٠)
٢٥٤	الروايات	٢٢١.....	روايةٌ
٢٥٦	الآية (٤٤)	٢٢١.....	الآية (٣١)
٢٥٨	الروايات	٢٢٢.....	الروايات
٢٦٠	الآية (٤٥)	٢٢٥.....	الآية (٣٢)

٢٨٤	الآية (٥٧)	٢٦١	الآية (٤٦)
٢٨٦	الآية (٥٨)	٢٦٣	الروايات
٢٨٨	تأويل	أ: الروايات الصحاح الدالة على القسم	
٢٨٨	الآية (٥٩)	الأول من أصحاب الأعراف..... ٢٦٣	
٢٩٠	الروايات	ب: الروايات الصحاح الدالة على	
٢٩٢	الآية (٦٠)	القسم الثاني منهم ٢٦٤	
٢٩٣	الآية (٦١)	٢٦٦.....	الآية (٤٧)
٢٩٤	الآية (٦٢)	٢٦٦.....	الآية (٤٨)
٢٩٥	الآية (٦٣)	٢٦٨.....	الآية (٤٩)
٢٩٧	الآية (٦٤)	٢٧٠.....	روايةٌ
٢٩٨	الآية (٦٥)	٢٧٠.....	الآية (٥٠)
٣٠٠	روايةٌ	٢٧٢.....	الروايات
٣٠١	الآية (٦٦)	٢٧٢.....	الآية (٥١)
٣٠٣	الآية (٦٧)	٢٧٤.....	روايتان
٣٠٣	الآية (٦٨)	٢٧٤.....	الآية (٥٢)
٣٠٣	روايةٌ	٢٧٥.....	لطيفة
٣٠٤	الآية (٦٩)	٢٧٦.....	الآية (٥٣)
٣٠٥	روايتان	٢٧٩.....	الآية (٥٤)
٣٠٥	الآية (٧٠)	٢٨١.....	الآية (٥٥)
٣٠٧	الآية (٧١)	٢٨٢.....	الآية (٥٦)
٣٠٨	روايةٌ	٢٨٣.....	روايةٌ
٣٠٩	الآية (٧٢)	٢٨٤.....	تأويل

٣٣٠	الآية (٨٠)	٣١٠	روايةٌ
٣٣١	الروايات	٣١٠	الآية (٧٣)
٣٣٢	الآية (٨١)	٣١٢	الروايات
٣٣٣	الروايات	٣١٤	الآية (٧٤)
٣٣٤	الآية (٨٢)	٣١٥	روايةٌ
٣٣٥	الآية (٨٣)	٣١٨	الآية (٧٥)
٣٣٦	روايةٌ	٣١٩	الآية (٧٦)
٣٣٨	الآية (٨٤)	٣٢١	روايةٌ
٣٣٨	روايةٌ	٣٢٢	الآية (٧٧)
٣٤١	الآية (٨٥)	٣٢٣	الروايات
٣٤٤	روايةٌ	٣٢٤	الآية (٧٨)
٣٤٤	الآية (٨٦)	٣٢٥	روايةٌ
٣٥٦	الآية (٨٧)	٣٢٩	الآية (٧٩)
		٣٢٩	روايةٌ